

مكتبة الدراسات الأدبية

٧٠

چورچ ديمتري سليم

إيليا أبو ماضي

(١٨٨٩ - ١٩٥٧)

دراسات عنه وأشعاره المجهولة



دارالمعارف

إِيلِيَا أَبُو مَاضِي

(١٨٨٩ - ١٩٥٧)

دراسات عنه وأشعاره المجهولة

مكتبة الدراسات الأدبية

٧٠

إيليا أبو ماضي

(١٨٨٩ - ١٩٥٧)

دراسات عنه وأشعاره المجهولة

تأليف وجمع

جورج ديمستري سليم



دار المغاريف بمصر

الاهتداء

إلى جوزيت

وإلى جبران ولورانس ومي

وإلى محبي الأدب المهجري

البَابُ الْأَوَّلُ

دراسات عنه

مقدمة الباب الأول

جمعت في هذا الكتاب - لتكون في متناول سهل - مقالات ونبذات لي عن المهجري أبي ماضي ، نشرتها « الأديب » و « النهار » البيروتيتان ، و « البيان » الكويتية ، وأضفت إليها قطعتين جديدتين : مقالا عن الطيار لندبرج ، وموجزاً مفصلاً لحياة أبي ماضي .

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أتدارك القليل الذي سها على أوسها على الطبائع إثباته في حينه . ولن يهمه معرفة مكان وتاريخ نشر المقالات والنبذات ، أثبت البيان التالي ، وهو يطابق محتوى الكتاب :

- | | | |
|----|------------|--|
| ١ | « الأديب » | نوفبر ١٩٧٢ ، ص ٢٢ - ٢٥ . |
| ٢ | « البيان » | أبريل ١٩٧٤ ، ص ٨٧ - ٩٠ . |
| ٣ | « البيان » | (أ) أغسطس ١٩٧٥ ، ص ٢٥ - ٢٩ .
(ب) أكتوبر ١٩٧٥ ، ص ٢٦ - ٣١ . |
| ٤ | « الأديب » | (أ) أكتوبر ١٩٧٤ ، ص ٢ - ٦ .
(ب) فبراير ١٩٧٥ ، ص ٣٠ - ٣٣ .
(ح) أغسطس ١٩٧٥ ، ص ٢ - ٥ . |
| ٥ | « النهار » | ١٩٧٤/١/٢٠ ، ص ٦ - ٧ من الملحق . |
| ٦ | « النهار » | ١٩٧٤/٦/١٦ ، ص ٦ - ٧ من الملحق . |
| ٧ | « الأديب » | (أ) يوليو ١٩٧٣ ، ص ٥٤ .
(ب) ديسمبر ١٩٧٣ ، ص ٥٤ - ٥٥ . |
| ٨ | « الأديب » | ديسمبر ١٩٧٤ ، ص ٢ - ٤ . |
| ٩ | « الأديب » | نوفبر وديسمبر ١٩٧٥ ، ص ٥٨ . |
| ١٠ | « الأديب » | تحت الطبع |
| ١١ | | لم تنشر |

١٢ « البيان » نوفمبر ١٩٧٣ ، ص ٣٨ — ٤٠ .

١٣ « الأديب » (أ) نوفمبر ١٩٧١ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(ب) مارس ١٩٧٢ ، ص ٥٩ .

(ح) يناير ١٩٧٥ ، ص ٤٩ — ٥٠ .

١٤ « البيان » تحت الطبع .

١٥ لم ينشر .

. ختاماً ، أرجو أن أكون قد أسهمت إسهاماً إيجابياً متواضعاً في مجال دراسة

الأدب العربي بكتابي هذا .

جورج ديمتري سليم

واشنطن العاصمة

شتاء ١٩٧٥ م

(١) حتى نفهم أبا ماضى

« ليس فى حياة أبى ماضى أثر ، أو مظهر لما تعود الناس رؤيته أو انتظاره فى حيوات الشعراء . من « صخب » ، فقد مرت أيامه كلها على هذا الأديم ، دون حادثة أو تجربة غير عادية . لقد عاش وعمل وهاجر وتزوج ورزق أولاداً ، وكان موفقاً إلى حد بعيد ، فى معيشته وعمله وهجرته وزواجه وأولاده ^(١) . »

هكذا استهل عبد اللطيف شرارة دراسته التحليلية عن إيليا ظاهر أبى ماضى ، وهو حكم صحيح إذا كان مرجعه النظرة العابرة فى حياة الشاعر وأشعاره ، تلك النظرة التى تنتهى بتصويره لنا شاعراً ذا « فلسفة قائمة على المزاج » . معرضة لما يتعرض له المزاج من تقلب واضطراب ^(٢) . »

ونحن نتساءل أصحیح أن يكون سر التناقض والاضطراب الذى أوصل أبا ماضى إلى التشكك والحيرة كامناً — كما يقول شرارة — « فى طبيعة فلسفته وفى التحول العام الذى طرأ على البيئة التى كان يعيش فيها ، أى على الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، فى سننى ما بعد الحرب الأولى ^(٣) » ؟ أم أن لهذا التناقض والاضطراب أسباباً أخرى أقوى لا دخل لمزاج أبى ماضى ولا للبيئة الأمريكية فيهما ؟

كان أبو ماضى — كما يقول لنا عيسى إبراهيم الناعورى — « ضئيلاً جداً بالحديث عن نفسه وعن حياته . حتى إننى حينما أردت إصدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٥١ ، كتبت إليه أرجو أن يوافينى بموجز عن حياته ، لأقدمه إلى القراء ، وبصورة له أنشرها فى الكتاب ؛ فكتب إلى — بعد انتظار غير قصير — يقول : يعز على وأنا أجيبك على رسالتك ألا يكون مع جوابى رسم لى ، فإنى مهمل هذه الناحية كل الإهمال . أما سيرة حياتى فليس فيها ما يستحق النشر ، أو على الأقل هكذا أعتقد أنا ؛ إذ ليس فيها ما ينفع فضول أحد . ويتابع الناعورى حديثه فيقول : « وليس صحيحاً أن حياته ليس فيها ما ينفع فضول أحد ، فإنه لم

يصل إلى المنزلة التي وصل إليها إلا بجهد عصامي طويل ، تغلب فيه على الشوك والحراب طويلاً قبل أن يعرف جنباه الفراش المريح . أترأه كان ينجعل بجهد هذا ، وهو مصدر فخر عظيم مثله ؟ ^(٤) .

فالناعوري حين شرع في دراسة الشاعر — كما نرى — كان يدري أن هناك مؤثرات في حياة أبي ماضي جعلت منه هذا الشاعر الإنساني الكبير . لذلك حاول أن يتعرف عليها ويستقيها من الشاعر نفسه حتى تكون دراسته سليمة . ولكنه لم يوفق . وما كان هذا ليرده عن محاولة أخرى هي فهم شاعره فهماً صحيحاً .

لم تكن حياة أبي ماضي كلها سعادة وهناء ، ولكنها كانت حياة متأرجحة بين السعادة حيناً والشقاء حيناً آخر . بل لعل الشقاء كان له الكفة الراجحة في حياته . لمست نادرة جميل سراج هذا في شاعرنا ، فقالت : « هو ، كما سبق أن قلت ، باسم مستبشر أمام الناس ، كتيب حزين في قرارة نفسه ، يظهر للملأ خلاف ما يبطن من هم وغم ، ولعمري إن في عمله هذا لإنسانية وكرم نفس وعلواً في الأخلاق والطباع ، وفيه في الوقت نفسه كبرياء واعتداد لا يستبعدان عن نفس شاعرة رقيقة كنفس إيليا . . . أي إثارة هذا الذي يدعو الشاعر إلى أن يستر عبرته حتى لتكاد تحرقه في جوفه ويلتهب بنارها جفناه خشية أن يسبب ألماً لمن معه ؟ » ^(٥) .

ووصف لنا إحسان عباس ومحمد يوسف نجم أبا ماضي في سياق تحليلهما لقصيدة « الشاعر والملك الجائر » ، فكتبوا : « القصيدة تحمل صورة رومانطيقية في أكثر أجزائها ، فلم اختار أبو ماضي أن يكون واقعياً جداً في هذا الموقف ؟ . . . وليس يعتذر عن هذا الخطأ أن يقال إن الشاعر (أبا ماضي) يريد أن يصور قوة الموت وجبروته ، وتساوى الناس أمامه ، فهذا موضوع مبتذل ، والتجديد فيه شاق ، وليس هو الموضوع الأساسي للقصيدة ، بل هذا خطأ آخر وقع فيه الشاعر ، الذي كان حائر النفس مسلوب الخاطر أمام الموت ، فانزلق الموضوع من يده نحو الموت وسطوته وجبروته . وهذا التحول بالموضوع جر وراءه أخطاء أخرى ، منها : أنه هون من شأن الخلود الذي أحرزه الشاعر ، ومنها أنه بسط سيطرة الموت على الطبيعة ، على الغاب ، على الصالح والطالح دون تمييز . فأفقد الإنسان ثقته في كفاحه ، وأفقده ثقته في الطبيعة وكما لها ^(٦) » .

نقرأ هذا التحليل فنعجب بالتحليلين إذ نجدهما قد تغلغلا في نفسية أبي ماضى وكشفاها لنا ، ولم يكن هذا بالسهل ، وإن عجزا في الوقت نفسه عن تبين البواعث التي دفعت أبا ماضى إلى أن يكون له « نظرتة المفلسة القائمة على عجز الإنسان أمام الطبيعة ^(٧) » .

لم يبق أمامنا إذن إلا الرجوع إلى الوراء وعرض أهم الأحداث التي وقعت لأبي ماضى في حياته ، تلك الأحداث التي ظلت مجهولة للآن والتي لا شك تلقى ضوءاً كافياً على أشعاره ، وتساعد على فهمه فهماً كما يجب .

هاجر إيليا محيثة لبنان إلى إسكندرية مصر عام ١٩٠٠ ، صبياً له من العمر أحد عشر عاماً ، فترعرع هناك بدنياً وأدبياً وكان يبيع السجائر والدخان . وفي مفاجأة ، عام ١٩٠٩ ، يتوفى الله طانيوس ، رابع الإخوة ، وهو بجانب إيليا وفي ريعان الشباب ، فيتكفل هذا بدفنه ويرثيه بقصيدة « البدر الآفل » ^(٨) التي منها هذه الأبيات المتفرقة :

أبعدك يعرف الصبر الحزين	وقد طاحت بمهجته المنون ؟
عجيب أن تعيش بنا الأمانى	وأنا للأمانى نستكين
وما أرواحنا إلا أسارى	وما أجسادنا إلا سجون
وما في الكون مثل الكون فان	كما تفنى الديار كذا القطرين
فيا لهنى لأملك حين يدوى	نعيك بعد ما طال السكون
ولطف شقيقك النائي بعيداً	إذا ما جاءه الخبر اليقين
ستبكيك الكواكب في الدياجى	كما تبكيك في الروض الغصون
ويبكي إخوة قد غبت عنهم	وأم تاكل وأب حزين

ونحن لا نعرف عن طانيوس شيئاً ، ولكننا نستطيع أن نقول بشئء من التأكيد إن وفاته كانت من الأسباب التي دفعت أخاه إيليا إلى التغرب ثانية . ففي العام التالى ، بعدما نشر هذا الأخير « ديوان تذكار الماضى » ، سافر إلى أمريكا وحط رحاله في سنسنانى أوهايو قرب أخيه الأكبر مراد ، وكان هذا الأخ قد سبقه هناك منذ زمن . وفي هذه المدينة الجديدة بدأ أبو ماضى من جديد ، فقسم وقته بين تجارة السمانة

وبين النظم . ونظن أن الحياة سارت مسراها العادى حتى آخر مارس (آذار)
١٩١٦ عندما قدم مترى (ديمترى) ، ثالث الإخوة ، إلى سنسناتى . ونحن لا نعلم
كيف جاء مترى ولماذا ، ولكن مراسل جريدة « السائح » النيويوركية ، فى عدد
١٩١٦/٤/٣ ، ص ٣ ، يخبرنا بأنه :

« لم يكن فى الحسبان أن يفاجئنا البرق بنجر ارتجت له الأبدان ألا وهو نعى
المأسوف على صباه الغض المرحوم مترى ضاهر أبو ماضى شقيق صديقنا العزيزين
مراد وإيليا فى سنسناتى أوهايو .

وجد الشاب الفقيد صريعاً فى غرفته فى سنسناتى التى كان قد قدم إليها قبل
ثلاثة أيام . وكان أول من رآه على هذه الحالة رفيقه فى المنامة جورج ناصيف ، فدعا
بعضهم من الشارع فرأوه ، وأسفاه عليه ، ممدداً لا حراك فيه ، وأثر الرصاص فى
رأسه ، والمسدس على الأرض بقربه . فجاء الإخوان على الأثر والأصدقاء ، وبكوا
الزهرة فى كمها ذابلة وما نفع البكاء !

مات الذكى القواد والقوى الهمة غير متجاوز العشرين من عمره . مات غير آسف
على دنيا كلها متاعب وأهوال ، كلها أحزان وويلات ، فتركها ساخرّاً بها هازئاً
بمزاحرفها ، ولكن - رحمه الله - لم يرحم مهجتي أخوين كان يحرسانه كحدقة العين ،
ويدأبان فى إنجاحه ، ويسهران على حياته ، فتركهما رهن البكاء والعويل .

هذا ما ذكرته « السائح » ، أما « مرآة الغرب » النيويوركية الصادرة فى اليوم
نفسه ، فتقول ، ص ٣ :

« وقد تعددت الإشاعات عن وفاة هذا الشاب الأديب النشيط ، ولكن الحقيقة
لم تصل إلينا حتى الآن من شقيقه المصابين بفقد جناحهما وعزيزهما الذى بالكاد
يبلغ العشرين من عمره .

وفى بعض الإشاعات أن الشاب كان ميالاً إلى الانخراط فى السلك العسكرى
فمنع عنه ، ومن أجل ذلك انتحر . وهناك قوم يقولون إن فى فاجعته مكيدة من
أعدائه ، على أننا فى شك من مثل هذا الخبر الأخير .

ويتابع مراسل « السائح » فى عدد ١٩١٦/٤/٦ ، ص ٣ ، سرد الحادث الأليم

فيقول : « جاء السبت (٤/١) وهو ميعاد دفن فقيد الشباب المرحوم ، متري أبي ماضى ، فصلى على الجثة كاهن إبوسكبالى . ونقلت إلى النعش المعد لنقلها ، فدرجت عربة النعش ووراءها عربات الأزهار المقدمة من الأصدقاء والمعارف فى سنسناى ، ثم عربات عديدة لجمهور غفير من معظم الوطنيين . وسار الموكب المؤثر ، إلى المدفن ، إلى المكان الأخير الذى يوضع فيه الفقيد . فأكمل الكاهن الصلاة . ووقف الشقيق الشاعر إيليا أبو ماضى عند القبر فرثى شقيقه بعبارات أثارت عواطف الحزن فى القلوب ، وبكاه بقصيدة بليغة من الدموع فأبكى الأحشاء على الشباب الذابل ، ثم عاد الجميع والحزن مالىء الصدور » .

لقد كانت الرزايا لأبى ماضى بالمرصاد وهو لا يدرى . فلما نزلت عليه هذه الفاجعة تشجع . ووقف للمرة الثانية فى حياته عند قبر أخ أصغر ثمان ، وألقى ^(٩) .

لوعة فى الضلوع مثل جهنم	تزكت هذه الضلوع رمادا
بت مرمى للدهر بى يتعلم	كيف يصمى القلوب والأكبدا
كيف ينجو فؤاده أو يسلم	من تمادى به الأسى فتمادى ؟
أنا لولا الشعور لم أتألم	ليت هذا الفؤاد كان جمادا
كيف لا أبكى وفى العين دموع ؟	كيف لا أشكو وفى القلب صدوع ؟
قل فى الناس من صبر	مختارا

* * *

لحظة ثم صار ضحكى وجيبا	ونشيجاً ، والنوم صار سهادا
رب ، لما خلقت هذى الخطوبنا	لم لم تخلق الحشى فولادا ؟
كلما قلت قد وجدت حبيباً	طلع الموت بيننا يتهادى
صرت فى هذه الحياة غريباً	ليت سهدى الطويل كان رقادا
فتجلد أيها القلب الجزوع	أو تدفق كلما شاء الولوع
عندما أو دما هدر	أو نارا

* * *

كان بين الكرى وبينى صلح فأراد القضاء أن نتعادى

لم أكد أخلع السواد وأصحو
في فؤادي ، لو يعلم الناس ، جرح
يا خليلي ، هيهات ينفع نصيح
أنت لا تستطيع إحياء الصريع
ذا الذي صير الكدر
من ذهولي حتى لبست السواد
لا يلاشي حتى يلاشي الفؤاد
بعدهما ضيع الحزين الرشادا
وأنا حمل الأسي لا أستطيع
أكدارا

ثم يذكر أخاه طانيوس فيقول :

يا ضريحاً على ضفاف «الوادي»
فيك أودعت منذ ست فؤادي
غير أني وإن عدتني العوادي
أنبتت حولك الزهور الغوادي
وذبول الغصن في فصل الربيع
جمد الماء في الشجر
جاد من أجلك الغمام البلاد
وبرغمي أطلت عنك البعادا
ما عدتني بالروح أن أرتادا
والليالي أنبتن حولي القتادا
لو رآه شجر الروض المريع
مختارا

وتحرك هذه المأساة المؤلة بعض الشعراء الأصدقاء أيضاً ، فينظم نعمة الحاج
« إلى البلبل الناتح »^(١٠) ليعزي بها صديقه إيليا ، ويفتحها بهذا المقطع :

خل عنك النواح وانف عنك الكدر
من تولى استراح من شقاء البشر
فعلى الراقد الرقاد الطويلا رحمة الله بكرة وأصيلا
وداعاً قولوا ، وكفوا العويلا ذاك حكم القدر
وينظم « غصن » صديق آخر هو فارس شلنك^(١١) .

كان لابد بعد الذي كان أن يضيق إيليا بسنسناتي كما ضاق بالإسكندرية
من قبل ، فيتحين فرصة لهجرة ثالثة . وتأتيه الفرصة في الصيف ، فينتقل إلى مدينة
نيويورك على أثر دعوة من بعض الشباب العربي الفلسطيني يعهدون إليه بتحرير
« المجلة العربية » التي كانوا يصدرونها هناك .

ولم يكن هذا الخطب الأليم هو الوحيد الذي تلقاه شاعرنا في فترة الحرب
العالمية الأولى ، أي ما بين يونيو (حزيران) ١٩١٤ ونوفمبر (تشرين الثاني)

١٩١٨ . فقد قيل لنا إن إبراهيم ، خامس الإخوة ، توفي خلال هذه الحرب في المحيثة ، مسقط رأس الشاعر^(١٢) . ونحن لا نعرف بعد كيف ومتى توفي بالتمام ، وإن كنا نرجح أن وفاته كانت بعد أبريل (نيسان) ١٩١٦ . ولا شك أن هذه الوفيات المتتابعة في العائلة الماضية أثرت في نفس إيليا فنظم قصائد مثل « في عصر الرشيد » (١٩١٦) ، و « إذا مت » (١٩١٧) ، و « أنة نائح » (١٩١٨)^(١٣) .

ولكن يظهر أن الدهر الذي عبس له زمناً ، وقسا عليه ، بدأ يتسم له ويرأف بحاله . فيفرح إيليا في الغربه عندما ينحطب دوروثي (دورا) ، ابنة نجيب موسى دياب صاحب جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية ، في ١٥/٤/١٩١٨^(١٤) ، ثم عندما يقترن بها بعد سنتين ، في ٢٥/٤/١٩٢٠^(١٥) . ويفرح أيضاً عام ١٩٢١ ، عندما يصله من لبنان أن أخته الوحيدة جنى (أوجيني) ، صغرى الإخوة ، قد اقترنت بإبراهيم نعمة الحوري نعيمة^(١٦) . ويرزق في العام التالي بـ « ريتشارد » ، أول أنجاله ، فيسر ، ويكتب إلى أمين الريحاني من نيويورك بتاريخ ٢٨/٢/١٩٢٢ : « أنا كما تركتني ، إلا أني صرت يوم الخميس الموافق ٢٣ شباط (فبراير) أباً ، وصارت زوجتي أمّاً . فقد رزقنا غلاماً هو عندي أجمل قصيدة نظمها الحياة في حياتي^(١٧) » .

ويمر عام تقريباً يحىء بعده ربيع ١٩٢٣ بغير المنتظر . أخته أوجيني التي كانت تملأ قلبه وقلوب مراد بعواطف الحياة والأمل يتوفاها الله إثر ولادتها الأولى ، في قوسايا البقاع بلبنان^(١٨) .

إذن فقد انقلبت عليه الأيام مرة ثانية بعد أن كان قد أمن جانبها . وكان الذي أصابه في إخوته لا يكفيه ، إذ به يجد أن « إدوارد » ، نجله الثاني الذي جاء إلى هذا العالم في ١٧/١/١٩٢٤ . « قد خلق مريضاً بعاهة دائمة ، عاجزاً عن القيام بأي عمل^(١٩) » .

لم يكن في لبنان ، بعد فقد جنى ، من يستطيع ملء الفراغ الذي تركته في حياة ظاهر (ضاهر) وسلمى أبي وفاة أربعة أولاد ، ماتوا كلهم في ريعان الشباب ودون إنجاب . لذلك رحل الوالدان الثاقلان ، خريف عام ١٩٢٣ ، إلى العالم الجديد ، ليكونا قريبين من ابنيهما الأكبرين في سنيهما الأخيرة .

وأقام الوالدان في مدينة نيويورك مع إيليا ، ينعمان بمراى ابنيهما وحفيديهما حتى كانت أواخر عام ١٩٣٠ ، عندما قرر الوالد « أن يغادر هذه البلاد . . . مدفوعاً بعامل الحنين إلى مراتع صباه وشبابه ، فعاد إلى الوطن برغم توسلات نجلية^(٢٠) » . وتمضي أشهر يصل بعدها إلى زوجته وابنيه ، في يناير (كانون الثاني) ١٩٣١ ، نعيه غير المتوقع من المحيثة . وكان لهذه الوفاة المفاجئة ، بعيداً عن العائلة ، وقعها في إيليا الذي رثا أباه بقصيدة منها هذه الأبيات المتفرقة^(٢١) :

أبي ! خائني فيك الردى فتقوضت	مقاصير أحلامى كبيت من التبن
فليس سوى طعم المنية في فمى	وليس سوى صوت النوادب في أذنى
أبحت الأسى دمعى وأنهبته دمعى	وكنت أعب الحزن ضرباً من الجبن
أحتى وداع الأهل يحرمه الفتى ؟	أيا دهر هذا ينتهى الحيف والغبن !

ولكن من عادة الدهر ألا يستقر على حال مهما طال . إذ تبسم له ثانية بعد تجمهم . ففي ١٩٣٣/٥/١ يسعد الشاعر بروبرت ، مولوده الثالث والآخر^(٢٢) . وتستقيم له الأيام بعد ذلك ، فيهنأ بها بعد أن تحمل الكثير من أذاها . ولا يعكر صفو هذا الهناء إلا فيجعتان ليس لهما ، على ما نظن ، هول فجائعه السابقة . فأما الفجيرة الأولى فهي وفاة حميه بمدينة نيويورك في ١٩٣٦/٧/١١ ، إثر عملية جراحية^(٢٣) ، وله من العمر - كما قيل - ستة وخمسون عاماً . وأما الفجيرة الثانية فهي وفاة والدته قريبة منه في ١٩٤٣/٣/٢٢ ، وهى في سبعينياتها أو ثمانينياتها^(٢٤) . وتفيدنا جريدتنا « السائح » و « الهدى » بتاريخ ١٩٣٦/٧/١٦ ، ص ٢ و ٣ على التوالي ، بأن أبا ماضى كان قد ودع حماه عند القبر بقصيدة مؤثرة ، لم أوفق إلى العثور عليها بعد . أما والدته فلم يرثها هو ، حسب ما جاء في « السائح » بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٩ ، ص ٢ ، بل رثاها صديقان له : توفيق فخر مساعده في تحرير « السمير » ، وفوزى البريدى صاحب جريدة « الإصلاح » النيويوركية ، ومرافقه في سفرته إلى لبنان عام ١٩٤٨ .

بقى الآن ، وعلى ضوء ما تقدم ، النظر في الفكرة القائلة بإلحاد أبى ماضى وكفبه . لقد استسهل الأب رفائيل نخلة اليسوعى الأمر ، كما استسهله غيره أيضاً ، فحكم على أبى ماضى ، حكماً نظنه فاصلاً ، بأنه « كافر متحذلق » ، « يجهد

مخيلته لبث إلحاده السمج » ، وبأنه « قد سخر شاعريته السامية لنشر إلحاده وشكه الفاضحين في أنحاء العالم العربي »^(٢٥) ، دون أن يحاول البحث عن بواعث هذا الكفر ، ولو فعل لما صب غضبه على أبي ماضى كما صبه ، بل لقام مدافعاً عنه كما قام الأب. لويس شيخو اليسوعى من قبله مدافعاً عن المعري ، حين كتب « تبرئة أبي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء »^(٢٦) .

وهنا يجب علينا أن نقف لحظة لتساءل : أليس من الإنصاف لأنفسنا وللأديب المدروس أيّاً كان ، إذا جهلنا تفاصيل حياته ووقائعها ، وتغبت علينا مكوناته النفسية ومسبباتها ، ولم يكن أمامنا إلا المعلوم من إنتاجه الأدبي نعتمد عليه اعتماداً كلياً لدرسه ، أليس من الإنصاف - أن ننشئ في أحكامنا عليه ، ونتحفظ في إصدارها ؟

فهم هذا زهير ميرزا ، فكتب في دراسته القيمة تحت عنوان « الله ومشيته » : « ليس هناك وضوح في رأى الشاعر في هذا الموضوع الخطير ، فلست تلمح إلحاداً وكفراً كما لا تلمح إيماناً واضحاً »^(٢٧) . أما أنا فأستطيع أن أقول إن أبا ماضى كان مؤمناً ، غير أن إيمانه كان أكثر وضوحاً في شبابه منه في كهولته وشيخوخته . تشهد بذلك قصيدة مصرية له ما زالت مخطوطة^(٢٨) ، جاء فيها :

أنكرت ربك هباً زئباً	هبلتك أمك جئت نكراً
وزعمت أن الله وهم	مر في الأذهبان مراً
ونما مع الأجيال حتى	صار رب النحاس طبراً
فعلام ذهنك ما به	أثر لسه ، أفكنت صخرأ ؟
إني لأبصر في الصخر	روكل شيء منه أثراً
حاشا المهيمن أن يكبر	ن كما زعمت ، لقيت شرأ
قصرت عن إدراكه	فحسبت به الرحمن قصراً
وكذاك ذو الطبرف الحسي	ر يعخال به الأضواء حسراً

* * *

قل للألى نبذوا التقى	واستملحوا الكفر الأمبراً
من ذا الذى أرخى الظبلا	م ، وأطلع القمر الأغراً ؟

ومن الذى نظم الكـــوا
ومن الذى أرسى الجبـــا
ومن الذى نشر الغمـــها
وعجـــائب وغرائب
أفكل ذلك صـــهـــدفـــة
إنى تتبعـــت المشـــا
فرايت هذى الشمس تط
ولقد نظرت البحر يـخ
لا يستقـــر وكل مـــها
والليل يقفـــوه النهـــا
يتنـــاوشـــان كلاهما
واليوم يمضى لا يعـــو
والمرء يـــولد غير مخـــ
هذا وذاك وكلهـــبـــها
أو بعد ذلك يستطـــي
رب الســـماوات العلى
إنى لأرجـــو أن تشو
من لم يعمـــر قلبه الـ

كـب فى السما بدرًا فبدرًا ؟
ل ، وسير الأمواه بـجـرا ؟
م وساقه للأرض قطرا ؟
لا أستطيع لمن حصـــرا
جاءت لأمر ليس يدري ؟
هد وهى فوق الأرض تتـــبرى
لمع ثم تغرب وهى حـــرى
طر لا ينى مدًا وجـــزرا
فيه أراه مستقـــبرا
ر ويقتفيه الليل إـــبرا
أعمـــارنـــها كرا وفـــبرا
د كأنمـــا قد حل قـــبرا
تار ، وبعد يموت قســـبرا
تدعو الحكيم بـــه أن يقـــبرا
ع المرء بالديان كفـــبرا ؟
والموجد الأشيـــاء طـــبرا
ب إلى الهدى فأنال أجـــبرا
إيمان ظل الدهر قفـــبرا

نعم ، كان أبو ماضى مؤمنًا حقًا ، فلولا هذا الإيمان الذى ملأ قلبه فى صباه
لما صمد فى هذه الحياة بعد الذى أصابه فيها . وكـم كان صادقاً حين قال فى
قصيدة (٢٩) تكشف عن شخصيته :

فما حطمت يد الأيسام روحى وإن حطمت أباريتى ودنى

الحواشي

- (١-٣) عبد اللطيف شرارة ، « إيليا أبو ماضي : دراسة تحليلية » . بيروت ، دار بيروت / دار صادر ، ١٩٦٥ ، ص ٦ ، ٢٨ ، ٣٤ على التوالي .
- (٤) عيسى الناعوري ، « إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث » . ط ٢ . بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٥٨ ، ص ١٦ - ١٧ .
- (٥) نادرة جميل سراج ، « دراسات في شعر المهجر : شعراء الرابطة القلمية » . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ص ٣٣٩ ، أو ١٩٦٤ ، ص ٣٣٦ .
- (٦-٧) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم . « الشعر العربي في المهجر : أميركا الشمالية » . بيروت ، دار صادر / دار بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٦٥ و ١٥٢ على التوالي .
- (٨) راجع القصيدة في « ديوان تذكارات الماضي ، نظم إيليا ظاهر أبو ماضي » ، الجزء الأول . الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٩) راجع القصيدة كلها في « ديوان إيليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني . نيويورك ، مطبعة مرآة الغرب اليومية ، ١٩١٩ ، ص ١٦٦ - ١٦٨ ، و عنوانها « مصرع القمر » . نشرت أصلاً بعنوان « دعة حارة » في « السائح » ١٩١٦/٤/٢٤ ، ص ٤ . راجع كذلك « السائح » ١٩١٦/٤/٢٧ ، ص ٣ ، تحت عنوان « واجب الشكر » .
- (١٠) نشرت القصيدة أصلاً في « السائح » ١٥ / ٥ / ١٩١٦ ، ص ٤ ، ثم في « ديوان نعمة الحاج » ، الجزء الأول . نيويورك ، المطبعة التجارية السورية الأمريكية ، [١٩٢١] ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (١١) القصيدة في « السائح » ٦ / ٤ / ١٩١٦ ، ص ٤ .
- (١٢) جرجي إبراهيم نصر ، « أمير شعراء المهجر : إيليا أبو ماضي ، ١٨٨٩ - ١٩٥٧ » ، « المشرق » البيروتية ، ت ٢ - ك ١ (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٦٩ ، ص ٦٥٢ .
- (١٣) نشر أبو ماضي هذه القصائد الثلاث في « الفنون » النيويوركية ، آب (أغسطس) ١٩١٦ ، ص ٢٤٤ ؛ « السائح » ١١ / ١٠ / ١٩١٧ ، ص ٤ ؛ و « السائح الممتاز » ١٧ / ١ / ١٩١٨ ، ص ٢ ، على التوالي . ثم ضمنها « ديوان إيليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني ، ١٩١٩ ، ص ٢٨ ، ١٩٠ ، ١٥٦ . والملاحظ أن أبا ماضي كان يغير أحياناً عناوين قصائده ، عندما ينشرها في ديوان . فقصيدة « إذا مت » أصبحت « ابنة الفجر » ، و « أنة نائح » أصبحت « يا جارتى » . والعنوانان الجديدان - كما نرى - خاليان من النغمة الحزينة . وأحب أن أشير هنا أيضاً إلى المثل اللاتيني Per aspera ad astra الذي أدرجه أبو ماضي في نهاية قصيدة « عصر الرشيد » ، ص ٣٢ من الديوان المذكور ، والذي ترجمته « خلال الصعاب إلى النجوم » .

- (١٤) « السائح » ١٥ / ٤ / ١٩١٨ ، ص ٠٢ راجع كذلك « السائح » ٢٢ / ٤ / ١٩١٨ ، ص ٥ ، التي نشرت تحت عنوان « مداعبة شعرية » قصيدتين : الأولى لندرة حداد نظمها بمناسبة خطبة صديقه إيليا ، والثانية لأبي ماضي يرد بها على نذرة .
- (١٥) « السائح » ٢٦ / ٤ / ١٩٢٠ ، ص ٠٢ .
- (١٦) جرجي إبراهيم نصر ، ص ٦٥٦ .
- (١٧) « السائح » ٢٧ / ٢ / ١٩٢٢ ، ص ٢ ، و « الريحاني ومعاصروه : رسائل الأدباء إليه » ، جمعها ألبرت الريحاني . بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٨ .
- (١٨) « السائح » ١٢ / ٤ / ١٩٢٣ ، ص ٢ .
- (١٩) جورج صيدح ، « أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأميركية » . ط ٣ . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩٥ . راجع كذلك خيرية خيري ، « إيليا أبو ماضي يقول . . . » ، مجلة « الجليل » القاهرية ، ١٤ / ١١ / ١٩٥٥ ، ص ٣٥ .
- (٢٠) « السائح » ٢٩ / ١ / ١٩٣١ ، ص ٢٣ .
- (٢١) « الحمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٩ .
- (٢٢) « الهدى » النيويوركية ٥ / ٥ / ١٩٣٣ ، ص ٣ .
- (٢٣) « الهدى » ١١ / ٧ / ١٩٣٦ ، ص ١ ، و « السائح » ١٣ / ٧ ، ص ٢ .
- لم تذكر هاتان الجريدتان تاريخ ميلاد دياب أو سنه عند الوفاة ، أما جريدة ال «نيويورك تايمز» بتاريخ ١٤ / ٧ ، ص ٢٠ ، فتفيدنا بأن عمره كان ٥٦ عاماً .
- (٢٤) « السائح » ٢٢ / ٣ / ١٩٤٣ ، ص ٣ ؛ ٢٩ / ٣ ، ص ٣ . « الهدى » ٢٣ / ٣ ، ص ٣ . نرجح هذه السن إذا كان صحيحاً أن الوالد كان له من العمر ٧٦ سنة عندما توفي ، حسب ما ذكره جرجي إبراهيم نصر ، ص ٦٥٢ .
- (٢٥) الأب رفائيل نخلة اليسوعي ، « الشاعر إيليا أبو ماضي » ، ١٨٩٠ - ١٩٥٧ ، « المشرق » ، ك ٢ - شباط (يناير - فبراير) ١٩٦٨ ، ص ٨٤ ، ٧٧ ، ٨٦ .
- (٢٦) الأب لويس شيخو اليسوعي ، « تبرئة أبي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء » ، « المشرق » ، ١ / ١٢ / ١٩٠١ ، ص ١٠٦٨ - ١٠٧٢ .
- (٢٧) « إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر : شعر ودراسة » . ط ٢ . (دمشق) ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٣ ، ص ٨٦ .
- (٢٨) تفضل صديق الدكتور روبرت ماضي فوضع مخطوطات والده بين يدي والتي منها هذه القصيدة :
- (٢٩) قصيدة « وقائلة » في « الحمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ ، ص ٣٨ .

(٢) تبرئة أبى ماضى

هناك قصيدة فى ديوان « الحمائل » يتجلى فيها شك إيليا ظاهر أبى ماضى وحيرته تجلياً واضحاً : هذه القصيدة هى القصيدة الثالثة فى الديوان ، وهى تقع فى ٥٧ بيتاً^(١) ، اختارها ناظمها عنوان « الدمة الحرساء » . وقبل أن نباشر النظر فى هذه القصيدة^(٢) ، اسمح لى أيها القارئ العزيز - لضيق المكان - أن أورد لها لك مختصرة بالشكل الآتى :

سمعت عويل النائحات عشية	فى الحى يبتعث الأسى ويشير
يبكين فى جنح الظلام صبية	إن البكاء على الشباب مرير
قالت ، وقد سلخ ابتسامتها الأسى :	صدق الذى قال « الحياة غرور »
أكذا نموت . وتنقضى أحلامنا	فى لحظة ، وإلى التراب نصير ؟
وتموج ديدان الثرى فى أكبد	كانت تموج بها المنى وتمور ؟
خير إذن منا الألى لم يولدوا	ومن الأنسام جلامد وضخور
وتهقفت ، فشعرت بعد حديثها	أن الوجود مشوش مبتهور
الصيف ينفث حره من حولنا	وأنا أحسن كأننى مقبور
سأقت إلى قلبى الشكوك فنغصت	لبنى ، وليس مع الشكوك سرور
فأنجبتها : لتكن لديدان الثرى	أجسامنا ، إن الجسوم قشور
لا تجزعى ، فالموت ليس يضيرنا	فلنا إياب بعده ونشور
إنا سنبتى بعد أن يمضى الورى	ويزول هذا العالم المنظور
فتبسمت ، وبدأ الرضى فى وجهها	إذ راقها التمثيل والتصوير
عاجلتها بالوهم فهى قريرة	ولكم أفاد الموضع التخدير
لكننى لمنا أويت لمضجعى	نخشن الفراش على وهو وثير
(سلب الفواد رثاه والجفن الكرى .	هم عرا ، فكلاهما موتور)
حامت على روحى الشكوك كأنها	وكانهن فريسة وصقور

ولقد بلحات إلى الرجاء فعقني
 باليل ! أين النور ؟ إلى تائبه
 « أكذا نموت ، وتنقضي أحلامنا
 في لحظة ، وإلى التراب نصير ؟ »
 « خير إذن منا الألى لم يولدوا
 ومن الأنام جنادل وصخور »

نظم أبو ماضي هذه القصيدة في نيويورك ، صيف ١٩٣٢ . وهي كما نرى
 محاورة دارت بينه وبين امرأة وصفها لنا الشاعر بأنها « متجهمة » ، « مرتاعة » ،
 « متحيرة » ، « واجمة » ، « ذاهلة » ، « في مقلتيها دمعة » ، لأنها « سمعت عويل
 النائمات عشيّة ، يبكين في جنح الظلام صبية » . ثم يفيدنا شاعرنا بأن هذه المرأة
 « ساقط إلى قلبه الشكوك » ونغصت ليله ، بسبب حديثها .

وليس من الصعب علينا التعرف على هوية هذه المرأة ، التي لم يذكر لنا اسمها
 الشاعر ، إذا وضعنا أمامنا ، جنباً إلى جنب ، تاريخاً دقيقاً لقصائد أبي ماضي ،
 وكذلك تاريخاً لوقائع حياته . فلم تكن هذه المرأة إلا دوروثي (دورا) ، شريكة
 حياته ، التي لم يكن حظها في هذه الحياة بأسعد من حظ إيليا ، الذي رأيناها
 سابقاً^(٣) . فقد كان لها ، هي الأخرى ، نصيبها الخاص والكافي من الشقاء .

فنحن نعلم أنه ما كاد ينقضي عام على زواجها من إيليا حتى مرضت أمها
 كاترين ، واضطرت إلى دخول مستشفى « روزفلت » بمدينة نيويورك . وهناك بقيت
 ثلاثة أشهر طريحة الفراش تعاني آلام السرطان . فلما عجز أشهر الأطباء عن
 معالجتها ، وازدادت وطأة المرض عليها ، أسلمت الروح صباح الثلاثاء
 ١٠/٨/١٩٢١ ، ولها من العمر ٤٣ سنة ، تاركة وراءها رجلها نجيب وخمس بنات
 وولد ، أكبرهم دوروثي .

كان هذا أول مصاب أليم لدوروثي مع إيليا . وفي هذا المصاب الأليم ، كتب
 إيليا ، كصحنى ، في افتتاحية عنوانها « فقيدتنا » : « سدد القضاء أحد سهامه ،
 ورمى به قلوبنا فأصاب حبها . لذلك تشعر هذه الجريدة التي طالما آست أصدقاءها
 في المصائب والملمات أنها بحاجة إلى عاطفة كل صديق » . وكشاعر ، نظم إيليا
 الأبيات الآتية في حماته :

مضت التي كانت كزنبقة الربى في طهرها وأريجها وصفاتها

فبكت عليها الزهر في جناتها
وكأنما الأغصان أثقلها الأسى
ومشى النسيم إلى الزهور معزياً
فكأنه ممن ربوا في ظلها
والله ليس تنى النفوس حقوقها
إن كان قد سلب الحمام حياتها
وبكت عليها الطير في وكناتها
أفما تراها قوست قاماتها ؟
يبكى ، وتمسح كفه عبراتها
وكأنما الأزهار من فتياتها
حتى تفيض اليوم مع حسراتها
هيهات يسلبنا الردى حسناتها

أما مصيبة دوروثى الثانية ، فكانت يوم وضعت نجلها الثانى إدوارد ، فى ١٧/١/١٩٢٤ ، لتجده إنساناً عاجزاً كل العجز فى هذه الحياة .

ثم تأتيا صدمة جديدة ، فجر الاثنين ٢٨/٣/١٩٣٢ ، عندما تنتقل شقيقتها أولغا - رابع بنات نجيب موسى دياب ، وعقيلة فريد إلياس مسلم - إلى رحمة الله إثر عملية الزائدة المعوية ، وهى شابة فى عقدها الثالث . فتبكى دوروثى على أختها مع ذويها من هول الفاجعة .. وعلى حافة القبر ، فى مقبرة غرينوود - يقول لنا محرر جريدة «مرآة الغرب» النيويوركية - « انبرى صهر الفقيده الأستاذ إيليا أبو ماضى يخاطب الأخت بالدموع والزفرات ، مودعاً من كانت كالفجر ابتسامة ، والعصافير إنشاداً ، والزهور أخلاقاً ، فبكى وأبكى » .

زهرة ولت ، وما لى شذاها
فى الأقاليم وأزاهير الربى
والدرارى كلمسا لاحت لنا
والسواقى وهى تشدو للضحى
والحيا ينهل ماء فى الثرى
روح الحى فأمسى ساهراً
بالكف الموت من قباسية
كيف لم تشفق على إخوتها
قد محأ أفراحنا صرف الردى
فحملنا النار فى أكبادنا
زهرة ، بل روضة كان التنى
خفيت عنا وما زلنا نراها
فبهاها رائع مثل بهابها
فلقد كان سناها كسناها
فلكم أصغت إلى همس حصاها
وأريجاً ورواء فى ثنراها
حائراً يسأل : ماذا قد عراها ؟
كيف غالت فى الدجى فجر صباها ؟
وذويها ؟ كيف لم ترحم أباهها ؟
وطوى آمالنا لما طواهها
ونفت أعيننا عنها كراهها
والندى والطهر من بعض حلاها

نظر الله إليها بعدما خلع الحسن عليها فاشتتهاها
فدعاها ، فمضت من عالم لم يكن غير طريق لحماها
هل رأيتم أو سمعتم نجمة قبلها قد أصبح القبر سماها ؟

لم يكن فقد أولغا سهلا على دوروثي ، فقد ظلت أشهراً بعد هذه الكارثة ترى
شبح الموت ماثلاً أمامها ، وتسمع صوت النائمات يرن في أذنيها . وكانت تجلس إلى
إيليا موجهة تريد جواباً ، فيحاول هذا أن يصبرها ، لكن ألمها يحز في نفسه ، وهما
يكبر همه ، وتحيرها يزيد حيرته ، وتساؤلها يقوى تساؤله ، وشكوكها التي كانت
تسوقها إليه كانت تضاعف شكه . وكان نتيجة طبيعية لهذه الأزمة النفسية ، التي
مرت بها دوروثي وإيليا معها ، أن تتولد قصيدة « الدمعة الخرساء » ، أو قصيدة
« الشك » كما أحب أن أسميها .

قرأ أبو ماضي مرة مقالاً عنوانه : « هل يولد الشعراء شعراء ؟ » ، فأوحى إليه
هذا المقال بمقال بدأه بهذه العبارة : « عثرت في مطالعتي على هذا المقال ،
فاستهواني عنوانه . لأنه سؤال ، ولأن وراء كل سؤال شكاً . والشك فاتحة
الإيمان » .

هذا هو رأي أبو ماضي الصريح في الشك . وشك الرجل ، كما تدل عليه
تفاصيل حياته ، ما كان في يوم ما شك اختيار ، وإنما شك اضطرار .

كان أبو ماضي حيناً عندما اتهمه بعض الناس بأنه كان ملحداً كافراً . وكان هذا
الاتهام عادة ما يوجه إلى الرجل عقب اختلاف أو خلاف يقوم لسبب أو لآخر بينه
وبين هؤلاء ، وكان هذا الاتهام هو أسهل الطرق وأشنعها التي توصل إليها هؤلاء
للانتقام من الرجل في حياته .

أما وقد منى الرجل إلى ربه ، وانقضى خمسة عشر عاماً على وفاته ، فأى
عذر لنا ، بل أى حق — نحن الذين لا نعرفه إلا من دواوينه ، ولا تربطنا به إلا
الرابطة الإنسانية — أن نتابع ترديد اتهام قديم بثه بعضهم ضد الرجل لغرض في
أنفوسهم ، قبل أن نقوم بدراسة علمية موضوعية حقة للرجل وإنتاجه ؟

توفيت أخته الوحيدة جنى — كما علمنا — في ربيع ١٩٢٣ ، إثر ولادتها الأولى .

فلما وصله نعيها صدم ، وأمسك القلم وخط :

« عجز عقلي ، عن ضبط العاطفة . لأنه محدود ، وهي غير محدودة .
هي زوبعة لا تقيد بسلاسل .

هي نار سرمدية لا تكافح ولا تغلب .

لذلك لم يستطع العقل ، وهو السلطان الأكبر ، أن يمنعها من العويل والصراخ ،
وعجزت أنا عن أن أكون أصم .

ذلك يوم قال الناعي : ماتت « جنى » !

إنني أحس كأن الحزن يعتصر قلبي زفرات ، ويستقطره عبرات ، وأشعر كأن
روحي طائر مهيبض في أشراك ، أو زهرة تخنقها الأشواك . وكأنني لما بي من الحزن
عليك أرسف في قيود من الحديد ، ولا قيود ولا أغلال . ولكنها الحسرات في النفس
تثقل الخطى ، وتوهن القوى .

كنت في دنياي كالحالم يرى نفسه سائراً في المروج الخضراء ، لا يقع بصره
إلا على مشهد جميل ، ولا يطرق سمعه إلا صوت رخيم . فلما جاعني نعيك
استيقظت لألمس الأشواك في روحي ، وأحس بوخزها وأبكى . . .

أنا لا أعرف ما بعد الموت ، وربما كان ليس لي أن أعرف . ذلك سر مخفي ،
ذلك هو اللغز الأكبر . ولكنني أعرف أن في العالم فكرتين ساريتين يعول عليهما الناس .
وفي كليهما تعزية للروح الكئيبة مثل روحي .

الأولى ، فكرة المؤمنين بالبعث والمعاد ، القائلين إن بعد هذه الحياة حياة
أخرى ، أبهى وأجمل ، وأسنى وأكمل ، وإن الموت هو الجسر الذي يعبر عليه الناس
إلى تلك الحياة . . .

والفكرة الثانية ، هي فكرة الفلاسفة الذين يشتون لإخوانهم البشر أن الإنسان
مادة ، وأن المادة لا تتفنى ، وأن ما يكون اليوم ولا يكون غداً ، هو كائن موجود ،
ولكن في شكل غير شكله الأول .

فأنا على الاعتقاد الأول ، أغبطك لأنك عبرت ذلك الجسر إلى الحياة التي
لا حزن فيها ولا غم ، وسأظل أسقى شجرة الأمل في نفسي إلى أن تنطلق من قفصها
الترابي ، فتلتقي روحي وروحك ، حيث لا تحذران الفراق .

وأنا على اعتقاد القائلين بتحول المادة وخلودها ، وسأظل مؤمناً بوجودك إيماني بوجودي ، ولا أرى في التحول بأساً عليك ، فأنت لا تصيرين إلا إلى حسن جميل ، لأنك كنت وما تحبين إلا الحسن الجميل ، وما فيك إلا الجميل الحسن .

هذا هو معتقد أبي ماضي ، وهو معتقد واضح ، ليس فيه إنكار للآخرة والمعاد ، ولا إنكار لله خالق العباد . فكيف نستطيع إذن أن نتهم الرجل بالكفر والإلحاد ؟ لست أدري !

على أنه إذا أصررنا على اتهام الرجل بالشك والإلحاد ، بعد كل الذي أثبتناه آنفاً ، لا يبقى أمامنا سوى اللجوء إلى طريقة أخرى هي « طريقة التحليل الإحصائي الكمي » . و « طريقة التحليل الإحصائي الكمي » هذه ، في الدراسات الأدبية ، اتجه علمي حديث يهدف إلى دعم هذه الدراسات باستخلاص الحقائق من النصوص الأدبية موضوعياً ، وقياسها رقمياً .

فلو أخذنا شاعرنا أبا ماضي ، وقسمنا حياته إلى مراحل ، تنهى كل منها بتاريخ نشر ديوان ، ثم حصرنا كل الألفاظ التي لها علاقة بالأصل « شك ك » بمعنى « نقيض اليقين » — كما هو مبين أدناه — وبعدها حسبنا عدد مرات تردها في كل من هذه المراحل ، لانتهينا إلى الجدول التالي الذي يبين لنا تطور « الشك » عند أبي ماضي ، كفكرة عالقة بذهنه ، مترددة في نفسه :

المرحلة	١	٢	٣	٤	٥
الديوان	تذكار الثاني	جداول خمائل تبر			
النشر	١٩١١	١٩١٩	١٩٢٧	١٩٤٠	١٩٥٧ ؟ مجموع
شك (فعل)	٣	٢	—	—	٥ (—)
شك (اسم)	١	٨	٢	٣	١٤ (—)
شكوك	١	١	—	٣	٥ (٢)
مجموع الفكرة	٥	١١	٢	٦	٢٤ (٢)

والملاحظ من هذا الجدول أنه :

(١) تكررت كلمة « شكوك » خمس مرات في دواوين أبي ماضي الخمسة

المعروفة ، منها ثلاث في ديوان « الحمائل » . وهذه كلها في قصيدة « الدمعة الحرساء » .

(ب) يتأرجح الشك عند الشاعر صعوداً هبوطاً على التوالي ، فهو أشد في المرحلتين ٢ و ٤ منه في المرحلتين ١ و ٣ ، ثم إنه أشد في المرحلة ٢ منه في المرحلة ٤ .
(ح) ينعدم الشك كلية في المرحلة ٥ الأخيرة .

فإذا قارنا كميّاً « الشك » عند أبي ماضي بـ « الموت » عنده ، وجدنا أن فكرة الشك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الموت ، بل هي صورة حقيقية لها ، كما يتبين من الجدول الآتي :

المرحلة	١	٢	٣	٤	٥	مجموع
مات	٦	٢٨	٧	١٣	١٥	٦٩ (٣)
موت	١٣	٣٠	١٨	٢٢	١٢	٩٥ (—)
مجموع الفكرة	١٩	٥٨	٢٥	٣٥	٢٧	١٦٤ (٣)

فالواضح من هذا الجدول (وفيه أتينا ، للإيجاز ، بكلمتين فقط من الأصل « م و ت » ، ولم نأت بتلك من أصل « م ن ن » و « م ن ي ») :

- (أ) أن فكرة الموت لازمت الشاعر طول حياته .
(ب) أنها تسلطت عليه أكثر في المرحلتين ٢ و ٤ منها في المراحل ١ و ٣ و ٥ .
(ح) أنها في المرحلة ٢ أشد منها في المرحلة ٤ .
(د) أنها في المرحلة ٥ الأخيرة تقف منفردة لا يقابلها « شك » .

هذا عن فكرتي « الشك » و « الموت » . أما عن فكرتي « الإيمان » و « الكفر والإلحاد » ، فيمكن أن يقال ، بناء على الجدول التالي ، إن الفكرة الأولى أقوى عند أبي ماضي من الثانية ، وأنها تتجه اتجاهاً تزايدياً لتصل ذروتها في المرحلة ٤ ، والثانية تتجه اتجاهاً تناقصياً لتنعدم في المرحلة ٥ .

المرحلة	١	٢	٣	٤	٥	مجموع	
آمن (فعل)	—	٢	١	٢	١	٦	(٢)
إيمان	١	١	٢	٣	٢	٩	(٢)
مؤمن	—	—	١	٢	—	٣	(١)
مجموع الفكرة	١	٣	٤	٧	٣	١٨	(٥)

* * *

كفر (فعل)	١	١	—	—	—	٢	(١)
كفر (اسم)	١	٢	—	—	—	٣	(٢)
كافر	—	٢	١	١	—	٤	(٢)
كفران (مصدر)	٢	—	—	—	—	٢	(٢)
إلحاد	١	—	١	—	—	٢	(١)
مجموع الفكرة	٥	٥	٢	١	—	١٣	(٨)

فإذا أردنا تلخيص الجداول الأربعة السابقة في جدول واحد ، بحيث يظهر أمامنا المجموع الكلي للفكر الأربع مرتباً ترتيباً تنازلياً ، ثم أدخلنا في حسابنا هذه المرة الكلمات القوافي (وهي الكلمات التي يمكن أن يقال عنها — مع التحفظ — إن أبا ماضي اختارها دون غيرها للضرورة الشعرية ، والتي بينا عدد مرات ورودها) بين قوسين بعد كل مجموع في الجداول السابقة) لانتهينا إلى الجدول التالي الذي لا يحتاج إلى إيضاح :

الفكرة	مرات ورودها	منها كقافية
موت	١٦٤	٣
شك	٢٤	٢
إيمان	١٨	٥
كفر وإلحاد	١٣	٨

الحواشي

(١) القصيدة في الأصل كانت ٥٨ بيتاً ، فلما أعيد نشرها في « الحمائل » ، نيويورك ، مطبعة السميع اليومية ، ١٩٤٠ ، سقط منها بيت ، وضعته بين قوسين في النص التالي . وهنا أيضاً يجب الإشارة إلى أن القصيدة لا تظهر في « الحمائل » طبعة دار العلم للملايين ، ولكنها تظهر ملحقة بـ « الجداول » مع قصائد أخرى .

(٢) راجع تحليلاً فنياً للقصيدة في « الشعر العربي في المهجر : أميركا الشمالية » ، تأليف إحسان عباس ومحمد يوسف نجم . بيروت ، دار بيروت / دار صادر ، ١٩٥٧ ، ص ١١٠ - ١١٢ .

(٣) راجع مقالة سابقة في « الأدب » البيروتية ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢ ، ص ٢٢ - ٢٥ .

(٣) نساء ثلاث فى حياة أبى ماضى

(١)

« سمعته — وأنا جالسة أمامه وجهًا لوجه يقول لى :

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الحائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتان فى الأفق البعيد
سلمى ، بماذا تفكرين ؟
سلمى ، بماذا تحلمين ؟

ولم يقل لى صاحب هذه الأبيات ، الشاعر العربى المعروف إيليا أبو ماضى ،
من هى سلمى . كنا جالسين حول مائدة فى مطعم « النجم الشرقى » فى حى
بروكلين بنيويورك . وسألته عن أحب قصائد الغزل التى كتبها . فأخذ منى القلم
والورقة التى أمامى ورفع نظارته عن عينيه وأسترسل فى كتابة القصيدة كلها . ثم ألقاها
باسمًا ، وكأن ذكرى هذه الأبيات حركت فى نفسه عاطفة قديمة . فسألته ما هى
أكبر قصة حب فى حياته ؟ فأجابنى ضاحكًا : « شوها الفضيحة هايدى » .

هذا ما كتبه الصحفية المصرية خيرية خيرى فى مجلة « الجيل » القاهرية ،
أواخر عام ١٩٥٥ ، بعدما زارت أبا ماضى قبل وفاته بستين ، وكان شاعرنا وقتذاك
فى شيخوته ، قد بلغ من العمر السادسة والستين ، ومضى على نظمه لهذه القصيدة
٣٤ سنة .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يختار فيها أبو ماضى قصيدة « المساء » عندما
يطلب إليه الاختيار من أشعاره . فقد اختار القصيدة نفسها من قبل لتكون ضمن
« مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ » . وما كان إصراره على الاختيار نفسه لولا
مكانة سلمى عنده .

فمن هى ، يا ترى ، سلمى هذه التى ردد أبو ماضى اسمها فى قصيدة « المساء » ،

والتي ضمن على الصحفية بالحديث عنها ؟ من هي هذه المرأة التي ظل إيليا يذكرها حتى آخر أيامه ، وظل قلبه ينبض بحبها ؟ من هي هذه الأنثى التي تغنى بها شاعرنا واستحقت منه قصيدة بكاملها ، أودعها ديوانه « الجداول » ، ونخلد فيها اسمها ؟ إن سلمى هذه ليست من نسج خيال أبي ماضي ، كما تعود أن يفعل الشعراء أحياناً ، بل هي امرأة حقيقية عرفها أبو ماضي معرفة شخصية وثيقة ، فعرف آملها وآلامها في الحياة . سلمى هذه هي سلمى ابنة جرجس إسكندر ، من محبته لبنان . هي أم مراد ، والدة إيليا نفسه . تذكرها أبو ماضي أيام كانت شابة في ضحاها ، ثم تصورها — وكان يومها في غربته بعيداً عنها — واقفة على أبواب الشيخوخة ، جالسة ورأسها بين يديها تتطلع إلى الأفق البعيد ، فكان نظمته لهذه القصيدة ، وتصويره لأمه هذا التصوير الدقيق الحى :

أرأيت أحلام الطفولة تختفى خلف التخوم ؟
أم أبصرت عيناك أوجاع الكهولة في الغيوم ؟
أم خفت أن يأتي الدجى الجانى ولا تأتى النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد ، إنما
أظلالها فى ناظريك
ثم يا سلمى عليك

إنى أراك كسائح فى القفر ضل عن الطريق
يرجو صديتماً فى القلاة ، وأين فى القفر الصديق ؟
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروق
بل أذت أعظم حيرة من فارس تحت القتام
لا يستطيع الانتصار
ولا يطيق الانكسار

هذى الهواجس لم تكن مرسومة فى مقلتيك
فلقد رأيتك فى الضحى ورأيتك فى وجنتيك
لكن وجدتك فى المساء وضعت رأسك فى يديك

وجلست في عينيك الغاز ، وفي النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى ، بماذا تفكرين ؟

لتكن حياتك كلها أملا جميلا طيبا
وتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والصبا
مثل الكواكب في السماء ، وكالأزاهر في الربى
ليكن بأمر الحب قلبك عالماً في ذاته
أزهاره لا تذبل
ونجومه لا تأفل

مات النهار ابن الصباح ، فلا تقولى : كيف مات ؟
إن التأمل في الحياة يزيد آلام الحياة
فدعى الكتابة والأسى ، واسترجعى مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء

ولا يفوتنا بعد قراءة « المساء » إلا أن نلاحظ شدة التشابه بين أفكار هذه القصيدة وكلماتها وبين أفكار وكلمات قطعة « ابسمى » ، التي أدرجها أبو ماضي في « الحمائل » ، والتي تكاد تكون ملخصاً لـ « المساء » ، ولا شك أيضاً أنها موصولة بها .

ففي الاثنتين « سماء ومساء ، نجوم وغيوم ، أحلام وابتسام ، زهر وستر » .
أما « الضوء ، والظلام ، والجنان ، والأريج ، والتهلل » الذي تطالعنا به قصيدة « المساء » فيرادفه في « ابسمى » : « النور وتواريه ، والروض ، والشذا ، والفرح » .

لقد ردد إيليا في « ابسمى » على سلمى ، وهي في شيخونحتها ، ما خاطبها به من قبل في « المساء » ، وهو يحاول أن يتخفف عنها ما لاقته من مأس في حياتها :

ابسمى كالورد في فجر الصباء وابسمى كالنجم إن جن المساء
 وإذا ما كفن الثلج الثرى وإذا ما ستر الغيم السماء
 وتورى الروض من أزهاره وتورى النور في كهف الشتاء
 فاحلمى بالصيف ثم ابتسمى تخلى حولك زهراً وشبذاء
 وإذا سر نفوساً أنهـا تحسن الأخذ فسرى بالعطاء
 وإذا أعياك أن تعطى الغنى فافرحى ، إنك تعطين الرجاء

وبرغم أننا لا نعرف شيئاً مفصلاً عن أم إيليا ، كفتاة وامرأة وزوجة وأم
 وجدة ، فإن الوقائع الرئيسية في حياتها أمامنا لا تنقصنا . فقد تزوجت سلمى
 ابن بلدتها ظاهر (ضاهر) بن إيليا بن طانيوس أبي ماضى ، وأنجبت ستة أولاد
 هم : مراد ، إيليا ، مثرى (ديمترى) ، طانيوس ، إبراهيم ، جنى . ثم فجعت
 الأربعة الصغار وهم في ريعان الشباب . ومن قرية المحيدثة ، انتقلت إلى قوسايا
 البقاع لتسكن هي وزوجها مع ابنتها جنى ، عندما تزوجت هذه الابنة . فلما
 توفي الله جنى ، ربيع ١٩٢٣ ، رحلت سلمى ، خريف نفس العام ، إلى الولايات
 المتحدة بصحبة رجلها ، لتستقر معه في مدينة نيويورك . وهناك ، بعد حوالى سبع
 سنوات من العيش في أمريكا ، حن الزوج إلى مراتع صباه وشبابه ، فرجع وحده
 إلى المحيدثة ، ليلقى ربه بعد أشهر من رجوعه ، مخلفاً وراءه سلمى في رعاية إيليا .
 ومع إيليا بقيت حتى وفاتها المنزل رقم ٢٥٣ شارع ٨٤ في بروكلين .

لقد عاشت سلمى قرب إيليا ما يقرب من عشرين عاماً ، تنعم بمرآه وبمرآى
 أولاده الثلاثة أحفادها و « دورا » أمهم ، وبمرآى ابنها الأكبر مراد وقرينته سليمة ،
 بين الحين والحين . ولما جاء دفنها في مقبرة جبل الزيتون ، مارس (آذار) ١٩٤٣ ،
 وقف توفيق فخر ، المحرر يومئذ في جريدة « السمير » ، يرثيها وتبعه في الرثاء ، فوزى
 البريدى ، صاحب جريدة « الإصلاح » النيويوركية .

هذا ما نستخلصه عن سلمى أبي ماضى ، من المراجع التى بين أيدينا .
 إلا أن هناك شيئاً آخر مهماً ، غير ما ذكرناه ، نعرفه عن سلمى ، ونستخلصه
 من أدب أبي ماضى نفسه . ذلك هو أن إيليا كان محبباً لسلمى ، رفيقاً بها ،
 شقيقاً عليها ، وأن هذا الشعور الجميل الذى كان يكتنه إيليا لها ليظهر جلياً

واضحاً في قصيدة « المساء » ، كما يظهر في قصيدتين أخريين ، قصيدة « هي » وقصيدة « وثبة خيال » . أما القصيدة الأولى فقد أودعها شاعرنا « الجداول » أيضاً ، وأما الثانية فما زالت مجهولة غير متداولة . ومع أن هاتين القصيدتين ترجمتا عن الإنجليزية بتصرف ، إلا أنهما تعبران عن شعور إيليا نحو والدته ، وتقومان دليلاً آخر على حبه لها . نسمعه في ختام « هي » يقول :

وأنت قال الصبح واستضحكوا -	هل لك حسناء نحيتها ؟
قال : أجل ، أشرب سر التي	بالروح تفديني وأفديها
صورتها في القلب مطبوعة	لا شيء حتى الموت يمحوها
لا ترضاني رياء ولا	تلثمني كذباً وتمويهها
يضيع مالي ، ويزول الصبي	وحبها باق وحبها
قد وهبتني روحها كلها	ولم تخف أني أضحيها
سر التي لا غداة بينكم	مهما سمت في الحب تحكيها

فصاح رب الدار : ياسيدي ، وصفتها ، لم لا تسميها ؟

أتخجل باسم من تهوى ؟

أحسنا بغير اسم ؟

فأطرق غير مكترث

ونتم خاشعاً . . . : أمي

ويقف إيليا في « وثبة خيال » - أو قصيدة « كيف ودع البطل المجنح أمه »

كما هي معنونة أيضاً - طالباً دعاء أمه ، مشجعاً إياها ، فيقول على لسان الطيار

الأمريكي تشارلز لندبرج ، قبل ركوبه الطائرة لعبور المحيط الأطلسي :

حان المسير عن الحمى ، أماء مالك واجمة ؟

أفتجزعين من الكوارث . والكوارث نأمة ؟

المجد يدعوني إليـه ، وقد لمحت علائمه

في الشاطئ الثاني ، فقومي ودعيني بباسمه

إني تزودت الرجاء ، وحبذا منك الدعاء .

تبكين ؟ ما سبب البكاء ، وأى خير فى الدموع ؟
صوتى لآلى مقلتيك . فلست أرضى أن تضيع
لا تركى الإيمان تسحقه المخاوف فى الضلوع
واصغى إلى صوت الرجاء يقول فى غد الرجوع
أى ! اللقاء غداً . إذن فإلى اللقاء ، إلى اللقاء

* * *

أما إذا خاب الرجاء ، وخاننى ذاك المضاء
وجميع أحلامى تلاشت واضمحلت كالهباء
وأراد يصرعنى القضاء . ونال منى ما يشاء
فهويت من أوج السماء إلى الحضيض . . إلى العفاء
لا تعولى كالنادبات ، فلن يردنى البكاء

داعب « مداعب » مرة أبا ماضى ، عام ١٩٢٤ ، بمقالة طريفة نشرها فى
« السائح » ، تحت عنوان « حلم مزعج » . الحكم على محور « المرأة » بالإعدام .
محكمة شعبية فى السماء » ، افتتحها بقوله :

« توفيت والدتى بالأمس ، فنعيتها إلى أبناء أمتى على صفحات الجرائد العربية ،
وذيلت النعية بهذه العبارة : « لا لزوم لإرسال أزهار » .

كان ذلك لأننى أردت اتباع المبدأ الجديد ، وهو تحويل تلك الأموال الطائلة
التي كان ينفقها السوريون على الأزهار إلى مساعدة المشاريع الخيرية المفيدة .

ولا تخفى أن صاحب هذه الفكرة الحميدة هو محور « مرآة الغرب » .

فلما طالع أبو ماضى المقالة ، بعث إلى مداعبه برد ، ظهر فى العدد التالى
بعنوان « صدى الحلم المزعج » ، جاء فيه :

« قرأت فى اليقظة حكايتك الكرى ، فسررتى منها أمور ، وساءتني أمور ...

ساءتني ، بل أغضبني ، ارتعاشك واضطرابك ، واستيحاشك عند رؤيتك شبح
والدتك يقترب منك . وكان يجب أن تبهج روحك برؤية خيالها ، كما كنت
تبهج وهى معك فى هذه الدنيا ، لا أن يغمر عليك من الخوف . ليت شعري ،

إذا كان المرء يرتاع من رؤية أمه في الكرى أوفى اليقظة ، فبأى الناس يستأنس؟ » .
هذا هو شعور إيليا تجاه والدته سلمى ، المرأة الأولى والكبرى في حياته ،
شعور ابهاج وشعور استئناس دام معه في هذه الدنيا على الأيام حتى الممات .

(٢)

أما المرأة الثانية في حياة شاعرنا أبي ماضى فهي أخته أوجيني ، أو جنى كما
كان يحلو له أن يدعوها هو وأخوه الأكبر مراد . ونحن لا نعلم عن جنى إلا أقل
القليل ، فمعلوماتنا عنها محدودة للغاية . كل ما نعلمه أنها كانت شقيقة إيليا
الوحيدة ، وأنها كانت أصغر أفراد العائلة ، وأنها « تعاطت مهنة الخياطة » ،
واقترنت ١٩١٨ (هذا ما يذكره جرجى إبراهيم نصر ، والأرجح أنه ١٩٢١)
بالشاب إبراهيم نمر الخورى نعيمة ، من قرية قوسايا البقاع ، وأسكنت والديها
معها .

ولأن إيليا كان يعز جنى كثيراً ، فقد خلدها في مقالتين نشرهما في جريدة
« مرآة الغرب » . أما المقالة الأولى فقد ظهرت بعنوان كبير « أختي ! » . وتحت
هذا العنوان الكبير ، طبع الإهداء الآتى بالحرف الصغير : « مرفوعة إلى النجمة
الصغرى في سماء العائلة » . ولن أترجم للقارئ ما كتبه أبو ماضى في مقالته هذه
بإمضاء « الجندى المجهول » ، بل أكتفى - لضيق المكان - بإيراد افتتاحية المقالة
وكذلك ختامها كما خطها أبو ماضى بنفسه ، فهذا في رأي أجدى . قال :

« الدنيا أم » ، أجل ، والدنيا أخت أيضاً !

تشاءموا عند ولادتها ، أما أنا فقد قدست وأقدس وسوف أقدس الساعة التى
قدستها بولادتها .

نعم ، إن أمى عنوان الحنان والحب والدموع ، ولا غرو ، فأنا ثمرة أحشائها ،
وسند ضعفها ، وخادم هنائها وشيخونحتها . أما أختي فثال الانعطاف الفائق والدائم
والشاقى ، فى حين لست ثمرة أحشائها ، ولا سند ضعفها ، ولا خادم هنائها ،
ولا رفيق شيخونحتها . . .

الفى « يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته » ، والنقى يهجر أهله وموطنه ومبادئه . . .
من أجل أنانيته . أما الفتاة الأخت التى تسمو بنكران ذاتها على العصافير والأرواح
والملائكة ، فتظل ، أينما كانت وحيثما تذهب ، تائقة إلى موطنها ، متلهفة لوالديها
وإخوانها ، متعطشة أبداً إلى نسيات بلدها أو قريتها أو مزرعتها .

هى مثال تعاليم المسيح العلوية .

هى جمال الحياة المعنوية الروحية .

هى الأب والأم والأهل والوطن .

هى - هى أختى ! » .

ونحن لا ندرى المناسبة التى أوحى إلى إيليا بكتابة هذه الكلمة ، ولكننا نرجح
أنها كانت زواج جنى ، كما توحى إلينا به المقالة .

أما المقالة الثانية ، فقد نشرت بعد عام ونصف على نشر المقالة الأولى ،
بالعنوان نفسه ، مصدرة هذه المرة بصورة جنى . والمقالة مرثاة تفجع فيها إيليا على
شقيقته حين وصله من لبنان خبر وفاتها ، وهى عروس ، إثر ولادتها الأولى .

وكان على قدر حبه لجنى مقدار تفجعه عليها .

كتب يناجيها ، ونفسه فى منتهى الألم والحزن :

« يا أختى !

جاء نيسان (أبريل) يبشر الناس بولادة الأزهار فى الحمائل والروابي ،
وجاءنى بمصرعك ، وأنت أحب إلى من كل ريحانة وزهرة .

وجد الناس ربيعهم ، أما أنا فقد أضعت فى نيسان ربيعى .

ونبت الورد والبنفسج والأقحوان فى الحدائق ، وعلى ضفاف الأنهر ،
وجوانب الغدران ، ونبت الشوك والعوسج والقتاد فى قلبي .

وكان بينى وبينك هذا الأقيانوس الذى تجتازه السفن الكبرى والصغرى فى
أيام ، فأصبح بينى وبينك أوقيانوس لا يعبر بالسفن ولا بالطيارات فى دهور ،
هو أقيانوس الأبدية .

لا أقول كما يقول الناس إن الموت جبار غشوم ، وظالم لا يرحم ، ولكني أقول إن الإنسان مخلوق ضعيف .

وأنا ، يا أختي ، إنسان .

وددت ألا أبكي ، وددت ألا أتألم ، فكأنني وددت أن أكون جماداً . وما لي أن أكون كما أشاء لأن أمري ليس في يدي ، وإن خلت أنه في يدي .

وددت ألا أبكي ، فإذا صوت خفي في نفسي يهيب بي ، كأنه يبرر ضعفي : « لم خلق القلب إذا كان لا يتزلزل ؟ ولم خلقت الدموع إذا كانت لا تسيل ؟ »

فأحيت رأسي خاشعاً وبكيت !

مضى على زمان طويل بالنسبة إلى عمري ، أو إلى عمر الإنسان ، وأنا أعلل الحياة والموت بما يعللها البشر ، ولكن في لحظة واحدة كلمح الوهم ، أضعت كل ما عرفته من المقاييس العقلية ، وصرت كلي قلباً دامياً يتوجع . ذلك يوم قيل لي إنك انتقلت من الحيز الذي أنا فيه .

وكنيت أحسب أن الدمع يجلب الدمع ، والأسى يجلب الأسى ، وأن في ذلك السقم والفضنك والحسرة . ولكنني أدركت ، ويا هول ما أدركت ، أن الحزن لا لغة له إلا الدموع ، وأنها ألفاظ لا توجد في المعاجم ، بل حيث القلوب الصديعة والأرواح المعذبة ، وإنه إذا كانت قوة الألفاظ في اتساقها وانتظامها ، فقوة الدموع في انفراطها وانتشارها . فأنا لو اجتمع لي كل ما في الكتب من صور المعاني ، لما استطعت أن أترجم عن أيسر ما خامرني من الحزن عليك ، يا أختي ، فهو ليس أسف النفس على ضائع ، ولكنه حزن يخالطه الخوف على حب فوجئ بالزوال . هو جزع النفس على أسى وأعذب ما تحيا به وتسرع ، على حب الأخت ، الذي إذا ذهبت الأخت ذهب معها جزء من الروح ، وهو هذا الحب .

وطالما قال لي عقلي ، فأقنعني : « إن الحياة أول الموت ، وإن في المجيء الذهاب ، وفي الشروق الغياب ، وإن الموت غاية كل حي » . فكنت هكذا أقول لكل من فجع بحبيب ، أو أصيب بنسيب ، لكي أصرفه عن اليأس . ولكنني لما نعت إلى ، خذلني عقلي ، وخذلني لساني ، وأدركت أن ما كنت

أداوى به اليأس ، وأعالج به الجزع ، هو هو اليأس نفسه ، والجزع كله .
ذلك يوم تيتنت أنى . هذه الدنيا بلا أخت .

وكنت أقول لنفسي ، إن البكاء ضعف ، وإنه يهد عزم الباكي ، ولا يجدى
المبكي ، وإن بعض الدموع فى بعض المواقف إهوان . ولكنى لما فاجأنى النعى
لم أستطع أن ألجم جواد الدمع فبكيت . وكان دمعى سخيناً حاراً كأنما مقلتاى
ذبيحان يشخبان بالنجيع .

عجز عقلى عن ضبط العاطفة ، لأنه محدود ، وهى غير محدودة .
هى زوبعة لا تقيد بسلاسل .

هى نار سرمدية لا تكافح ولا تغلب .

لذلك لم يستطع العقل ، وهو السلطان الأكبر ، أن يمنعها من العويل
والصراخ ، وعجزت أنا عن أن أكون أصم .

ذلك يوم قال الناعى : ماتت « جنى » !

إننى أحس كأن الحزن يعتصر قلبى زفرات ، ويستقطره عبرات ، وأشعر
كأن روحى طائر مهيف فى أشراك ، أو زهرة تخنقها الأشواك ، وكأنى لما بى من
الحزن عليك أرسف فى قيود من الحديد ، ولا قيود ولا أغلال . ولكنها الحشرات
فى النفس تثقل الخطى ، وتوهن القوى .

كنت . دنيائى كالحالم يرى نفسه سائراً فى المروج الخضراء ، لا يقع بصره
إلا على مشهد جميل ، ولا يطرق سمعه إلا صوت رخيم . فلما جاءنى نعيك استيقظت
لألمس الأشواك فى روحى ، وأحس بوخزها وأبكى .

عزيز على ، يا أختى المحبوبة ، وأنت أختى الوحيدة ، أن تكون هذه خاتمة
الرجاء بلقائك بعدما مرت السنوات على هذا الرجاء .

وعزيز على أن يغيب ذلك المحيا الوسيم تحت أطباق الثرى .
ووجيع أن يقف ذلك القلب عن الحفقان .

ولكنى على ما بى من الحزن المذيب أشعر أنك لا تزالين جزءاً من نفسى .
فأنت حية عندى ما دمت أنا حياً .

وأكبر ما يعزيني هو أنك عشت كريمة ومت كريمة .
 أنا لا أعرف ما بعد الموت ، وربما كان ليس لي أن أعرف . ذلك سر خفي ،
 ذلك هو اللغز الأكبر . ولكني أعرف أن في العالم فكرتين ساريتين يعول عليهما
 الناس . وفي كلتيهما تغزية للروح الكثيبة مثل روحى .

الأولى ، فكرة المؤمنين بالبعث والمعاد ، القائلين إن بعد هذه الحياة حياة
 أخرى ، أبهى وأجمل ، وأسمى وأكمل ، وإن الموت هو الجسر الذى يعبر عليه
 الناس إلى تلك الحياة .

والفكرة الثانية ، هى فكرة الفلاسفة الذين يشبهون لإخوانهم البشر أن الإنسان
 مادة ، وأن المادة لا تفنى ، وأن ما يكون اليوم ولا يكون غداً ، هو كائن موجود ،
 ولكن فى شكل غير شكله الأول .

فأنا على الاعتقاد الأول ، أغبطك لأنك عبرت ذلك الجسر إلى الحياة التى
 لا حزن فيها ولا غم ، وسأظل أسقى شجرة الأمل فى نفسى إلى أن تنطلق من قفصها
 الترابى ، فتلتقى روحى وروحك ، حيث لا تحذران الفراق .

وأنا على اعتقاد القائلين بتحول المادة وخلودها ، وسأظل مؤمناً بوجودك إيماناً
 بوجودى ، ولا أرى فى التحول بأساً عليك ، فأنت لا تصيرين إلا إلى حسن جميل ،
 لأنك كنت وما تحبين إلا الحسن الجميل ، وما فيك إلا الجميل الحسن .

سأعطف على الزنبقة فى الحقل لأنها نقية مثلك ، ولعل قطرات الندى اللامعة
 عليها بعض أمانيك .

وأفتح باب روحى للفجر لعله ابتسامتك .
 وألتفت إلى البرق المتهلل ، متبته الحواس ، لعله خطرة من خطرات روحك .
 وأصغى بكليتى إلى النسيم السارى فى الرياض لعله يحمل أنفاسك .
 وأميل بسمعى إلى كل طائر غرد لعله يردد اسمك .
 وأستزير الأحلام فى الكرى لعل فيها خيالك .

سأراك فى الزهرة النظرة ، وقطرة الندى ، والفجر الضاحك ، والطائر

الغرد ، والكوكب المتألق ، لأنك كنت لى هذه كلها فى حياتك .

وسوف يتجدد حزنى عليك ما قال قائل : « يا أختى !! » .

هذه هى مرثاة إيليا فى جنى ، وهى فى الحق قصيدة عاطفية مثورة نلمس فيها مدى معزة إيليا لأخته ، وعمق الأثر الذى تركته وفاتها فى حياته .

(٣)

بقى أن نتحدث عن دوروثى ، المرأة الثالثة والأخيرة فى حياة أبى ماضى . ودوروثى ، أو « دورا » كما تُدعى تدليلاً ، هى البنت الكبرى لنجيب موسى دياب وكاترين سابا . وهى أخت عائدة وسلمى وأولغا وأليس وجورج . تعرّف عليها إيليا عام ١٩١٨ ، حين عمل محرراً بجريدة والدها - جريدة «مرآة الغرب» النيويوركية ، ثم خطبها فى ٤/١٥ من نفس العام ، وبعد عامين اقترن بها فى ١٩٢٠/٤/٢٥ وهو على وشك إتمام الحادية والثلاثين ، فأنجبت له رتشارد فى ١٩٢٢/٢/٢٣ ، وإدوارد فى ١٩٢٤/١/١٧ ، وروبرت فى ١٩٣٣/٥/١ ، وظلت إلى جانبه حتى وفاته ١٩٥٧ . فلابد إذن أن يكون لدوروثى - وقد شاركت إيليا حياته أربعين سنة - أثرها فى حياة إيليا ، وبالتالي فى أدبه .

ولعله من المفيد ، قبل محاولة التعرف على دوروثى فى أشعار زوجها ، محاولة التعرف - قدر المستطاع - على أبى ماضى أيام عزوبته .

يظهر لنا من أشعار شاعرنا التى نظمها أيام الشباب الغض أنه كان شاباً مستقيماً ، لم يعاقر الخمر ، ولم يواصل النساء . اسمعه يقول عن نفسه ، فى أحد مطالعه ، وكان فى الثالثة والعشرين :

لا الغيد تصببني ، ولا الأقداح مهما تغالى فيهما المُدّاح

واسمعه يقول ، وهو فى نفس السن :

أبت نفسى النزول إلى الدنيايا وقلبي أن يميل إلى التصابي
فما دانيت أقداح الحميما ولم أهتم بغيبانية كعباب
وما منع الزهابة فى أنى حديد ناظرى ، غض إهابى

وما كان الشباب ليزدهيني لأنى ما أمنت على شبابى
أضن به على الشهوات ضنى على «هند» بشعرى والـ «رباب»
ربيع العمر إن يذهب جزافاً أكن من بعده صفر الوطاب
واسمعه يصف بعض أقران عصره ، وكان فى نفس السن أو دونها :

أهتهم الدنيا ، فهذا بالطلى صب ، وهذا بالحسان متم
والحمر فاتكة ، فكيف بناعم ترف ، يكاد من النسائم يسقم ؟ !
قد أصبحوا وقفاً على شهواتهم يستسلمون لها ، ولا تستسلم
لم يفهموا معنى الحياة وكنهها إن البليبة أنهم لم يفهموا
فليقلعوا عن غيهم ، إنى أرى خور الشيوخ بهم ، ولما يهرموا
واسمعه وهو فى الخامسة والعشرين يقول ، بعدما وصف تلك اللقاءات اللذيذة
البريئة التى قضاها مع حبيبة له فى « مسرح العشاق » :

ظن الأنعام بنا الظنو ن ، وما اجترحنا من نكير
قد صبان بردتها الحيا ء ، وصاننى شرفى وخيرى
واسمعه مخاطباً « أخت المهابة » :

يا « هند » ، كم ذا الأنام تعذلنا وما أثمنا ، ولا بنا وزر
فابتدرت « هند » ، وهى ضاحكة : ماذا علينا ، وإن هم كثروا ؟
ذرههم ، وإن أجلبوا وإن صخبوا ولا تلمهم ، فما هم بشر
فقل لمن يكثر الظنون بنها : ما كان إلا الحديث والنظر

على أن مثالية أبى ماضى هذه فى حبه للمرأة ، كما تبديها لنا الأبيات السابقة ،
لا تنسجم وما جاء فى قصيدتين أخريين . قال فى « واقعة حال » ، وكان فى الثالثة
والعشرين أو دونها :

للوجد أضحى مسكناً قلبى ، وجسمى للضنى
ويات للآمال والـ آلام رأسى وطنى
فقدت صبرى فى الهوى ومهجتى ، و الوسنى
وغادة ، لو قيل : من جن بها ؟ قلت : أنى

تمننى الوصل كما	يمننى الدهر الهنا
عانقتها ، ولم أكن	عانقت قبلا غصنا
وبت أجنى بفمى	من فمهبها مثل المنى
والدهر عنها غافل	ونحن فى يقظتنا
ولا تسل عما جرى	منا ، وكان بيننا

وقال فى « حكاية قديمة » ، وكان فى السابعة والعشرين :

وقربها منى وقربنى الهوى	إلى أن ظننا أننا واحد فرد
كأنى ما ألصقت ثغرى بثغرها	ولا بات زندق وهو فى جيدها عقد
ولم نشتمل بالليل ، والحى نائم	ولم نستتر بالروض ، والليل ممتد
ولا هنا شدو الحمام فى الضحى	ولا ضمنا بيت ، ولم يحونا برود

فكيف تفسر عدم الانسجام هذا ؟ أكثر الظن أن أبا ماضى كان أحد ثلاثة فى هاتين القصيدتين : إما مقلداً ، وإما قاصداً راوياً ، وإما شاطحاً بخياله .

استمع إليه فى « روح الصب » المجهولة يعارض أحمد شوقى (١٨٦٨ - ١٩٣٢) فى غزليته المعروفة « مضناك جفاه مرقده » ، وكان أبو ماضى وقتئذ فى الثالثة والعشرين أو دونها :

أقوم الليل وترقده ؟	ظلم حاشاك تؤيده
فارجم من بات على خطر	وكنى بالهجر تهده
ما ذنبى عندك ؟ ما وزرى ؟	قل لى فعسائى أفنده
قسماً بالحب ، ومصدره	عينك ، وروحى مبروره
بالسحر ، وطرفك مكتمه	بالورد ، ونحك مرقده
بالحسن ، وشخصك واحده	بالشعر ، و « عبدك » سيده
ألا أشفقت على دنف	قد أشفق منبه عوده ؟
من كان رجاؤك يمسه	وأمسى والياس يبيده
يطوى الأحشاء على حرق	ويبيت أسى يتبوسده
قمر كالرثم مقلبه	رثم كالغصن تأوده

وضّاح الطلعة رائعهـا
 ممشوق القامة أهيفهـا
 أوشكت لفرط محاسنه
 يا روح الصب ومهـجته
 أيروقك أن يفنى أسفـا
 مر طيفك بطرقى سحرـا
 أو عدنى زورته وامطل
 بسم الثغر منضده
 مفلوك الحصر مصفـده
 - غفرانك ربى - أعبده
 ما ضرك لو تتعهدـه ؟
 فى الحب ويبقى حسده ؟
 أحمد مولاي وأحمده
 كى أقضى عمـرى أرصده

واستمع إليه بعد هذا فى « حكاية حال » المجهولة ، وكان فى نفس السن
 عندما نظمها :

فضممت خصرأ قد حكى بدنى
 وإذا بها من قحتى نفـسرت
 قالت : أراك أسأت . قلت : إلى
 قالت : وثم طمعت . قلت لها :
 قالت : وما ترجو ؟ قلت لها :
 ما ثم غير الوصل من طلب
 قالت : رجوت المستحيل ، إذا
 فأجبتها - والدمع منسجم :
 لا تعجلى فى قتل نفس فتى
 فتحولت عنى ، وقد ضحكـت
 وتقدمت ، والثغر مبتسم
 فأعدت من وهى لها قبلى
 وهصرت قداً خلته غصنـها
 باليلة سمح الزمان بهـا
 مازلت أبصر من محاسنها
 حتى انجلى جنح الظلام ، وقد
 حلم ، وما الدنيا سوى حلم
 رأيتم طيفا يضم هبـها ؟
 فلزمت عند نفارها الأدبـها
 جسدى الذى حملته التعبـا
 فى العفومـنك ، إذا اللسان كبا
 لافضة أبغى ولا ذهبـها
 إن كنت ممن يقبل الطلبـها
 أخشى عليك الويل ، والعطبـها
 واحسرتى ، إن لم أنل أربـها !
 ما زال غضاً يافعاً رطبـا !
 ضحك الرضى ، وتمايلت عجبـا
 فكأنه لم يعرف الغضبـها
 فأعار قلبى خدها اللهبـها
 ورشقت ريقاً خلته ضربـا
 ووفى ، فرد على ما سلبـها
 روضاً ، ومن إحسانها سجبـا
 هجم الصباح ، أفقت مكتبـا
 يا حبذا لو لم يكن كذبـا

لاحظ محمد عبد الغنى حسن على أبى ماضى وهو يكتب عن « نفحات الحب ولفحات العشق فى أدب المهجر » ، لاحظ عليه « أنه لم يتناول « الحب » فى شعره عن تجربة ، ولم يعالج العشق عن خبرة ذاتية ، وإنما تناوله عن حكمة نظرية . وفلسفة غير عملية » ، ثم قال : « ولعله كان مشغولاً بفلسفة العشق عن العشق ذاته » .

ولاحظ زهير ميرزا الشىء ذاته تقريباً ، فقال : « إن شعر الشاعر - فى مختلف القصائد والمقطوعات - لا يعدو ما نسميه « النسيب » من حيث إنه يقول دون أن نستشعر عاطفة الشاعر الخاصة تجاه مخلوقة بعينها ، أو حبيبة وقف عليها حياته وشعره ، وكأن الشاعر الكبير لم يعرف الحب ، ولم يستوحه فى منظومه ! » .

أما نازك الملائكة ، فقد علقت على شعر أبى ماضى عامة بقولها : « إن القصيدة عنده فكرة قبل كل شىء ، والعاطفة بإزائها ثانوية تماماً ، حتى إننا لنفتقد شعر الحب فى ديوان « الجداول » (١٩٢٧) افتقاداً شبه تام » .

فإذا بحثنا عن الأسباب التى أفقدت شعر الحب عند أبى ماضى - أو كادت تفقده عنده - قد نجد أن أوجهها هو ذلك التحول الجذرى المبكر فى مفهوم أبى ماضى للشعر ، أو - إذا استشهدنا برأيه وهو يقدم لـ « ديوان نعمة الحاج ، الجزء الأول » ، عام ١٩٢١ - هو ذلك الانتقال الطبيعى من « دور المجانسة والتقليد » إلى « دور الابتكار والتوليد » الذى يمر به كل شاعر حقيقى .

فبعد أن شب أبوماضى بالمرأة زمناً ، ونظم « فى الغزل والنسيب » ، وأفرد لهذا الفن باباً مستقلاً فى « ديوان تذكارات الماضى » (١٩١١) ختمه بالبيتين :

أنا إمام الدين هـاموا وأى قوم بلا إمام ؟
فليس قبلى ، وليس بعقبى ولا ورأى ، ولا أمسى

نراه ينبذ هذه « الإمامة » ، وشعرها معها ، من أجل الشعر الحق . اسمعه يقول فى « ديوان إيليا أبوماضى ، الجزء الثانى » (١٩١٩) ، الذى كان صدوره قبل زواجه بعشرة أشهر :

أنا ما وقفت لكى أشيب بالطللى مالى وللتشيب بالصهباء ؟
لا تسألونى المدح أو وصف الدى إني نبذت سفاسف الشعراء

لم يفهموا بالشعر إلا أنه قد بات واسطة إلى الإثراء
فلذاك ما لاقيت غير مشبب بالغانيات ، وطالب لعطاء
شقى القريض بهم ، وما سعدوا به لولا هم أضحى من السعداء
بعد هذا القليل الذى استخلصناه من أشعار أبى ماضى عن عزوبته ، أحب أن
أقدم للقارئ قصيدة لشاعرنا ، خفيفة الروح مجهولة ، ترتبط بموضوعنا ، أوحاها إليه
شيطان الشعر لينشدها فى حفلة عرس صديق له . قال ، وكان فى السابعة والعشرين :

أوحى لى الشيطان قبل النـوم
باسم العريس سألتكم ، يا قومى
كيما أحدثكم حديث اليوم
أن تسمعوا ، فصياحكم ينكىنى !

إن كان أغضب بعضكم تنبيهى
من غير تزويق ، ولا تمويه
فلسوف أرضيه بما أرويه
ولسوف أخلط جدكم بمجوى

إنى أحدثكم عن العزاب
فأنا بهم أولى ، وهم أولى بى
وأخص منهم معشر الأصحاب
الله يعطيهم كما يعطينى !

يقضون جل الوقت فى القهوات
هذا عن الماضى ، وذا بالآتى
يتحدثون بحسن كل فتاة
من غير تقدير ولا تخمين

فتظنهم من طحنهم والجمععه
لكنما ملأت رءوسهم الجمع
فى معمعان وغى ، ولا من معمه
فعلا صياحهم وسب الهدين

فإذا بهم مرت فتاة تهـرع
فتألبوا من حولها وتجمعوا
باتت قلوبهم هوى تتقطع
مثل الجيوش على « كروبتكين »*

هذا يقول لها : أنا مـضناك
ويقول ذا : إنى قتيل هـواك
لولاك ما عرف الهوى لولاك
كفنى الصدود ، فنظرة تكفينى

ولربما اختلفوا من الأشجـان
فتشائموا جهراً بكل لسان
مثل اختلاف القوم فى « البلقان »
وتطاعنوا بالفرد والسكين !

* كروبتكين هو القائد العام للقوات الروسية فى الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) .

ولقد تكون قبيحة شهواء
قد خلقت أبنائها الأبناء
فإذا علت صيحاتهم في إثرها
حتى إذا هي خبرت عن عمرها
فتنتهم بجمالها المصنوع
ما كان جمعهم سوى مخدوع
يتقاتلون ، ولو سألتهم : لما
لو يعقلون لما غروا ، لكنما
إن اللبيب من الإشارة يفهم
فلأن أوجههم تخبر عنهم
يا قوم ، هذى عيشة العزاب
وسوى أمور تركها أخرى بي
كم أعزب بالسهد أنهك جسمه
حتى إذا ضم الفراش وضمه
رهن الشقاء ، فليس يفتح جفنه
ويظل يقرع سنه ، ولو أنه
ما من يرقع ثوبه إما انخرق
لا تسألوني عنه إن جن الغسق :
الليل والحانات تنهب صحته
إن جئت تنصحه ليترك خطته
تالله لو تحوى النساء جهنم
بل كان يأثم كل من لا يأثم

وكبيرة في سنها شمساء
فكأنما كانت مع « التكوين »
راحت تتيه على عجائزدها
قفزت من الستين للعشرين !
فتروهموا أن الجمال طبيعي
لم يعشقوا ، والله ، غير دهون
يتقاتلون ؟ وجدت كلاً أبكما
لا عقل عند الأعزب المسكين
وهم وإن سكتوا ولم يتكلموا
« كاد المريب أن يقول : خذرنى ! »
في الدهر بين مصائب وصعاب
أخشى تثير شجونهم وشجرتي
نام الورى عنه ، فأرق همه
طلع الصباح فهب كالمجنون
ليرى ، ولكن كى يبالي رده
في الروض بين الورد والنسرين
ما من ينفس كربه ولو اختنق
ما حال من أمسى بغير خدين ؟
وحبائل الشيطان تنهب فضته
يوماً ، فقد غنيت في الطاحون
ما خاف أن يأوى إليها المجرم
فالنار برد مع وصال العين

ما الخلد كثره الذى يتبجس كلا ، ولا لآؤه والسندس
لكنسه تلك الجوارى الكنس الموجدات حنينكم وحنينى
ولذا أهنى صاحبي بقهرانه وأود من قلبى إلى أقرانه
من غيد هذا العصر أو شبانه أن يخلدوا بالعسر والتمكين

كان أبو ماضى على وشك إتمام التاسعة والعشرين عندما طَلَّقَ العزوبة ليخطب
فتاة أحلامه دورا فى حفلة بدار والدها . وتعذر على ندره حداد - صديق إيليا الذى
كان يكبره بثمانى سنوات - حضور هذه الحفلة ، فأرسل إلى إيليا قصيدة عتاب
طريفة ، جاء فيها :

قالوا علقت ، فقلت وا لهنى على ذاك الصديق
من كان يؤنس وحشيتى فى وده الصفاى الحقيقى
ولكى و خَلَّفَ مهجتي بين التمزق والحريق
من لى بمُرْجِعِهِ إلى ولو برى المنجنيق ؟
أنسيت يا « إيليا » لىها لينا وأوقات الرحيق ؟
ومجالسا كانت تضىء بشعرك الزاهى الرقيق ؟
نسلو بها ألم الحيا ة ، وما بها من شرضيق
نشكو العزوبة إنما شكوى الغريق إلى الغريق
أسنى عليها إنها لمعت ومسرت كالبروق
ماذا دعاك إلى النوى وإلى مغادرة الرفيق ؟
إنى عهدتك خاليا والقلب ليس بمستفيق
لا يعرف الحب المذير ب ولا ممارسة الحفوق
عُدْ يا صديقى عن الحفا ء ، بحرمة الود العتيق
وارجع ، ولا تطع الهوى ما زلت فى نصف الطريق
ليس الهزار وإن شدا فى سجنه مثل الطليق

فما كان من إيليا إلا أن بعث إلى ندره قائلا - على الوزن والقافية :

يا صاحبي « ندره » الحبيب وأنت لى أوفى صديق

لا ترميني بالعقو ما إن صددت ولا جفوت
 لكن حقوق الحب عن ياليت يجرى في عروة
 إن القلوب بلا هوى إن الحياة بلا شري
 « ندره » وأنت الشاعر السر إياك أن تعصى الغرام
 إن الشباب وأنت من أخلق به طرح الزها
 فاذهب وفتش عن فؤا بين الأزاهر في الربى
 وارجع بمن تهوى إلى ق فليست بالخل العقوق
 ولا سلوت عن الرفيق لى أذهلتني عن حقوقي
 لك ما تغلغل في عروقي مثل الكؤوس بلا رحيق
 لك كالطريق بلا رفيق بآق للمعنى الرقيق
 بحرمة البيت العتيق ه اليوم في ثوب أنيق
 دة ، إنها قيد الطليق د مثل قلبك في الحفوق
 أو في الغمام والبروق وكن رفيق في الطريق

كان أبو ماضى إذن ، كما نراه ، من المؤمنين بالزواج ، المُحبِّذين له ،
 المقدمين عليه ، ومن المُنبِّهين أيضاً — في ذات الوقت — بعدم خلوا الزواج من
 بعض المنغصات ، في بعض الأحيان . اسمعه في القصيدة الآتية المجهولة ، التي
 نظمها قبيل خطوبته بشهرين ، يروى حديث أحد الأزواج التجار :

رأيتُه مرتبكاً فقلت : مالصاحبي
 أخائف من نكبة أجاب : لا هذا ولا
 صبيبة طائشة وضعتها في مكبي
 ثرثرة ، لسانها سخيفة : وإنما
 تنفق ممها أكسبه كفارقاً في لجة
 في قلق وحيرة ؟ أم واقع في نكبة ؟
 ذا ، إنما بليت كثيره التعت
 فحكمت في « رقبتي » مثل لسان الحية
 بذهبي وفضتي في سنة ، في لحظة

على حذاء ، أو على
أو حليقة غريبة
كأنها ، ولم تكن ،
خادمتي ، لكنها
كأنني خادمتها
إذا رأيت مليحة
عضت على بناتها
وأقبلت ككاشرة
تنظر نحو مرة
حتى أرى من زلت
وتستشيط ضيفتي
كم مرة نصحتها
تريد أن أحبها
وما لها من شيمة
لكنني أخافها

* * *

فقلت : سريري :
لو أنني مكاني
فمال عني صاحكاً
وقال : ما أنصفتني
يا صاحبي ، كلفتني
إني إذا طردتها
وأن تسوء سمعي

هذا رجل كالامة
طردتها من خدمتي
مستهزئاً بفكرتي
ولم تكن ذا فطنة
ما ليس في مقدرتي
أخشى من الفضيحة
فإنها حقيلتي ! !

آن لنا أن نرجع إلى دوروثي ، ونحاول التعرف عليها في أشعار زوجها . ولكن
هذا التعرف لن يكون سهلاً ميسوراً . ذلك لأن إيليا تجنب تسمية دورا في أشعاره ،
كما تحاشى الإشارة إليها صراحة . فعل ذلك لأنه - كـبعض الأدباء - أحب أن
يقرأ الناس له ، وكره أن يعرفوا عنه .

وقع إيليا في غرام دورا أوائل ١٩١٨ ، على ما يظهر ، فلما تسنى له الخروج معها والجلوس إليها منفرداً . نظم غراميته « بلاء أم نعمة ؟ » ، وفيها عبّر عن هواه لها ، ووصف ، في أبلغ وصف ، تردّده وتَهَيَّبته في لقائه الأول معها اسمه ، يخاطبها ، وقد كنى عنها بـ « ابنة كولومبس » لمولدها الأمريكي :

أحباً معانقة الرجس	لعينيك يا « ابنة كولومبس »
وأهوى الشقيق ولثم العقيق	لحدك والثغر الألعس
أعندك إن غبت عن ناظري	مشيت من الصبح في حندس ؟
وأن الظلام ، على هـوله ،	إذا جئت حبال إلى مشمس ؟
وفي الصدر قلباً ، ولا كالقلوب ،	متى شئت يسعد أو يتعس ؟
وددت الإفاضة قبل اللقاء	فلما لقيتك لم أنبس
وبت وإياك في معزل	كأنى وإياك في مجلس
ولو أن ما بي بالظود دك	وبالأسد الورد لم يفرس
همت ، فأنكرني مقولى	وشاء الغرام فلم أهجس
كأنى لست أمير الكلام	ولا صاحب المنطق الأنفس
جلالك ، والليل في صمته :	فلا غرو أن رحت كالأخرس

■ * *

ومـرت بنا ساعة خلطنا	خلعنا الجسوم عن الأنفس
وأننا من الـروض في جنة	وأننا من العشب في سندس
كذاك الهوى فعله في النفوس	كفعل المداممة في الرؤوس
تنبيهه فيها وفي الهوى	فلو نعس النجم لم تنعس
وكل فؤاد شديد العهرام	إذا رضته بالهوى يسلس
فمالت فطوقها ساعدي	منعمة بضمة الملمس
وإن العفاف لى بـردها	وإن الإيذاء لى معطسى
وقلت — وكفى في كفها :	ألا صرحى لى أوفاهمسى
بلاء هو الحب أم نعمة ؟	أجابت : تجلد ولا تياس

واسمعه يقول لها في غرامية أخرى :

عيناك والسحر الذي فيهما
علمتني الحب ، وعلمتني
إن غبت عن عيني ، وجن الدجى

واسمعه يقول لها بعد خمس سنوات تقريباً من العيش معها ، وبعدها دهمتهما
معاً بعض الرزايا والبلايا :

تعالى نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر
وما دمننا وما دامت لنا في العيش آمال
يريد الحب أن نضحك ، فلنضحك مع الفجر
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أويجى ؟
تعالى قبلما تطمر أحلامى الأعاصير

واسمعه يقول لها ، وقد جاء العيد :

أى شيء في العيد أهدى إليك
أسواراً ؟ أم دملجاً من نضار ؟
أم خموراً ؟ وليس في الأرض خمر
أم وروداً ؟ والورد أجمله عندي
أم عقيقاً كهجتي يتلظى ؟
ليس عندي شيء أعز من الروح

ياملاكى ، وكل شيء لديك ؟
لا أحب القيود في معصميك
كالتى تسكين من لحظيك
الذى نشقت من خديك
والعقيق الثمين في شفتيك
وروحى مرهونة في يديك

واسمعه يتحسر على أيام لوه معها في غابة زالت :

لله في الغابة أيامنا
طوراً علينا ظل أدواحها
وتارة نلوه بأعنايبها
وإن نضنا حكننا سمعنا الصدى
نسير من كهف إلى جدول
وتختبى « هند » ، فأشتاقها

مبا عنايبها إلا تلاشيها
وتارة عطف دواليها
وتارة نحصى أقاصيها
يضحك معنا من أقاصيها
نكتشف الأرض ونطويها
وأختبى عنها ، فأغريها

كم أوهمتني الحروف من طارئ
فرحت أعدو نحرها مشفقاً
فاعجب لأطوارى وأطوارها
يا لهفة النفس على غيابة
جنة أحلامي وأحلامها
أنا كما شاء الهوى والصبا
تشجى بدا نفسى ، فتشجيهما
فكان ما حازرت تمسوها !
تعبث منى وأجاريهما !
كنت و « هند » لالتقى فيها
ودار حبي وتصبايها
وهي كما شباهت أمانيهما

واسمعه يتلهف أيضاً على أيام جميلة قضاها معها فى ميلفورد بنسلفانيا :

هذه « مفرد » ، قد لاحت رباها
ذهبت عشرون فى . فرقتهما
كم جلسنا تحت عمق صفاتها
نتناجى ويدى فى يدها
أنا دنيا من شباب وهوى
أحسن الأيام فى العصر انقضت
فأنسى ، يا قلب ، الليالى وأذاها
ليت بها فيها انقضت لافى سواها
أشتكى وجدى ، وتشكولى هواها
فإذا لاح خيال تنبلاها
وهى كالروضة قد تمت حلاها
آه ، لو ينشرها من قد طواها

على أن دورا لم ترد فقط بهذه الصورة السلبية فى أشعار إيليا . فقد جاءت أيضاً وهى تلومه وتعاتبه ، وتدفعه وتناقشه ، وتذكره وتحادثه . قال :

لم أنسى حين مشيت إلى تلومنى
قالت : أتطرب ، والمنايا حوّم
انظر ، فقد نخلت البيوت من الشبا
فسألتها : أوليس من أجل العلى
يا هذه ، إذا بكيت لبعدهم
كنى الملام إذن ، فما أنا جاهل
لمبا رأتنى بساسماً . متهملاً
فى الأرض ، كيف رمت أصابت مقتلاً ؟
ب ولا جمال لمنزل منهم خلا
وهناثنا ، خاضوا الوغى ؟ قالت : بلى
يتبسمون ؟ أجابت الحسناء : لا
ما تعلمين ، وكيف لى أن أجهلاً ؟

كسل إيليا فترة عن قول الشعر ، فإذا بدورا له

قائلة : هجرت الشعر حتى
أتى زمن الربيع ، وأنت لاه
ونفسك كالصلى قساع بشر
تغنى بالسخافات المغنى
وقد ولى ، ولم تهتف بلحن
ومثل الفجر ملتحفاً بدجن

فما لك ليس يستهويك حسن
أنتسكت ، والشباب عليك ضاف
ركود الماء يورثه فســــــــــــاداً !
الأنتمى ، اتركينى فى سكونى
وتوانى مرة أخرى ، فعادت

صمتى — وبعض القول حزمواسى :
صمت الدجى ، والشاعر الحساس
فى مسمى ، هذا العتاب القاسى
ما كنت بالناسى ولا المتناسى
تعاتبنى على
اثنان مالاقيت أفسى منهما
فأجبتها : أفسى وأهل منهما ،
قالت : أظنك قد نسيت . فقلت : لا
وأخذت تسائله يوماً :

و . . . أى المذاهب مذهبي ؟
وأى نبي مرسل أقتدى به ؟
وهل كان فرعاً فى الديانات أم أصلاً ؟
وأى كتاب منزل عندى الأعلى ؟
وقامت تُذكره مرة :

و . . . فى وجهها ألق الضمخنى
قالت : أينسى النازحون بلادهم ؟
والسحر والصهباء فى أقوالها
ما هاج حزن القلب غير سؤالها
ولا نستبعد أبداً أن تكون دورا — أيام كانت خطيبته — هى تلك « المليحة »
التي ساجلته وجادلته فى قصيدة « الشاعر » افتتاحية ديوانه الثانى . أما تلك المرأة
« المتجهمه » ، المرتاعة ، المتحيرة ، الواجمة ، الذاهلة ، فى قصيدة (الدمعة الحرساء) ،
والتي حاول أبو ماضى تسكين روعها ، فإنها دورا زوجته .

لنقرأ تسكين إيليا لدورا بعد أن استمع إلى حديثها :
لا تجزعى ، فالموت ليس يضيرنا
إنا سنبقى بعد أن يمضى الـورى
فالحب زجور خالد متجدد
فلنا إياب بعده ونشور
ويزول هذا العالم المنظور
لا ينطوى إلا ليسطع نور

فإذا طوتنا الأرض عن أزهارها وخلا الدجى منا ، وفيه بدور
فسترجين خميلة معطّارة أنا في ذراها بلبل مسحور
يشدو لها ، ويطير في جنباتها فتعش إذ يشدو وحين يطير
أوجدولا مترقّقاً مترنماً أنا فيه موج ضاحك وخير
أو ترجعين فراشة خطّارة أنا في جناحيها الضحى المشور
أو نسمة أنا همسها وحفيفها أبداً تطوف في الربى وتدور

لقد أحب إيليا دورا امرأته حباً ألهمه أن يخلد شخصها في شعره ، كما خلد فيه أمه سلمى ، وأخته جنى في نثره . ولا ريب في أن تخليد أبي ماضي لنسائه الثلاث ، في أدبه ، إنما هو تخليد متواضع ، لا افتعال فيه ولا عيب ، وهو يعكس بحق ما دعا إليه ، عام ١٩٢٩ ، في مقاله « المرأة في الشعر العربي » ، حيث كتب :

« تقرأهم — وهم الشعراء الذين دقت أفهامهم ، وصفت أرواحهم — فإذا المرأة عندهم إما طرف كحيل ، وخد أسيل ، وشعر طويل ، وخصر نحيل ، وإما بدر يضحك عن لؤلؤ ، أو غصن يرقل في الخز ويمشي ويتكلم ، أو ظبية تفرس الأسود ، وتشق بالحافظها القلوب قبل الجلود !

ثم تقرأهم — وهم العشاق الذين لطفت مشاعرهم ، وأثار الحب قلوبهم — فيشجيك منهم أنهم لا يرون في المرأة غير ما يراه منها شاب جاهل ينظر إليها من نافذة الهوى الفانى . فهي إما هاجرة تتجنى — ولا شيء فيها غير أنها هاجرة تتجنى يجب استعطافها واسترحامها ، وإما ممنوعة دونها الرقباء — فيجب ذم الرقباء والشكوى منهم ، وإما أنها دانية مطاوعة — ولا شيء غير أنها دانية مطاوعة .

أما قلب المرأة وما فيه من الأحاجي والأسرار ،

وأما وجدان المرأة وما فيه من الأشواك والأزهار والآصال والأسحار ،

وأما عواطف المرأة وهي تيار لا يتكشف إلا عن تيار ،

وأما نفس المرأة وما فيها من نور ونار ،

وأما المرأة نفسها وهي ذلك الكائن العجيب الجبار ،

فليس لها أثريين في الشعر العربي منذ كان حذاء وخيلاً ورجزاً ، إلى أن صار قصائد وموشحات على كل وزن ولحن . . .

إن المرأة التي عرفت في الشعر العربي هي التي كان يمكن أن يقال عنها إنها جميلة . أما المرأة في أدوارها الأخرى – في طفولتها وكهولتها ، وأما البنت والأخت والزوجة ، فقد خلا الشعر منها إلا قليلا لا ينفع غليلا . . .

وكيفما عللنا هذا الأمر ، فإننا نرى في الشعر العربي القديم صورة صادقة للزمان الذي قيل فيه . ولا يعاب شعرهم على ما فيه من الفراغ الهائل من هذه الناحية . . . أما الذين يحق لنا أن نلومهم فهم الشعراء العصريون الذين ما برحوا يصورون المرأة في شعرهم – على ما بلغت وبلغوا هم من الحضارة – كما كان يصورها شعراء الجاهلية وغيرهم ممن جروا على آثارهم . . .

إن المرأة أكثر من وجهها ، وشعرها ، وخديها ، وثغرها ، وجيدها ، ونحرها ، وقامتها . . . فليس أحق من الشعراء بالتنقيب عما في نفس المرأة وقلبها من الكنوز الثمينة . فإذا لم يفعلوا – وهم الأمراء في مملكة الأرواح – حق للناس أن يثوروا عليهم ثورة هوجاء تدحرجهم عن عروشهم ، لأنهم لم يحسنوا سياسة مملكتهم . . .

لقد تبوأَت المرأة مكانها في الشمس ، فيجب أن تتبوأَ مكانها في الشعر .

(٤) الحزب الوطنى المصرى وأبو ماضى

(بمناسبة ذكرى مرور قرن على ميلاد مصطفى كامل)

(١)

يوافق ١٤ أغسطس (آب) من هذا العام ذكرى مرور قرن على ميلاد المصرى الخالد مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) . ولعله من المناسب فى هذه الذكرى الطيبة ، عرض صفحة منسية ، أوبالأحرى مجهولة ، من حياة المهجرى إيليا ظاهر أبى ماضى (١٨٨٩ - ١٩٥٧) تتصل اتصالاً وثيقاً بـ « الحركة الوطنية » التى كان مصطفى كامل باعنها فى مصر . أوائل هذا القرن .

والحديث عن أبى ماضى والحركة الوطنية يبدأ بعام ١٩٠٠ ، عام شاءت الأقدار فيه لإيليا أن يهاجر عن لبنان ، وأن يتزل مصر . وكان إيليا إذ ذاك صبياً فى الحادية عشرة من عمره ، متفتح قلبه للحياة .

ونزول إيليا بثغر الإسكندرية ، فى هذه السن المبكرة ، وفى تلك الفترة بالذات من تاريخ مصر ، ترك فيه أثراً أى أثر . فقد عرضه لأشياء ما كان ليتعرض لها لو أنه بقى فى ضيعة المحيذة الوادعة التى ولد بها ونشأ ، وأمضى فيها ما يزيد على عقد من الزمان .

كان أول ما تعرض له إيليا ، حال نزوله فى الإسكندرية ، حديث الناس المتواصل عن « الاحتلال » ، وعن « الجلاء » ، وعن « مصطفى كامل » ، وعن « اللواء » . وعلم الفتى مما سمعه ، وكذلك مما قرأه - فقد كان قادراً على القراءة - أن فى ١١/٧/١٨٨٢ ، ضرب الأسطول البريطانى الإسكندرية بمدافعه ضرباً متوالياً . فلما سلمت المدينة ، أبحر الأسطول شرقاً ، وعبر قناة السويس حتى وصل إلى الإسماعيلية . وهناك نزلت الجنود البريطانية وباغتت أحمد عرابى وجنوده ، ثم فتحت طريقها إلى القاهرة العاصمة ، ودخلتها فى ١٤/٩/١٨٨٢ . فكان الاحتلال ، وكانت تولية البريطانيين لأنفسهم على مصر حكماً .

ولم يمض وقت يذكر على إيليا إلا وقد عرف أيضاً أن « اللواء » الذى يتخاطفه الناس حال ظهوره فى المدينة إنما هو جريدة يومية سياسية ، لها فى مصر من العمر ما له فيها . فقد بدأت تصدر فى القاهرة فى ١٩٠٠/١/٢ . وعرف إيليا كذلك ، أن « مصطفى كامل » الذى يتردد اسمه على الألسنة ، إنما هو صاحب « اللواء » ومحرره الذى يكتب جله من ترجمة وإنشاء ، وأنه مؤلف له رواية « فتح الأندلس » (١٨٩٣) ، ومجموعة أعمال بعنوان « مصر والاحتلال » (١٨٩٦) ، وكتاب « المسألة الشرقية » (١٨٩٨) ، وأن له مدرسة فى القاهرة باسمه يديرها بنفسه . وهو محام فى ٢٦ ربيعاً ، نال شهادة الحقوق من فرنسا عام ١٨٩٤ ، ولكنه لم يحترف المحاماة ، بل وقف نفسه على خدمة وطنه . ثم هو بليغ بالفرنسية بلاغته بالعربية ، كثير السفر إلى أوروبا - فرنسا خاصة - ليخطب على منابرها ، وليكتب فى صحفها ، داعياً رجال السياسة والقلم الأوربيين إلى تعضيد مصر فى مطالبها .

فوق كل هذا ، لمس إيليا أن لمصطفى كامل منزلة خاصة لدى الإسكندريين ، سجلوها للأجيال القادمة فى هذه العبارة المختصرة التى حفروها على وسام من فضة ، أهدوه إياه عام ١٨٩٦ ، والى تقول : « برهان الإخلاص من أهالى الإسكندرية ، للوطنى الغيور مصطفى كامل » .

لقد كان مصطفى كامل فى الثانية والعشرين عندما منحه الإسكندريون هذا الوسام ، وكان ذلك عقب أول خطبة سياسية له فى مدينتهم ، خطبة قال عنها يومها محرر « المؤيد » : « الأولى التى أقدم على إلقتها شاب مصرى غيور ، عرف واجب الوطن وضرورة التفانى فى حبه المقدس ، بعد أن مر على الاحتلال الأجنبى أربعة عشر عاماً » .

انتهى إلى إيليا اليافع كل ما سبق ، فى سته الأولى بمصر ، فبدأ يعجب بالسياسى الشاب مصطفى كامل ، وبالحركة الوطنية التى تزعمها ، وبـ « اللواء » الذى كان حجراً أساسياً فى بنائها .

ومر عام ١٩٠١ ، وجاء عام ١٩٠٢ ، واقترح مصطفى كامل على صفحات جريدته الاحتفال بالعيد المئوى لتولية الشعب محمد على والياً على مصر . وأقيم الاحتفال فى الإسكندرية ، وحضره ثلاثة آلاف وئيف . ودُعِيَ إليه مصطفى كامل

للخطابة . فوقف يذكر المصريين بالمجد الذى كان لهم فى الماضى القريب ، وبالدل الذى صاروا إليه :

« نحن نرى من العار والخيانة عدم المطالبة بالجلء ، نحن نرى من الجبن والاستماتة عدم المطالبة بالدستور ، أى بالنظام الذى تتمتع به الأمم المتقدمة .. »
 هذه حياة محمد على ، لنا أن نستنبط منها ما يفيد البلاد فى الحال والمستقبال ، لنا أن نضربها مثلاً للأبناء والناشئين ليعلموا أن مصر كانت من القوة والبأس بمكان ، وأنها تكون كذلك لو طرقوا أبواب الاتحاد والوثام ، وسلكوا مسالك العزم والإقدام .
 كلمات قوية ، نطق بها شاب ، كان لها دويها داخل مصر وخارجها .
 ثم مر عام ١٩٠٣ ، وجاء عام ١٩٠٤ ، ومعه جاءت « مدام جوليت آدم » لزيارة مصر ، بناء على دعوة من مصطفى كامل .

وأتمل مصطفى كامل يومها أن يكون لزيارة الكاتبة الفرنسية الشهيرة مفعولها فى الأوساط السياسية ، عند عودتها إلى بلدها . ولكنه خذل . فما كاد يمضى شهر على مغادرة « مدام آدم » مصر ، إلا وكانت فرنسا تعقد فى ٤/٨ « اتفاقاً ودياً » مع غريمها بريطانيا ، تتعهد لها فيه بإطلاق يد بريطانيا فى مصر ، مقابل تعهد بريطانيا بعدم عرقلة أمور فرنسا فى مراكش .

ثم مر عام ١٩٠٥ ، وجاء عام ١٩٠٦ مليئاً بالأحداث .
 فى فبراير (شباط) أضرب طلبة كلية الحقوق عن الدراسة احتجاجاً على سياسة التعليم التعسفية التى فرضتها عليهم السلطات المحتلة .

وفى أبريل (نيسان) افتتح « نادى المدارس العليا » الذى كان « من أعظم مظاهر الوطنية » ذلك العصر . . . فيه ظهرت قوة الشبيبة ووحدةها . . . وفيه تأسست « جمعية رعاية الأطفال » ، وفى قاعاته اجتمعت وقتاً ما لجنة إنشاء « الجامعة المصرية » ، وفيه تأسست « مدارس الشعب » لتعليم العامة ، وقام أعضاء النادى بالتدريس فيها ، وفيه نشأ مشروع النقابات الزراعية . . . وكان فوق ذلك معهداً قومياً لنشر المبادئ الوطنية الصادقة وبثها فى نفوس الجيل .

وفى مايو (أيار) وقعت « حادثة العقبة » (حادثة طابة) . فقد طلبت بريطانيا

من تركيا ، باسم مصر ، سحب جنودها من « طابة » عندما عازمت تركيا على مد خط حديدي إلى العقبة ، رآته بريطانيا يهدد مصالحها في مصر . فلما سحبت تركيا جنودها ، ضاعفت بريطانيا قواتها الاحتلالية ، وزادت في نفقاتها العسكرية التي كانت مصر في غنى عن تحملها .

وفي يونيو (حزيران) وقعت « حادثة دنشواي » ، تلك الحادثة التي لا تنسى في تاريخ الاحتلال . فقد بدأت بخروج خمسة ضباط بريطانيين إلى بلدة « دنشواي » للتسلي بصيد الحمام ، وانتهت بالحكم على « واحد وعشرين منهما : حكم بالإعدام على أربعة منهم ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وبها لمدة خمس عشرة سنة على واحد ، وبالسجن سبع سنوات على ستة ، وبالحبس مع التشغيل مدة سنة مع الجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، وبالجلد خمسين جلدة على خمسة » .

وقعت الحادثة المحزنة يوم ١٣ ، ونفذت الأحكام الظالمة يوم ٢٨ ، ومصطفى كامل يستشفى في باريس . فلما بلغته الأنباء ، غضب ، وثار ، وقام يدافع عن مصر وأهلها بكل ما أوتي من قوة ، غير عابئ بما تتطلبه منه صحته . فكتب مقالة بعنوان « إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن » ، نشرتها جريدة « ل فيجارو » الفرنسية ، فصل فيها وقائع الحادثة وملاساتها ، وإجراءات المحاكمة ، وفضاعة تنفيذ الحكم ، وبعدها قال ما ترجمته :

« جئت أسأل الذين يجاهرون في كل آن ذاكرين الإنسانية ، ماثين الدنيا بعبارات الانفعال والسخط ، إذا حدثت فظائع في بلاد أخرى دون فظيعة دنشواي ألف مرة ، أن يثبتوا صدقهم وإخلاصهم بالاحتجاج بكل قوة وشدة على عمل فظيع يكفي وحده لأن يسقط إلى الأبد تلك المدنية الأوروبية في أعين العالم كافة !

جئت أسأل الأمة الإنجليزية إذا كان يليق بها أن تترك الممثلين لها في مصر يلجأون — بعد احتلال دام أربعة وعشرين عاماً — إلى قوانين استثنائية ووسائل همجية — بل أكثر من همجية — ليحكموا مصر ، ويُعلّموا مصر ماهية كرامة الإنسان » .

لقد « كانت هذه المقالة — كما ذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي — هي في ذاتها من أهم حوادث الحركة الوطنية » .

ثم جاء عام ١٩٠٧ ، فاستقال « لورد كرومر » — أو بالأحرى أقيل — من منصبه كحاكم مصر ، ليخلفه « سيرالدن غورست » . أما مصطفى كامل ، الذي كانت شهرته وقتئذ قد بلغت الآفاق ، فيراه المصريون يصدر في القاهرة ، إلى جانب « اللواء » القديم ، « لواءين » جديدين بلغتين عالميتين : « ل تاندار إيجيبيان » بالفرنسية ، و « ذى إيجيشان ستاندرد » بالإنجليزية ، ليتمكن من إيصال كلمة مصر إلى أبعد مدى .

ويرويه كذلك في نهاية العام يقف لآخر مرة في الإسكندرية ، أمام سبعة آلاف حاضر ، ليلقي أهم خطبة ألقاها في حياته ، ويختتمها داعياً « كل واحد منكم للدخول في « الحزب الوطنى » حتى تتسع دائرة العمل لخدمة مصر » .

ولكن العلة التي كانت قد تملكك من جسم مصطفى كامل لم تمهله أن يعيش طويلاً ليُدعم حزبه بعد هذه الدعوة . ففي ١٠/٢/١٩٠٨ أسلم الروح ، بعد أن أهلك جسمه جهاده المستميت في سبيل مصر ، وكان في ربيع الرابع والثلاثين . فحزن عليه المصريون حزناً لم يحزنوا مثله على سياسى قبله . فكان البكاء ، وكان الرثاء ، وكان إيليا ظاهر أبى ماضى من الباكين ، ومع الرائين .

بكيت ، ولكن بالدموع السخينة
على « الكامل » الأخلاق ، والندب « مصطفى »
نعاه لنا الناعى ، فكادت بنا الدنى
وذابت قلوب العالمين تلهفًا
أجل ، قد قضى في « مصر » أعظم كاتب
فتى ، وأبى ، لو أن في الناس مثله
ولو كان يُفقدَى بالنفوس من الردى
فتى مات غض العمر ، لم يعرف الحنا
وقد كان مقدامًا جريئًا ، ولم يكن
وكان جوادًا ، لا يضمن بحاجة
سلام على « مصر » الأسيفة بعده
وما نفدت حتى بكيت بمهجتي
فقد كان زين العقل ، زين الفتوة
تميد لهول الخطب ، خطب المروءة
وسالت دموع الحزن من كل مقلة
فخلف في الأكباد أعظم حسرة
لهان علينا وقع هذى الرزية
جعلنا فداه كل نفس أيسه
ولم ينطو في نفسه حب رية
ليبغى الردى غير النفوس الجريئة
لذلك أعطى روحه للمنيسة
فقد أودعت آمالها جوف حفرة

خطيب «بلاد النيل» ، مالك ساكتاً
 تطاولت الأعناق حتى اشأبت
 نعم ، كنت لولا الموت فارح كربها
 تفطرت الأكباد حزناً كـأنما
 وما حزنت أم لفقد وحيدها
 تناديك «مصر» الآن ياخير راحل
 عهدتك تأبى دعوة غير دعوتى
 فقدتلك رياناً ، فيا طول لهفتى
 أجل ، طالما دافعت عن «مصر» مثلما
 فأيقظتها من رقدة بعد رقدة
 وقويت فى أبنائها الحب نحوها
 رفعت «لواء» الحق فوق ربوعها
 لأنك أتعت القلوب محبة
 فم آمننا وفيت قومك قسطهم
 سيبقى لك التاريخ ذكراً مخلصاً
 عليك من الرحمن ألف تحية

وقد كنت تلقى خطبة إثر خطبة ؟
 فهل أنت مسديها ولو بعض لفظة ؟
 فيا للردى من غاشم متعنت !
 مما تك سهم حل فى كل مهجة
 بأعظم من حزنى عليك ولـسوعى
 ويا خير من يرجى لدفع الملمة
 فما لك تأبى «مصطفى» كل دعوة ؟
 لقد كنت سبى فى الخطوب وجنتى
 يدافع عن مأواه نحل الخلية
 وأنهضتها من كبوة تلو كبوة
 وكنت لهم فى ذاك أفضل قدوة
 فضم إليه كل ذى وطنيسة
 فإنك لم تخلق لغير المحبة
 فيا طالما ناموا وأنت بيقظهم
 فقد كنت خير الناس فى خير أمة
 ومن أرض «مصر» ألف ألف تحية

(٢)

أحدثت وفاة مصطفى كامل فراغاً هائلاً فى الحركة الوطنية سرعان ما ملأه
 رجلان قديران ، كان محمد فريد (١٨٦٨ - ١٩١٩) واحداً منهما .

ومحمد فريد - كما يقول لنا مؤرخنا الرافعى - « زميل مصطفى المخلص ،
 وصديقه الوفى ، وعضده الأكبر فى بعث الحركة الوطنية . لازمه وأيده فى جهاده
 (منذ تعاهدا عام ١٨٩٦) ، وبذل له ما بذل من العون الأدبى والمادى ، وظل
 وفياتاً له طول حياته . وقد صحبه فى كثير من رحلاته ، واجتمعا بها معاً برجال السياسة
 والصحافة وكتابها المشهورين ، وناب عنه خلال صيف ١٩٠٧ فى الإشراف على
 « اللواء » وإدارة جريدتى « ليتندار إيجيپسيان » و « ذى إيجيپسيان استاندرد » حينما

سافر مصطفى إلى أوروبا، وكان يراه خير خليفة له في قيادة الحركة الوطنية، فاختره
وكيلاً للحزب الوطنى فى أول جمعية عمومية له (انعقدت فى ١٩٠٧/١٢/٢٧).
وأوصى بانتخابه رئيساً بعده.

فلما انتخب محمد فريد رئيساً للحزب فى ١٩٠٨/٢/١٤، كان أول عمل قام
به إرسال برقية إلى «سير إدوارد جراى»، وزير خارجية بريطانيا، ينبئ فيها بأن:
«الجمعية العمومية للحزب الوطنى انتخبته رئيساً بدل المرحوم مصطفى كامل
باشا، وكلفتني بأن أجدد احتجاجها على احتلال القطر المصرى بلا حق، وتعلن
عزمها على السير فى خطة المرحوم الرئيس حتى تنى إنجلترا بوعودها».

واتضح لبريطانيا، أن الحركة الوطنية التى أمّلت لها الحمد بموت مصطفى
كامل لن تحمد، بل ستشتد، ولهذا قررت أن تقاومها بـ «سياسة الوفاق» التى
قوامها التعاون بين «سير إدون غورست»، حاكم مصر الفعلى، وبين الحديوى
عباس حلمى الثانى (١٨٧٤-١٩٤٤، حكم ١٨٩٢-١٩١٤)، حاكمها الشرعى.
وتصدى محمد فريد لهذه السياسة فى خطب ومقالات، كان بعضها شديد
اللهجة، أخرجت الحديوى والاحتلال معاً، كما واصل أيضاً سياسة سلفه، فسافر
إلى أوروبا فى ١٩٠٨ وفى العامين التاليين، للدفاع عن قضية مصر.

على أن أهم سفرة قام بها محمد فريد للدعاية لمصر فى الخارج، بعد ما تولى
رئاسة الحزب، كانت سفرته عام ١٩١٠. إذ أنه فى هذه السفرة - كما تلخصها
الرافعى - «ظل بعيداً عن الوطن نحو ثمانية أشهر قضاهما متنقلاً بين عواصم أوروبا.
مجاهداً مدافعاً عن القضية المصرية... فقد وقف خطيباً فى باريس، ثم فى ليون،
ثم فى لندن، يعلن للرأى العام حقيقة المطالب الوطنية، ويترجم عن آمال مصر.
ويدافع عن حتمها فى الحرية والاستقلال. ثم حضر مؤتمر السلام فى استوكهلم،
ورفع صوت مصر بين مجموعة الأمم التى اشتركت فيه، ورجع إلى باريس بعد
معدات المؤتمر الوطنى الذى اعتزم عقده فيها، حتى إذا منعت الحكومة الفرنسية بادر
إلى عقده فى بروكسل. وبعد انتهاء المؤتمر عاد إلى باريس، ثم قصد إلى ألمانيا،
ليبحث المسألة المصرية فى صحافتها ودوائرها السياسية، وعرج على الأستانة لكى
يُحسِّم روابط الود بين مصر وتركيا، ويحبط مساعى إنجلترا فى دفع تركيا إلى
إيليا أبو ماضى

الاعتراف بالاحتلال ، هذا إلى أحاديثه في مختلف الصحف الأوربية ، ومقالاته في الصحف المصرية عن مشاهداته وخواتمه وملاحظاته في رحلاته ، وما تضمنته من الدروس الوطنية والآراء السديدة .

ويتابع الرافعى كلامه عن محمد فريد فيقول : « قام الزعيم بهذه الجهود الموفقة مدة غيبته عن الوطن ، فلا غرو أن قوبل من الشعب عند عودته بأعظم مظاهر التقدير والحنو ، فاستقبله المواطنون بالإسكندرية استقبالا رائعا يوم ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) على ظهر الباخرة ، وعلى رصيف الميناء ، وفي الطريق إلى فندق «متروبول» على شاطئ البحر ، ثم منه إلى المحطة حيث استقل القطار في اليوم نفسه ، وهناك احتشدت الجماهير ، وتعاقب الخطباء يشكرون الزعيم على جهاده للوطن » .

ولقد حركت عودة محمد فريد من أوربا شعور أبى ماضى الشاب ، كما حركت شبابا كثيرين ، فنظم القصيدة التالية المجهولة التى أنشد زعيم الحزب إياها ، فى محطة السكة الحديد بالإسكندرية ، إعجاباً به :

اليوم يذهب هم جد فى طلبى	حتى عييت وحتى كاد يذهب بى
حييت من آتب لولاه مسا حفلت	بالأنس نفسى ولا اشتاقت إلى الطرب
أقسمت ما الروض فى إبان نصرته	إذ مسرح الطرف بين النور والعشب
ولا الغزالة تبدو للعيون ضحى	كأن أسلاكها صيغت من الذهب
أبهى وأجمل مرأى منك منقلباً	غب اغترابك عنا خير منقلب
لأنظمن القوافى فىك أبدة	كالشمس ، خالدة كالدهر والحقب
أنت الهمام الذى فى الله رحلته	والحق ، لا فى سبيل اللهو واللعب
جبت المخاطر والأهوال مغترباً	يالىت مثلك منا ألف مغترب
يعدو بهم فى فجاج الأرض ذولجب	والفلك تجرى بهم فى البحر ذى العيب
إذ ذاك تبلغ «مصر» ما تحن له	ويصبح «النيل» فى أمن من العطب
لله درك فى حل ومرتحل	ودر سعيك فى بعد وفى قرب
طوراً خطيباً على الأرواح محتكماً	بالسحر يأخذها فى صورة الخطب
إن شاء طابت عن الأيام راضية	وإن أبى امتلات سخطاً ولم تطب

وتارة ذا يراع دونه خطراً
أطاعه كل معنى رائق حسن
ومن رسائل تزجيتها مديحة
ما كنت أبغى إذا كفى بها ظفرت
تعنى بـ «مصر» ومن أبنائها نفسير
إن يطلبوا عندها فخراً فقد خدعوا
أو يبتغوا زينة فيها فقد وهموا
فليتقوا الله في «مصر» بلادهم
بات المراني مع الخمار يسلبها
حاتم صنوف الرزايا حولنا فرقاً
لولا الشبية ما طاف الرجاء بنا
جزيت عن «مصر» خيراً إنها بلد
إذا انتضاه شبا الصمصامة الحذب
واختاره كل لفظ شائق عجب
كالخور ترفل في أثوابها القشب
مطارف الخز ذات الوشي والعصب
تعنى بهم ، وهم يعنون بالرتب
الفخر بالفضل ليس الفخر باللقب
ما زينة المرء غير العلم والأدب
«كنانة» الله ذات المجد والحسب
هذا العقول وذاك خالص النشب
وأصبحت «مصر» في سور من الريب
وحسن سعيك ما حنت إلى أرب
لا يحصد الشوك فيه غارس العنب

(٣)

تطلع محمد فريد حوله ، عام ١٩٠٨ ، بعد أن أصبح رئيساً للحزب ، إلى رجل يتابع معه نضاله الوطني ، ويحمل عنه أعباء رئاسة تحرير جريدة « اللواء » وإدارة سياستها ، فلم يجد أكفاً من الشيخ عبد العزيز جاويز (١٨٧٢ - ١٩٢٩) الذي تعرف عليه ، عام ١٩٠٥ ، في مدينة الجزائر ، في أثناء انعقاد مؤتمر المستشرقين ، والذي كان يعمل ، منذ ١٩٠٦ ، مفتشاً في وزارة المعارف .

والشيخ جاويز من عائلة بنغازية . ولد ونشأ بالإسكندرية ، حيث درس أيضاً في جامع الشيخ إبراهيم . فلما بلغ السابعة عشرة ، انتقل إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر ثم بدارالعلوم . فلما تخرج عين مدرساً .

غير أن الشيخ جاويز ، ذا الثقافة الإسلامية العربية ، ما لبث أن تعرض بعد ذلك للثقافة « الأنجلوساكسونية » مدة سنواته التي قضها دارساً في جامعة « برورود » أولاً ، ومدرساً في جامعة « أكسفورد » ثانياً ، فأضاف بهذا إلى علمه بطبيعة البريطانيين كمحتلين ، خبرته إياهم كشعب وكفكرين .

ولم يكن الشيخ جاويش ، حتى إسناد إدارة جريدة الحزب الوطنى إليه فى ١٩٠٨/٥/٣ ، عضواً فى هذا الحزب ، ولكنه - كما يقول سالم عبد النبى قنير فى كتابه القيم عن الشيخ - « كان من القوة والصلابة بحيث استطاع ، فى وقت قصير ، أن يبعث القلق فى نفوس القائمين على مصالح الاحتلال فى مصر ، ويدفعهم إلى محاكمته ، ولما يمض الشهر الأول لتولييه تحرير « اللواء » ، فى قضية سياسية ، كانت من القضايا المهمة فى ذلك العهد » .

ذلك أنه على أثر قيام فتنة الشيخ عبد القادر ، بناحية « الكاملين » بالسودان ، وقتل عدد كبير من أتباع هذا الشيخ ، وجر عدد آخر إلى المحاكمة ، كتب جاويش فى « لواء » ١٩٠٨/٥/٢٨ ، مقالة بعنوان « دنشواى أخرى فى السودان : ٧٠ مشنوقاً و ١٣ سجيناً » ، تلاها فى عدد ٥/٣١ بمقالة « الحكم على أتباع الزعيم عبد القادر » . وقرأت لندن المقاليتين ، وأبرقت فى الحال إلى القاهرة بمحاكمة جاويش . فاستدعى الرجل ، وحُقق معه ، وصدر فى ٧/٨ الحكم ببراءته من تهمة الخبر الكاذب فى المقالة الأولى ، وبمعاقبته بغرامة قدرها عشرون جنيهاً عن تهمة إهانته وزارة الحربية فى المقالة الثانية .

ولم يرض جاويش عن الغرامة فاستأنف ، كما استأنفت النيابة لقلة العقوبة . وكان نتيجة الاستئناف أن حكمت المحكمة ببراءة جاويش من التهمتين ، وعلى هذه البراءة يعلق الرافعى فيقول : « كانت هذه القضية فوزاً كبيراً للحركة الوطنية ، وجاء الحكم فيها ضربة شديدة أصابت هيبة الوزارة » .

ولا يمر عام على هذه القضية حتى تستدعى النيابة جاويش ثانية ، وتقدمه للمحاكمة على ما جاء فى مقالته « ذكرى دنشواى » التى نشرها فى « لواء » ١٩٠٩/٦/٢٨ . وبعد سماع مرافعة النيابة ودفاع الشيخ ، حكمت المحكمة ، فى ١٩٠٩/٨/٥ ، على الشيخ بغرامة قدرها أربعون جنيهاً . وأعاد الشيخ الكرة ، فاستأنف الحكم ، كما استأنفته النيابة كذلك . ولكن ، كم كانت دهشة الشعب واستيائه عندما سمع هذه المرة ، أن محكمة الاستئناف قضت ، فى ١٩٠٩/٨/٢٥ ، بتعديل حكم الغرامة إلى حكم بالحبس ثلاثة أشهر ، وبأن نقض هذا الحكم الاستئنافى قد قضى برفضه أيضاً فى الشهر التالى .

وتتعمد الوزارة ، فترسل ، يوم ٨/٢٥ بالذات ، إنذاراً إلى « اللواء » بخصوص مقالات شديدة كانت الجريدة قد نشرتها مؤخراً . وكان هذا الإنذار أول إنذار صادر لصحيفة ، بعدما أحيت الوزارة ، قبلها بخمسة أشهر بالتمام ، « قانون المطبوعات » القديم ، المقيد لحرية الكتابة .

لهذا ثار الرأي العام ، وبعث ببرقيات احتجاج ملأت أعمدة صحف الحزب الوطني ، كما « بادر الشعراء إلى إبراز مشاعرهم وعطفهم على الحركة الوطنية ، وما أصابها من الاضطهاد في شخص الشيخ جاويز » .

ولم يكن إيليا ظاهر أبي ماضي أقل وطنية ، في هذه المناسبة ، من أحمد نسيم أو الشيخ على الغياطي مثلاً . إذ أننا نجده ينظم قصيدة تنشرها « اللواء » في ٩/٤ ، تحت عنوان « إلى بطل الوطنية » ، خاطب فيها عبد العزيز جاويز في سجنه قائلاً :

لئن حجبوك عن مقل البرايا	فما حجبوا هواك عن الصدور
وإن تلك قد حبست وأنت حر	فكم في الحبس من أسد هصور
كبير القوم أكثرهم خطوباً	لذاك رميت بالخطب الكبير
لقد أعليت قدر السجن حتى	أحب السجن سكان القصور
ولا عجب إذا أسكنت فيه	فكم في الليل من قمر منير
تعددت الطيور فلا حبيس	سوى الغرد الحميل من الطيور
يقول الشامتون : « السجن يزرى »	لئن صدقوا فبالجاني الكفور
وما في صحبة الأشرار عيب	على الداعي إلى ترك الشرور
فصبراً يا نزيل السجن صبراً	فما عرف الهناء سوى الصبور
وحسبك عطف هذا الشعب فخرا	وحسب عدلك توبيخ الضمير

وازداد الشعب عطفاً على الشيخ جاويز ، فتبرع الكثيرون لعمل وسام ذهبي مرصع بالأحجار الكريمة ، قلده إياه « اعترافاً بوطنيته الصادقة » في احتفال أقاموه له^٣ يوم خروجه من السجن .

على أن السجن الذي ودَّعه جاويز فجر ٢٢/١١/١٩٠٩ ، عاد ففتح

للشيخ أبوبابه ، في ٧/٨/١٩١٠ ، ليقتضى فيه ثلاثة أشهر آخر ، عقاباً له على كلمة « الشعراء » التي قرظ بها ديوان « وطني » للشيخ على الغاياتي ، أحد محرري جريدة « اللواء » .

والحق أن هذه الكلمة التي ظهرت أولاً في جريدة « العلم » بتاريخ ١٦/٦/١٩١٠ ، ثم صدّر الغاياتي بها ديوانه عند نشره ، لم تكن لتستحق محاكمة وعقوبة ، ولكنها حكومة محمد سعيد التي قرأت في تقرير الأستاذ الشيخ ، وفي تقرير محمد فريد لنفس الديوان أيضاً ، أشياء لا نقرؤها نحن في التقريرين .

وخرج جاويز من سجنه في ٤/١١/١٩١٠ مخفوقاً بالحفاوة ، لتصله ، ضمن التهاني ، قصيدة من أبي ماضي المعجب به ، عنوانها « نجوى شاعر » ، جاء فيها :

« عبد العزيز » تحية من شاعر	ما قال إلا أطرب الجمهورا
إن شاء زف لك اللآلى أحرفاً	أو شاء ساق لك النجوم سطورا
ففسى فداؤك ، وهى نفس حرة	تأبى الهوان وتكره التصغيرا
لما حبست حبست طرفى أن يرى	وكتمت من ألم الفراق سعيرا
قالوا : « شهور لا تطول وتنقضى »	يا ويحهم سما السنين شهورا
لا غرو إن طال الزمان مع النوى	ليس اليسير مع البعاد يسيرا
ما شان قدرك منزل أنزلته	أنى أقام الحر كان كبيرا
فلقد وجدت السيف يقطع مغمداً	حذراً ، ويقطع حده مشهورا
والبدر يحمل سافراً ومقنعاً	والليث يعظم مطلقاً وأسيراً
حتام يشمت حاسدوك ولا أرى	لهم على أيامهم تخييراً
مادام هذا الدهر يعقب صفوه	كدرأ ، ويعقب عسره التيسيرا
لا يسلم الإنسان من آفاته	حتى يكون مع الأثير أثيراً
فاصفح عن الواشين شيمة قادر	فلأنت أسمح ما تكون قديراً
وأعد إلى الأقلام سالف مجدها	وإلى الصحافة عزها المشهورا
وانفض من الأحقاد أفئدة الورى	وامبلاً قلوب الناشئين شعورا

(٤)

كانت الفترة التي عاشها أبو ماضي في مصر فترة تكوينه العقلي . كما كانت فترة تكوينه البدني . فإن الصبي ذا الحادية عشرة الذي نزل البلاد غرا عام ١٩٠٠ ، ودّعها عام ١٩١١ شاباً في الثالثة والعشرين ، وقد تحدت معالم فلسفته للحياة بمفاهيمها الاجتماعية والسياسية . وكانت الفترة ذاتها فترة تكوين الحزب الوطني . فإن هذا الحزب الذي كان موجوداً فعلاً في مصر منذ ١٨٩٤ - كما ذكر مصطفى كامل - أصبح عام ١٩٠٧ حزباً رسمياً منظماً ، له لائحته ، ورئيسه ، ومجلس إدارته ، وأعضاؤه .

فكان أبا ماضي كان على موعد مع الحركة الوطنية لينمو وإياها في وقت واحد ، حتى إذا ما بلغت هي كمالها ، وبلغ هوسن الرشد ، اختار أن يكون لها . وكيف لا ، والحركة حركة الشباب ، وحركة الأغلبية الشعبية التي هو منها ، وقضية مصر قضية عادلة إلا - كما قال هو - « معترض في قلبه مرض » . فوق هذا ، كان لمصر على أبي ماضي حق : فلأنها استضافته ، فترعرع بين ربوعها ، ونعم بخيرها ، وطال مقامه فيها لأن أهلها قوم كرام ودادهم على الأيام باق وجارهم عزيز لا يضام فلا عجب إذن ، أن يتعلق بها ، ويعطف عليها كواحد من أبنائها ، ويعمل شيئاً من أجلها ليرد إليها بعض جميلها .

سمع الإسكندريون أبا ماضي مرة يلقي بحماس ، في احتفال ، قصيدة جاء فيها هذه الأبيات التي تذكرنا كلماتها وموسيقاها بالأنشيد الوطنية :

أيا « مصر » أفديك بالأنفسين بروحي وما ملكته يدي
أحبك حتى تجف البحار ويمشي الفناء إلى الجلمند
وما أنا وحدي المحب الأمين فكم بي في الناس من مقتد

ونسمة ، ونحن نقرأ في « ديوان تذكارات الماضي » ، يخاطب النيل بعدما ملأ هذا النهر الخالد نفس شاعرنا هيبة ، إثر وقفة على شاطئه ، فيقول له :

وما أنا بالعبد الذى يرهب العصا ولكنى حر تروع بواده
أيا «نيل» فامنحنى على الحق قوة فما سود الضرغام إلا أظافره
وهبنى بأساً يسكن الدهر عنده فقد طالما جاشت على مناخره
ثم ينتقل أبو ماضى بعد هذه الأبيات إلى وصف المحتل الظالم وعونه ، وإلى وصف
شعب مصر المظلوم ، فيقول :

ف «غورست» فى «مصر» يسدد سهمه إليه ، و «قناص الوحوش» يضافره
يلجون فى إعناته ، فإذا شكوا يصيحون : إن الشعب قد ثار ثائره
لقد هزأوا لما تنبه بعضه ، فلم ذعروا لما تنبه سائره ؟
رعى الله من أبنائه من يذود عن حماه ، ومن أضيافه من يظاھرہ
هم بعثوا فيه الحياة جديدة فشدت أواخيه ، وعزت أواصره
وهم أسمعوا الأيام صوتاً كأنما هو الرعد تدوى فى السماء زماجره
وهم أطلقوا أقلامهم حين أصبحت مكبله أقلامه ومحابرہ
كذلك إن يعدم أخو الظلم ناصراً فلن يعدم المظلوم حراً يناصره
ونسلمه كذلك فى قصيدة «عام ١٩١٠» يقول :

إن لم أزد عن أرض «مصر» موقفاً أودى بآمالى الزمان موقفاً

ولقد دهش بعضهم وقتها من موقف أبى ماضى هذا ، ومن اندفاعه فى الدفاع
عن بلاده لم يولد فيها ، ولا يدين بدينها ، ومن إيمانه الصادق بإرادة شعبها ، فاستنكر
عليه الأمر ، و «وافى يسوق إليه التعنيف والعذلا» ، ويسأله :

حتام تدفع عن «مصر» ولست لها بابن ولا ناقة تبغى ولا جملاً ؟
ولكن أبا ماضى الشاب العاقل المتزن لم يأبه بهذا اللوم ، ويقول لنا :

فلذت بالصمت حتى لاح لى علم ضاف تداعبه أيدى الصبا جذلاً
وقلت : انظروا فولى شطره فرأى رسم الهلال ، فوارى وجهه خجلاً
وعدت أرثى له مما ألم به وعاد يعثر فى أذياله خيلاً

ويمضى أبو ماضى فى نظمه لينقل إلينا فى الأبيات التى تلى هذه جوابه على سؤال
أحد اليائسين المتخاذلين :

وقائل : كيف ترقى « مصر » ؟ قلت له :
 يقظان لا جزعاً مما يحاذره
 ثبت العزيمة لا يلسرى بهمته
 شعب يسابق نحو المجد هاجسه
 شعب أحب إليه الموت محترماً
 حسب « الكنانة » شعب يعشق العملا
 فمن يخف فشلا في سعيه فشلا
 كيد الطغام ، ولا بعد المرام ، ولا
 إني وجدت التواني يخاق الكسلا
 من أن يعيش طوال الدهر مبتدلا

(٥)

كان أبو ماضى واحداً من أولئك الشعراء الذين عرفوا ما لـ « فنهم الجميل »
 من فاعلية في تحريك النفوس ، فكرسوه في ذلك العهد للإسهام في إذكاء جذوة
 الحرية بتلك الوطنيات التي قرأها لهم معاصروهم بإعجاب على صفحات الجرائد ،
 وقرأنا نحن بعضها مجموعة في دواوين .

والمتصفح « ديوان تذكاري الماضى » الذى طبعته لأبى ماضى المطبعة المصرية ،
 بالإسكندرية ، في النصف الأول من عام ١٩١١ ، لن يفوته ملاحظة أن هذا
 الديوان قد تضمن قصائد سياسية دون أن يتضمن « باباً للسياسة » . ذلك أن
 شاعرنا تعمد سنّها ، على ما نعتقد ، عدم أفراد مثل هذا الباب في ديوانه ،
 كما تحاشى أيضاً إيراد قصائد معينة له فيه ، حتى لا يوجه أنظار الرقابة إليه ،
 فتتال منه كما نالت من غيره : فهو قد رأى كيف صودر « وطنيتى » ، وكيف
 طورد الغاياتى ، وكيف حوكم الشيخ جاويش والزعيم محمد فريد ، وكيف
 حبس الأول ثلاثة أشهر مرتين والثانى ستة ، وكيف كانت الجرائد توقّف ، وكيف
 كان أصحاب المطابع يستدعون ، وكيف . . . ، وكيف . . . ، فاحتاط من
 بطش رقابة الاحتلال الغاشمة التى قال عنها فى بائنة له مجهولة :

كفى « مصر » أن الغاصبيها حقوقها أعادوا لها زمان « المراقب »
 فعند شروق الشمس نكبة شاعر وعند غروب الشمس نكبة كاتب
 لهذا نرى أبا ماضى أدرج قصيدة « وقال » فى باب « الأدب والاجتماع » ،
 عندما قدم ديوانه للنشر ، وأدرج « الذئب الحافظة » و « أيها القلم » ،
 و « مصر والشام » ، و « عام ١٩١٠ » ، و « أيا نيل » فى باب « أغراض شتى » ،

متناسياً في الوقت نفسه قصيدة « مصر والاحتلال » اتقاء ما قد يترتب على إدراجها .
 بيد أن المبررات التي حكمت على أبي ماضي ، عهدئذ ، بأن يتناسى قصائده
 له نظمها ، لا تحكم علينا نحن الآن بأن نتناساها أيضاً . فليس من الإنصاف ،
 لا للحركة الوطنية حين نورخها اليوم . ولا لأبي ماضي حين ندرسه في شبابه ،
 أن تظل قصيدة مثل « مصر والاحتلال » مدفونة بعدما نشرتها « الشعب »
 القاهرية ، في ٢٧/٣/١٩١٠ بمقدمة تم ، برغم إيجازها الشديد ، عن رأي
 أسرة تحرير هذه الجريدة في أبي ماضي . قالت هذه الجريدة ، وكانت لسان
 بحال الحزب الوطني ، ما نصه :

« تفضل حضرة الشاعر الكبير المطبوع صاحب الإمضاء فأرسل إلينا هذه
 القصيدة العصماء يصف فيها مركز مصر إزاء الاحتلال بما عهد فيه من رقة
 الشعر وجزالته ، فنشكر له هذا الإحساس الشريف ، ونثنى عليه الثناء الجميل » .

فإذا لاحظنا أيضاً أن « الشعب » نشرت القصيدة على يسار مقالة « حول
 الدستور » لمحمد فريد — ولم يأت ذلك عفواً على ما نظن — ثبتت لنا تلك المكانة
 التي وصل إليها أبو ماضي ، عن جدارة ، واعترف له بها مبكراً في حياته .

ف « مصر والاحتلال » إذن تستأهل نقلها هنا كاملة ، لأنها من أحسن وطنيات
 تلك الحقبة ، ومن عيون « مصريات » أبي ماضي ، ولأنها بمفردها ، تشهد على
 ما كان لناظمها في شبابه من طبيعة شاعرة ، وشجاعة نادرة ، ووطنية صادقة .

خلّني أستصرخ القوم النياما	أنا لا أرضى لـ « مصر » أن تُضاماً
لا تَلُمّ في نصره الحق في	هاجه العابث بالحق فلاماً
أوفلّمني إن قلبي كُلمّـاً	زدت في تعنيفه زاد هياماً
سوف أشكو الهم إن أخرجني	ربما خففت الشكوى السقاماً
وقفه في شاطئ « النيل » معي	نقري « النيل » التحايا والسلاماً
وأناجيه أماني أمة	منعوها ماءه إلا لمساماً
علّه يبعث من أسرارهِ	قوة تبعث في الشعب اعتزاماً
قسماً بـ « النيل » لو أن به	ما بنفسي من جوى سال ضراماً

لست أنسى ليلة بت بها
أرقب الأقمار في أفلاكها
لم يؤرقني اشتياق أو هوى
راع نفسي أن «مصر» روعت
حسب «مصر» أنها الأرض التي
وبنيها إنهم نسل الألى
كرمت «مصر» وأهلها فما
كان للأحرار فيها موئل
ثم هاض الدهر من جانبها
أرّبي «مصر» على رغم العدا
لست مصرياً ولكن نسبة
أمة ترتقب استقلالها
ما لهم يسعون في إيدائها ؟
زعموا إصلاحها وهي التي
حبسوا «النيل» على نفهمو
فإذا ما صرخت تشكو والصدى
أنكروا خطوتها نحو العلا
ورموها بالتواني ويجهم
قد نحت تسعة أعوام على
وانقضى العمر ولما تنجلوا
كبلوا أقلامنا جهدكم
وإذا عز عليكم أننا
وإذا عز عليكم أننا
ينزع الأرواح من أجسادها
إنما ينقلب الأمر إلى

والأسى يدفع عن عيني المناسا
مثل ما يرقب راعيها السوامسا
ما الهوى بغية من بالمجد هاما
بأبي «مصر» ومن فيها أقاما
أمن الله بها «البيت الحراما»
عركوا الدهر فتية وغلاما
نقضت عهداً ولا خانوا ذماما
يعصم الحر فلا يخشى اهتضاماً
إنما يهتضم الدهر الكراما
لست أعنى بالعدا إلا الطغاما
بيننا تجمع «مصر» و«الشاما»
مثلاً يرتقب الصادى الغماما
ما رمت سهماً ولا سلّت حساماً
ما شكت غير هموداء عقاماً
وأعاضوها من السرى الأواما
جعلوا القانون في فيها لجاماً
«رب ذى لب عن الحق تعامى»
أخمدوا إنها تهوى السلاماً ؟
شقة «النيل» سوى عشرين عاماً
فإلام أيها القوم إلا ما ؟
وامنعوا الألسن والصحف الكلاما
في وثام فانشروا فينا الخصاصا
في حياة فابعثوا فينا الحماما
أو فكونوا أنتم المبوت الزواما
ضده إن جاوز الأمر التماسا

(٦)

ولنا أن نتساءل إذا كان أبو ماضي قد دخل فعلاً الحزب الوطني ، وصار عضواً مقيداً في قائمة أعضائه . فما لا شك فيه أنه آمن بوطنية الحزب ، فجاهر بها تماماً كما جاهر بها شعراء الحزب الرسميون . ففي أشعاره التي نظمها في الفترة المصرية من حياته صدى واضح لمطالب هذا الحزب ، ولسياسته ، ولنشاطه ، ولأقوال رجاله .

طالب أبو ماضي المحتلين بالخلاء في قصيدته السابقة ، فقال :

قد خلت تسعة أعوام على شقوة النيل سوى عشرين عاماً
وانقضى العمر ولما تنجلوا فإلام أيها القوم إلا ما ؟

وطالب بالدستور في قصيدة « مصر والشام » ، بعد « معاهدة بانكوك » التي عقدت في ١٠/٣/١٩٠٩ ، والتي ألغيت بمقتضاها الامتيازات البريطانية في سiam ، فقال :

إلا م تمنع الدستور « مصر » وقد كادت تفوز بـ « سiam » ؟

وكان الخلاء والدستور مطلبين الحزب الأساسيين . إلا أن الخلاء ، الذي أصر عليه الحزب الوطني « حتى صار أصبح تعريف له أنه « حزب الخلاء » ، لم يلقَ من أبي ماضي الاهتمام نفسه الذي لقيه الدستور منه . ونعزو هذا إلى أن زعامة الحزب الوطني كانت هي المطالبة بالخلاء ، باسم الشعب ، على حين كان الشعب نفسه هو المطالب بالدستور ، تحت إشراف الحزب .

ففي أوائل عام ١٩٠٨ ، قامت في مصر « حركة إجماعية للمطالبة بالدستور » أسفرت عن جمع عشرات الآلاف من العرائض ، وقع عليها ٤٥ ألف مواطن ، قدمها محمد فريد إلى الخديوي نفسه في ٢٥ أبريل (نيسان) . وصادف أن قامت أيضاً ، في نفس العام ، حركة في تركيا كان نتيجةها إعلان عودة الدستور العثماني في ٢٣ يوليو (تموز) ، بعد إلغاء مؤقت دام ثلاثين سنة . فألهب هذا الإعلان حماس الشعب المصري ، وحفره إلى جمع دفعة جديدة من التواقيع لتقديمها

إلى الحديوى ، هذا فى حين بدأ الشعراء الوطنيون يؤهلون بعودة الدستور منتظرين نظيره فى مصر . وفى هذا المجال نظم أبو ماضى « تحية الدستور العثمانى » التى منها :

إلى حيث ألفت يا زمان المظالم	ولاعدت ياعهد الشقا المتقادم
ثلاثون عاماً والنواب فوقنا	خيمة مثل الخيام القوام
ويأيتها الدستور أهلاً ومرحباً	« على الطائر الميمون ياخير قادم »
طلعت علينا كوكباً غير آفل	على حين أن الشرق مقلقة هائم
أهبت فقر الظلم بالأرض هارباً	ونكس خزيّاً رأسه كل ظالم
توهم قـوم أنما الشرق واهم	وأنتك يادستور أضغات حالم

وفى ميمية أخرى مجهولة ، عنوانها « غادة الحرية » خاطب أبو ماضى الضباط الأحرار الأتراك ، عقب نجاح حركتهم ، وذكرهم بمدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٤) ، « أبى الدستور العثمانى » ، الذى نفاه السلطان عبد الحميد (١٨٤٢ - ١٩١٨) ، حكم ١٨٧٦ - ١٩٠٩) إلى الطائف حيث لاقى مصرعه ، فقال :

معشر الأحرار أنتم خير من	يرتجى فينا إذا الخطب ادلهم
ولأنتم أرجح الناس حججى	ولأنتم أجمل الناس شيم
إن بـ « الطائف » قبراً واضحاً	جاد ذاك القبر منهل الديم
لو درى ساكنه ، من طرب ،	جاءكم يسعى على غير قدم
قدسوه إن فيه ملكاً	واسألوه تستفض منه الحكم

و قصيدة أخرى مجهولة أيضاً ، عنوانها « عيد الحرية العثمانى » ، نشرتها فى ١٩١٠/٧/٢٤ « العلم » ، لسان حال الحزب الوطنى ، تغنى أبو ماضى بعيد الدستور ، وبشهر يوليو (تموز) ، شهر الحرية الذى تُعيّد فيه الولايات المتحدة الأمريكية باستقلالها منذ ١٧٧٦ ، وفرنسا بثورتها منذ ١٧٨٩ ، فقال :

عيد إذا عُدَّ فى الأعياد زينها	كالشمس فى الشهب ، هل للشمس أمثال ؟
عيد رآه ذوو الحاجات فابتسموا	شوقاً ، وكم لذوى الحاجات آمال
تفاءلوا أن « تموز » يكون لهم	عيداً كغيرهم ، قد يصدق الفال
« تموز » أنت منيل الشرق بغيته	فى حين أسمح قوم فيه بخال
بتنا نود شهور العام أجمعها	« تموز » ، وأن يوم العيد أجيال

(٧)

« كانت الأشهر الأولى من عودة الدستور — كما يقول توفيق على برو في كتابه « العرب والترك في العهد الدستوري العثماني » — ممتلئة بروح الحماس والنجبة والأخوة بين الطوائف ، وعَبَّرت الجماعات والأفراد عن شعورها بمختلف الوسائل . فقد أعرب السوريون في الأرجنتين عن ولائهم للعهد الجديد بفتح اكتاب عام للتبرع بسفينة حربية هدية للبحرية العثمانية ، وشكل أهالي بيروت حرساً وطنياً لمساعدة الجيش عند اللزوم ، وفي العراق ، اتباع طالب بك النقيب ، نائب البصرة الجديد من ماله الخاص ، مركباً بخاريّاً ، أهداه إلى الحكومة كي تستخدمه في المحافظة على شط العرب . . . وفي طرابلس الشام تضافرت أيدي الترك والعرب ، وأصبحوا يساهمون معاً في الأعمال الخيرية . وحتى عبد الحميد نفسه أعرب عن إخلاصه للدستور ورغبته بالحفاظ عليه . »

أما في مصر ، فيفيدنا قنبر بأن محمد فريد خطب بالإسكندرية فهناً الأمة العثمانية بإعلان عودة الدستور ، منادياً « ولتكن الآستانة كعبتنا السياسية من الآن ، فنحن من الأمة العثمانية ، لنا امتيازات لا تخرجنا عن كوننا عثمانيين » . واستنكرت بعض الأحزاب هذا التصريح الذي لم يكن جديداً في سياسة الحزب الوطني . فقد أكد الحزب ، منذ ظهوره ، تبعية مصر لتركيا — لكسب الجلاء ، وحارب من يدعو إلى الانفصال عنها . وفي هذه المناسبة ، شارك أبو ماضي في التعبير عن شعوره ، وعن شعور العرب إجمالاً ، والحزب الوطني خاصة ، بالولاء لتركيا ، عندما خاطب السلطان « عبد الحميد بعد إعلان الدستور » قائلاً :

أبا الشعب اطلع من حجابك يلتقي	بطرفك مثل العارض المتدفق
تَطْلَعُ تجده حول قصرك واقفاً	يُحَدِّقُ تحديق الحب الموق
يَهْشُّ لمرآك الوسيم ، وإنما	يَهْشُّ لمرآى الكوكب المتألق
ويعشق منك البأس والحلم والندى	كذلك من ينظر إلى الحسن يعشق
تفرق عنك المفسدون ، وطالما	رموا الشعب بالتفريق خوف التفرق
وكم أقلقوا في الأرض ، ثم تراجعوا	يقولون : شعب مقلق أى مقلق

يطارحك الحب الذى أنت أهله وحسبك منه الحب غير مزوق
وها جيشك الطامى يصبج مكبراً بما نال من عهد لديك وموثق
ويأيتها الملك المقيم : « يلدز » ملكت قلوب الناس بالعرف فاعتق
وياحبذا عيد الجلوس فإنه أجَلَّ الذى وَلَّيَ وأجمل ما بقى

ولكن عبد الحميد سرعان ما تنكر لدستور ١٩٠٨ كما تنكر للدستور ١٨٧٦ من قبل ، فقامت حركة فى الآستانة ، عام ١٩٠٩ ، لتخلعه ، وتخرج أخاه « رشاد » (١٨٤٤ - ١٩١٨) من سجنه ، وتولييه سلطاناً باسم « محمد الخامس » (١٩٠٩ - ١٩١٨) . وفى هذا ينظم أبو ماضى « فتنة ١٣ أبريل (نيسان) » التى بارك فيها الحركة ، ولام عبد الحميد ، ثم قال :

يا « رشاد » الملك تهتة بالذى أوتيت من نعم
أنت كـ « الصديق » أسكنه فضله فى السجن من قِدم
كن لهذا الشعب « يوسفه » ينج من عدم ومن عدم
أنت للشورى نعوذها بك من عات ومن نهم
فتقلد سيف جدك « عذ » مان ، جد البيض والخدم
وتولَّ المُلْكَ من أمم وبجبل الله فاعتصم
دمت يساً خير الملوك له غير ما هم ولا سقم

وازداد أبو ماضى ولاء للسلطان الجديد ، فتمثله ، فى عامه الثانى من حكمه ، هارون الرشيد ، وتمثل الآستانة ، مقر الخلافة الإسلامية وقتذاك ، بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، فقال فى « عيد الحرية العثمانى » :

المُلْكُ لاق به من كالأ « رشاد » حجبى هيهات ما لـ « رشاد » الملك أمثال
« دار السلام » سقتك السحب هامية ما دام للسحب فى الأكوان تجوال
إنى أرى فيك « بغداداً » ، وأبصر فى برد « الرشيد » « رشاد » الملك يختال
يا درة الشرق دمت الدهر حالية فالشرق لولاك أمسى وهو معطل

(٨)

« في أواخر سنة ١٩٠٩ ، وأوائل سنة ١٩١٠ — يقول الرافعي — شغلت
الرأى العام مسألة كبرى ، تتصل بحياة البلاد المالية والسياسية ، ونعنى بها مشروع
مد امتياز قناة السويس . وفحوى هذا المشروع أن المستشار المالى البريطانى
« مستر بول هارفى » ، أخذ يفكر — بهواه — فى وسيلة يسد بها حاجة الحكومة إلى
المال . فدخل فى مفاوضة مع شركة قناة السويس ، لمد امتيازها أربعين عاماً (من
١٩٦٨ إلى ٢٠٠٨) ، تلقاء أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة . . .
وقد ظل المشروع فى طى الخفاء زهاء سنة ، وكان فى عزم الوزارة إنفاذه بسرعة ،
حتى لا يزعجها احتجاج الصحف الوطنية . ولكن « فريداً » تمكن من الحصول
على نسخة من المشروع فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٠٩ ، فبادر إلى نشرها
« اللواء » ، ثم قفى على أثرها ببيان أسرار المشروع وأسبابه ، ومبلغ الغبن الذى
يصيب مصر من ورائه ، وشرح ذلك فى سلسلة من مقالات مستفيضة » .

وتبع ذلك أن شن الكتاب والشعراء الوطنيين حملة عنيفة على المشروع ، كان
من جرائها رفض « الجمعية العمومية » المشروع بإجماع الأعضاء ، فى جلستها
بتاريخ ١٩١٠/٤/٧ .

وكان لهذا الرفض وقع حسن فى نفوس المصريين . ورأى بعضهم ، فى
الإسكندرية ، أن من واجبه تكريم نوابه الذين يرجع إليهم فضل رفض إنفاذ
المشروع ، فوجه « دعوة إلى الإسكندريين » ، فى « الشعب » القاهرية ،
١٩١٠/٤/١٧ ، هذا نصها :

« تعلمون — حفظكم الله — مقدار ما أبلاه البطلان العظميان إسماعيل باشا
أباظة ، وعبد اللطيف بك الصوفانى ، وزملاؤهما ، من البلاء الحسن فى « الجمعية
العمومية » ، ومدافعهم عن حقوق الأمة ، ورفضهم « مشروع القنال » ، بعدما
أظهروا للعالم أجمع مقدار ما يصيب الأمة من الأذى والمضار إذا قبلته . تعلمون
عن كل تلك الأعمال التى أخرست ألسنة كل مكابر ناكر لكفاءة الأمة وعظيم
مقدرتها ، تلك التى برهنت بأقوى دليل على أن المصرى لو أعطى من الرأى النافذ

والحرية في العمل في شؤون بلاده لخدمها بأحسن ما يخدم به المرء بلده ، ولتسما بها إلى أعلى عليين .

ولقد اقترح حضرة الوطنى الغيور « محمود أفندى جمدى السخاوى » ، على صفحات « الشعب » ، عمل مظاهرة يقوم بها الإسكندريون تكريماً لنوابهم الأماجد الذين جاهدوا في سبيل أمتهم خير جهاد ، وطلب من كل وطنى حر الاشتراك معه في القيام بهذه المظاهرة قريباً .

ونحن نستحسن هذا الاقتراح غاية الاستحسان ، ونضم صوتنا إلى صوته ، وندعو إخواننا الإسكندريين لمساعدته للقيام بالواجب نحو نوابهم الأحرار ، لأن مثل هذه المظاهرات أعظم مشجع لهؤلاء الأبطال على السير في طريق جهادهم ، وتعدُّ بمثابة شكر واستحسان لما أتوا به من جلائل الخدمات . وأملنا فيهم — وهم المشهورون بالغيرة الوطنية والحمية الملية — أن يسرعوا لإجابة هذه الدعوة ، وإنا لذلك منتظرون . وفقنا الله جميعاً لصالح الأعمال . آمين .

وقد وقَّع هذه الدعوة وطنيون ستة ، هم : محمد عوض جبريل السكندرى ، محمود حسن الدرسللى ، السيد الشيمى ، محمد طاهر ، محمد على منصور وكيل « المنار » ، إيليا ظاهر أبو ماضى بشارع راغب باشا .

ولا يكتفى أبو ماضى بالاشتراك في توجيه هذه الدعوة ، بل يسجل نصر الوطنيين في معركتهم ضد مد امتياز القنال ، فينظم في قصيدة « عام ١٩١٠ » :

وسعوا إلى سلب « القناة » فأخفقوا	سعيًا ، وشاء الله ألا نخفقا
عرض الحساب «المستشار» ولم يكن	لولا السياسة حاسبًا ومدققا
أ يكون غاصبنا ويزعم أنه	أمسى علينا محسنًا متصدقًا!

ويسجله ثانية في قصيدة « أيا نيل » ، التى نشرتها « العلم » نفس العام ،

فيقول :

ألم يك فى يوم « القناة » ثباته	دليلاً على أن ليس توهى مرائره ؟
يعز على المصرى أن يحمل الأذى	وحاضره يأبى الهوان وغابره

(٩)

تطورت الحركة الوطنية في مصر : أواخر ١٩٠٨ ، من حركة سياسية بحتة إلى حركة سياسية اجتماعية تبغى إصلاح مصر اجتماعياً ، قدر ما كانت تبغيه سياسياً . فنشط الحزب الوطني - معتمداً على كفاءة أعضائه وغيره مؤيديه - في مجالين رئيسيين : مجال العمال وأرباب الحرف ، ومجال التربية والتعليم .

أما العمال ، فأول ما قام به الحزب نحوهم - قبل دعوته إلى وضع التشريعات لحمايتهم وإنشاء نقابات لهم - هو إنشاء مدارس ليلية مجانية لتزويدهم وتوعيتهم ، سماها « مدارس الشعب » . وافتتحت أولى هذه المدارس في حى بولاق بالقاهرة ، في ١٩٠٨/١١/٧ ، وتولى التدريس فيها كبار أعضاء الحزب ، وعلى رأسهم الشيخ جاويش نفسه . وتبع ذلك افتتاح ثلاث مدارس مماثلة في ثلاثة أحياء أخرى بالعاصمة .

وفي أبريل (نيسان) ١٩١٠ ، اتفق نخبة من الوطنيين في الإسكندرية على تأليف « جمعية مدارس الشعب » لإنشاء هذه المدارس بالشعر . فتوجه الصيدلى عبد الله محمد ، صاحب « أجزخانة عبد الله » المجاورة للجامع سلطان ، دعوة لاجتماع عام يبرز الجمعية إلى حيز الفعل . وأسفر هذا الاجتماع ، الذى عقد عند الصيدلى مساء ١٣/٤ ، عن انتخاب لجنة تحضيرية للجمعية ، ثم عن انتخاب لجنة الجمعية وسكرتيرها وأمين صندوقها ، فى اجتماع اليوم التالى . ولم يكن أبو ماضى قريباً إلى هذه الجمعية عند تكوينها لأن مركزها صيدلية متاخمة لدكانه ، ولكن ، لأنه كان من أوائل الذين قاموا لمناصرتها . فما كادت « الشعب » ، الناطقة بلسان الحزب الوطنى ، تنشر فى عدد ٨/٤ كلمة ، تجذب فيها فكرة مشروع مدارس الشعب بالإسكندرية ، وتحت فيها أكابر الشعر وأدبائه ، وسائر أهاليه إلى تعضيد هذا المشروع ، حتى . كان أبو ماضى قد نظم « هديتى إلى مدارس الشعب بالإسكندرية » ، وبعث بها إلى الجريدة . فنشرتها هذه ، فى عدد ٢٤/٤ ، ممهدة لها بالمقدمة الآتية :

« أرسل إلينا حضرة الشاعر المجيد ، صاحب التوقيع ، هذه القصيدة العصماء ، وقد عارض فيها قصيدة الشاعر الكبير حافظ أفندى إبراهيم التي قدمها إلى « جمعية رعاية الأطفال » (في حفل أقيم ١٩١٠/٤/٨ ، في دار « الأوبرا » بالقاهرة) . ولا ريب أن أمثال هذه المواضيع الأخلاقية لما يجدر بالشعراء المجيدين طروقها ، بثاً لروح الفضيلة في النفوس ، وتنمية لمكارم الأخلاق في الأمة . فتشني على هذا الشاعر الفاضل ، ونأمل أن يكون لسائر شعرائنا جولة مشهودة في هذا الميدان المحمود . »

والقارئ لـ « هدية أبي ماضي » سيجد أنها من الشعر الاجتماعي الذي — عرّفه بدوى طبانة بقوله — « يعالج أحوال المجتمعات الإنسانية ، ويصف عللها وآلامها ، ويشرح أمانيتها ومطالب حياتها » . وسيجد قارئها أيضاً أن ناظمها كان مصدوع الفؤاد حينما ندب فيها حالة العمال ، مما جعله يختتمها بهذا النداء الإنساني :

فخذوا بناصرهم فإن حياتهم	في مأزق حرج من الأهوال
ما أجدر الجهلاء أن يتعاموا	فالعلم مصدر هيبة وجلال
فاسعوا لنشر العلم فيهم ، إنما	فضل الغمام يبين في الأمحال
إن الجهول إذا تعلم واهتدى	بث الهدى في صحبه والآل
يا قوم ، إن لم تسعفوا فقراءكم	فلنم ادخاركم إذا للمال ؟
هلا رضيتم بالمحامد قنية ؟	إن المحامد قنية المفضال
أولستم أبناء من سارت بهم	في المكرمات روائع الأمثال ؟
جودوا ، فغير الحمد غير مخلد	ما المال ؟ إن المال طيف خيال
هيئات ، ما يبق ولو عدد الحصى	أننى يدوم وربه لزوال

(١٠)

رأى الحزب الوطني ، حين انبرى لإصلاح مصر إصلاحاً اجتماعياً ، أن التعليم هو عماد هذا الإصلاح الذي كان يهدف إليه ، أو هو « خير دواء يصلح الحلالا » — حسب تعبير أبي ماضي . فقام الشيخ جاويش ، وهو المربي الذي انقلب سياسياً ، بوضع برامج تعليمية عصرية لتقويم التعليم المصري في جميع مراحله وبكل أنواعه .

ولم ينس هذا الشيخ الأزهرى ، وهو فى غمرة التخطيط ، تحديث الأزهر ،
معهد الدينى القديم ، وكذلك تعصير رجاله . فأوجد مشروع « البعثة الأزهرية »
الذى من شأنه أن يرسل أزهريين ، بشكل منتظم إلى فرنسا ، لتلقى علوم الرياضه ،
والكيمياء ، والطبيحة ، والاقتصاد السياسى ، والتاريخ . ونجح المشروع ، وجمع
له من المال ما سمح بإرسال بعثة من ثلاثة مشايخ ، رافقها الشيخ جاويش .

وقبل إبحار البعثة من الإسكندرية ، فى يناير (كانون الثانى) ١٩١١ .
أقام الوطنيون بالثغر احتفالا فخماً لوداعها ، فى فندق « متروبول » ، دُعِيَ إليه
أماثل المصريين وذوو الفضل والعلم . وفى هذا الاحتفال أنشد أبو ماضى قصيدة
له مجهولة ، خاطب فيها المبعوثين فقال :

ويأيتها الظاعنون الكرام	إلى « الغرب » فى طلب السؤدد
إذا ما ركبتم غداة السفين ،	مطايا بنى الأرض ، فى المزبد
وأصبحتم فى بلاد الألى	متى يندروا دهرهم يرعد
ألا فاذكروا أنكم أمة	على ضعفها جمة الحسد
وأن « الكنانة » ترجو بكم	نصيراً على الجائر المعتدى
تطالبكم « مصر » أن تعملوا	ألا فاعملوا ، يارجال الغد
خذوا بالعلوم وأسبابها	فلتعلم خير من العسجد
هو الكثر لكنه خبالد	إذا نفذ المال لم ينفد
أنحو العلم حر وإن لم يكن	وذو الجهل ما انفق فى الأعبد
ولو لم يك الله سبحانه	عليم السرائر لم يعبد
وكم أطلق العلم مستعبداً	وكم خفض الجهل من سيد
وكم أمة وجدت عزها	به ، وهى لولاه لم توجد
ألم يك فى الشرق مصباحنا	فلما فقدناه لم نهتد ؟
إلى الملتقى ، أيها الراحلون	فليس اللقاء بمستبعد
كنى « مصر » أنكم رسلها	وحسبكم شرف المقصد

(١١)

كان لعبد العزيز جاويز أثره في أبي ماضي كما كان له أثره في نخبة من شباب العصر . إلا أن أثر جاويز في أبي ماضي ما كان نتيجة الاتصال الشخصي المباشر - فالظروف لم تتح للشاعر أن يتأثر بشخصية الشيخ كما أتاحت له لثوبه طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) مثلاً - وإنما كان نتيجة قراءة أبي ماضي لتتاج الشيخ اليومي في الجرائد ، قراءة مستوعبة .

فعندما صدر القرار الوزاري في ١٩٠٩/٣/٢٥ ، لتقييد حرية الكتابة ، نشرت « اللواء » في اليوم التالي مقالة لجاويز ، جاءت فواتح فقراتها كما يلي :

« أيها القلم ، لو كنت سيفاً لأغمدتك في صدور من يحاربونك .
 أيها القلم ، استلانوا عريكتك .
 أيها القلم ، أسكون بعد حركة ؟
 أيها القلم !! أهذا آخر عهدك بالقرطاس ؟
 أيها القلم ! تشيعك اليوم أفئدة أيقظتها .
 فلتكن ، أيها القلم ، كما شاءوا لك .
 وأنت يارب القلم ! » .

ولقد أوجت هذه المقالة النارية - التي أحدثت ردود فعل في « إيجيبيشان جازيت » ، جريدة الاحتلال ، وفي جريدة « المؤيد » التي كانت وقتها موالية للسلطة الحاكمة - أوجت إلى أبي ماضي أن ينظم قصيدة بعنوان « أيها القلم » ، وأن يناجي فيها يراعه فيقول :

ماذا جنيت عليهم أيها القلم ؟	والله ، ما فيك إلا النصيح والحكم
إني ليحزنني أن يسجنوك ، وهم	لولاك في الأرض لم تثبت لهم قدم
خلقت حرّاً كهوج البحر مندفعاً	فما القيود ؟ وما الأصفاد واللجم ؟

إلى أن يقول :

وأرهقوا الصحف والأقلام في زمن يكاد يعبد فيه الطرس والقلم
 ولعل تأثير الشيخ جاويز يظهر جلياً في تلك الأبيات التي ندد فيها أبو ماضي

بالربا وبالخمر . ففي أوائل سنة ١٩٠٨ ، تعرض الشيخ لموضوع الربا . كما نوه عن الخمر ، في محاضرات ألقاها بنادى دار العلوم ، لمدة أربعة عشر يوماً . ونشرت « المؤيد » أولى هذه المحاضرات ، مثنية على الشيخ ، ونشرت « اللواء » بقيتها . وكان أن استهل جاويش محاضراته متعجباً أشد العجب من الذين أصبحوا « يشربون الخمر . . . وَيُؤْكَلُونَ الرِّبَا وَلَا يَأْكُلُونَهُ ، فكأنهم قضى عليهم أن ينجسوا الدنيا والآخرة » .

وفي هذا المعنى نظم أبو ماضى ، فقال في قصيدته لمحمد فريد :

فليتقوا الله في « مصر » بلادهم « كنانة » الله ذات المجد والحسب
بات المرابي مع الخمار يسلبها هذا العقول ، وذلك خالص النشب

وقال في قصيدته « إلى الشبان المتفرجين » :

ألهتهم الدنيا ، فهذا بالطلی
والخمر فاتكة ، فكيف بناعم
قد أصبحوا وقفاً على شهواتهم
لم يفهموا معنى الحياة وكنهها

صب ، وهذا بالحسان متيم
ترف ، يكاد من النساء يسقم ؟
يستسلمون لها ولا تستسلم
إن البلية أنهم لم يفهموا

ووصف في « هديتى » ما شاهده في حانة أثناء سيره ليلاً في أحد شوارع الإسكندرية ، فقال :

فاستوقفتنى ضجة في حانة
خاموا على الصهباء يرتشفونها
نهب الكؤوس عقولهم ونضارهم
أسمى يسوق إليهم آجالهم
شرب الخمر ، يصبح صبها
ثم خاطب الخمار ، فقال له :

حبست مقاعدنا على الجهال
كالطير حول مصفق سلسال
نهب المدير الجادع الخصال
وحتوفهم في صورة الجريال
قيد الضنى ، ويبيت رهن خبال

ياسالب الأرواح ، بعض ترفق
لا تدفعن تلك النفوس إلى الردى
يكفيك أنك سالب الأمـوال
إن النفوس — وإن صغرنا — غوال

ولا يقف أبو ماضى عند هذا ، بل يحمل معه إلى الولايات المتحدة ، وأواخر

١٩١١ ، كرهه للربا . فيقول في قصيدة « خواطر شاعر » (نزوة ألم) ، بعد ما رأى عياناً حالة المهاجرين التعسة ، ورأى الربا فاشياً بينهم :

وما همى سوى شعب تعيس	شتيت الشمل ، جم الاضطراب
يحاول رزقه في المدن أنا	وآناً في السباسب والهضاب
ولو عرف السحاب يدر مالا	لأصبح راكباً متن السحاب
رمته الحادثات بكل سهم	ونخشه الزمان بكل ناب
فراح كأنما هو شعب موسى	غداة التيه في القفر الياب
نأى عن أرض « مصر » حذار ضيم	ففر من العذاب إلى العذاب
بليتنا صحافي مرء	يداجينا ، ومالى مرأى

ويصعب على . بعد هذا القليل الذى عرضته ، أن أضيف شيئاً مفصلاً يوضح أثر جاویش في تكوين أبى ماضى الفكرى . ذلك لأن أثر الشيخ في شاعرنا أعمق من أن أقدر أنا على سبره ، وأشمل من أن أقوم بحصره . لهذا أجمل فأقول : إن جاویش ، بكلمة « الشعر والشاعر » التى كتبها لـ « وطنيتى » وبسببها سجن ، كان العامل المساعد ، إن لم يكن المشول الأول ، الذى عَجَّلَ بأبى ماضى إلى الخروج من نطاق مفهوم الشعر والشاعر العتيق الضيق ، الذى كان سائداً وقتذاك ، إلى مفهوم جديد رحب ، مفهوم لم يغب لحظة عن بال شاعرنا منذ أن ترك مصر متجهاً إلى أمريكا . وقد مكَّنَ أبى ماضى من تحقيق هذا المفهوم في المهجر طبيعته المتقبلة للأفكار ، التواقة إلى الإبداع وطبيعة الأدب المهجرى نفسه النزاعة إلى التجديد .

وثمة كلمة ثانية نلمس أثرها في « ديوان تذكار الماضى » بالذات ، هى كلمة محمد فريد التى أتحف بها « وطنيتى » ، وبسببها سجن هو أيضاً . هذه الكلمة ، « تأثير الشعر في تربية الأمم » ، التى كان ظهورها أولاً في جريدة « الشعب » ١٩١٠/٦/٨ ، جاءت في ختامها النصيحة التالية :

« فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح . . . وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية في خدمة الأمة وتربيتها ، بدل أن يصرفوها في

خدمة الأغنياء ، وتمليق الأمراء ، والتقرب من الوزراء . فالحكام زائلون ، والأمة باقية . والسلام على من سمع ووعى ، ووفق لخدمة بلاده وسعى ، ف « إن سعيه سوف يرى ، ثم يُجزّاه الجزاء الأوفى » .

وانتصح أبو ماضى ، فخرج ديوانه المصرى خالياً من قصائد المديح ، مرفوعاً « إلى الأمة المصرية ، الأمة الودود . . . لا طلباً للمشوبة ، ولا ابتغاء للشكر ، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانجى من العطف عليك والتعاقى بك . . . ولقد يكون لى أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوى الفضل ، جريباً مع العادة ، ولكنى رأيت المجموع خيراً وأبقى » .

(١٢)

كان على أبى ماضى أن يتفكر فى مصيره فى مصر حين رأى الضربات القواصم تتالى على الحزب الوطنى . فهو قد ارتبط بهذا الحزب ارتباطاً — مهما بدا لنا اليوم متواضعاً — ما كان ليغيب وقتذاك عن من تابع قراءة قصائد له فى صحف الحزب المختلفة ، ومن تتبع نشاطه الوطنى فى الإسكندرية . واسترساله فى وطنيته — فى فترة من تاريخ مصر خضعت الصحف فيها للرقابة الشديدة ، وانتشرت شبكة الجاسوسية حتى بين الأصدقاء — أصبح محققاً بالمكارة والشدائد لا محالة . زد على هذا أنه كان شاباً هائماً بالمجد — كما قال هو ، تائقاً إلى مركز فى عالم السياسة — على ما نظن نحن ، فليس غريباً ، وقد شعر أن الظروف فى مصر لن تؤاتيه بغيته ، أن يرجع صيف ١٩١١ إلى موطنه الذى ظل يهواه ويحن إليه طوال منى اغترابه . قال أيام كان فى الإسكندرية :

نحن إلى بلاد « الشام » نفسى أقطر « الشام » حياك الغمام
وما غير « الشام » وساكنيه لبانتنا ، وإن بعد « الشام »
وقال :

أشتاقه ، وكفى بشرق أنه شوق الغريب الفرد للأوطان
وأحبه حبي الحياة ، ومشبه حبيه حب الزهر للبستان

قيدت قلبي في هواه ، فلم أعد
وقال :

أهوى بلادي دانيًا أو نائيًا
«لبنان» لست أ ، ولست فتاك إن
زعم العواذل أن سلوتك ، ويحهم
ما إن هجرتك عن قلبي ، لكنما
«لبنان» ، حسبي أني لك أنتمي
أشدوبذكرك ما بقيت ، ومرفقي
قالوا : سكت ، فقلت : ليس بضائري
فلربما صمتت شفاه ذوى الهوى
وقال :

بلاد قد طبعت على هواها
أحسن إلى لقائهم وأصبر
يكاد الشوق ينقلني إليهم
تُرى ، هل عندهم أنى ودهرى
ففى أرق إذا غفلوا وناموا
وقال :

« لبنان » بلادي وكفاني
وطني المحبوب له وقف
بأبي « لبنان » ومن فيه
أهتز لذكره طربًا
وأكاد أُميد فأحسبني
لكنى صعب يطربني
ردد ذكره على سمعي
أفريت شبابي مغتربًا
فخبرًا أن أدعى لبناني
قلمي وحساي ولساني
فيه وبهم يعلمو شاني
ما أحلى ذكرى الأوطان
نشوان ، ولست بنشوان
ما يطرب كل فتى عان
واترك نغمات الألحان
يا ويحسى مغتربًا فان

رجع أبو ماضي إلى لبنان وهو متشبع بالروح الوطنية ، وعالم بحال لبنان
وطنه الصغير . فقد تابع أخبار هذا الوطن وهو في مصر ، وزاره أكثر من مرة
— على ما يظهر لنا — ما بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ، وأفرد له قصائد بكاملها ،
مثل : « في سبيل الإصلاح » . و « نفثة مصدور » ، و « نحين الغريب » ،
و « نجوى لبناني » ، تناول فيها مشاكل هذا الوطن . وكما أن حال لبنان لم تعجب
أبا ماضي عام ١٩٠٨ ، فهي لم تعجبه أيضاً صيف ١٩١١ .

كان لبنان ، منذ ١٩٠٧ ، تحت حكم يوسف باشا فرنكو ، المتصرف
العثماني المرسل من قبل الآستانة . « وكان يوسف باشا — كما قال عنه إلياس
الحويك — مستسلماً لمحيطيه وأذنا به ، وواقعاً تحت انتداب زوجته الحسناء . . .
امتاز بممالاته الدولة (العثمانية) على خرق نظام لبنان ، وفعل أموراً كثيرة لم
يكن النظام يجيزها ، ودون أن يأخذ موافقة المجلس » .

أما الحوري إبراهيم حرفوش ، فقال : « ولم يحقق يوسف باشا الآمال بما كان
ينتظر منه من الحزم وإصلاح الشؤون ، بل ظهر ضعيفاً قاصراً في الإدارة .
وقد وقعت في أيامه حوادث هامة مشهورة » .

كان لا بد إذن لأبي ماضي الشاب القائل :

إني امرؤ كلف بإدراك العلي دأبي الجهاد وغايتي الإصلاح
أن ينضم ، بَعِيدَ رجوعه إلى لبنان ، إلى حركة المعارضة ، وأن يرفع صوته
معهما مطالباً بالإصلاح . ولم يَرُقْ هذا بعض أولى الأمر ، فراح يناصر أبا ماضي
— ومن هو منهم — العدا ، ويتهمه وإياهم بأشياء ، هو وهم منها براء :

وطن أردناه على حب العلي	فأبي سوى أن يستكين إلى الشقي
أمسى وأمسى أهله في حالة	لو أنها تعرفو الجهاد لأشفقوا
أو كلما جاء الزمان بمصلح	في أهله ، قالوا : طغي وترندقا ؟ !
وعصاية ما إن ترحز أحققنا	عن رأسها حتى تولى أحققنا
راحت تناصبنا العدا كأنما	جئنا فرياً أو ركبنا مهبقا
وأبت سوى إرهابنا فكأنما	كل العدالة عندها أن نـرهقا

قيل اعشقوها . قلت : لم يَبْقَ لنا
 إن لم تكن ذات البنين شفيقة
 فلما صعد أبو ماضي نشاطه الإصلاحى ، لاقى فى لبنان بلده خلال أشهر
 ما لم يَلَاقِهِ أبداً فى مصر مدة سنين . قال فيما بعد يصف ما لاقاه :

قَوْمى ، وقد أطربتهم زمناً ،
 هم هددونى حين صحت بهم
 ورأيت فى أحداقهم شرراً
 وسمعت صائحهم يقول لهم :
 فرجعت أحسبهم برابرة
 مرت ليال ما لها عدد
 أرتاع إن أبصرت واحد منهم
 وإذا رقدت رقدت مضطرباً
 لا تذكرهم لى ، وإن سألوا
 ساقوا إلى الحزن والكمدا
 صيححاتى الشـعواء منتقدا
 ورأيت فى أشداقهم زبدا
 أن اقتلوه حينما وجدنا
 فى مهمه ، وأظنى ولدا
 وأنا حزين باهت كمدا
 دعر الشويهة أبصرت أسدا
 وإذا صحت صحت مرتعدا
 لا تذكرنى عندهم أبدا

أمام هذه التهديدات وهذه الحال ، لم يَبْقَ أمام أبى ماضى إلا الرحيل عن
 لبنان خوفاً على نفسه من « سياسة يوسف باشا الانتقامية من معارضيه ومن
 ينتمون إليهم » . ولكنه لم يشأ أن يرحل دون أن يهاجم ، للمرة الأخيرة ،
 « السلطات والأوضاع الشاذة التى كان الوطن يعيش فيها » . فنظم قافيته الجارحة
 « وداع وشكوى » ، وعرضها على أستاذه القديم الشيخ إبراهيم المنذر ، الذى قاد
 عام ١٩٠٨ معارضة شعبية عنيفة ضد المتصرف . فذهبها المنذر له ، وألقاها
 أبو ماضى فى إحدى المناسبات ، ثم أبحر بعدها على الفور هارباً إلى الولايات
 المتحدة « لعله بالغرب ينسى المشرق » . وبعد رحلة استغرقت عشرين يوماً ، نزل
 أبو ماضى أواخر ١٩١١ فى مدينة نيويورك لينتخم بعدها قافيته المقدعة قائلاً :

أصبحت حيث النفس لا تخشى أذى
 نفسى اخلدى ، ودعى الحنين ، فإنما
 هذى هى « الدنيا الجديدة » فانظرى
 إنى ضمنت لك الحياة شهية
 أبداً ، وحيث الفكر يغدو مطلقا
 جهل بُعِيدَ اليوم أن نتشوقا
 فيها ضياء العلم كيف تألقا
 فى أهلها ، والعيش أزهر موتقا

وبختام هذه القصيدة التي نشرتها له مجلة « الزهور » القاهرية في يونيو (حزيران) ١٩١٢ ، وصادف نشرها فشل فرنكو في تجديد حكمه ورحيله النهائي عن لبنان في الشهر التالي ، ختم أبو ماضي - في رأينا - أخطر مراحل حياته . فقد كانت المرحلة الشرقية ، أو بالأحرى المرحلة المصرية من حياته ، هي مرحلته المصيرية التي فيها غرس « خمائله » ، ومنها جرت « جداوله » .

المراجع

- ١ - « الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الأدب العربي المعاصر » : عبد العزيز جاويش ، ١٨٧٢ - ١٩٢٩ ، تأليف سالم عبد النبي قنبر . بنغازي ، دار مكتبة الأندلس ، ١٩٦٨ .
- ٢ - « أمير شعراء المهجر : إيليا أبو ماضي » ، ١٨٨٩ - ١٩٥٧ ، بقلم جرجي إبراهيم نصر ، « المشرق » ، بيروت ، تشرين الثاني - كانون الأول (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٦٩ ، ص ٦٤٧ - ٦٦٠ .
- ٣ - « إيليا أبو ماضي » بقلم جبور عبد النور ، « الآداب » ، بيروت ، شباط (فبراير) ١٩٥٣ ، ص ٣٨ - ٤٢ .
- ٤ - « إيليا أبو ماضي يقول . . . » بقلم خيرية خيري ، « الجليل » ، القاهرة ، ١٤/١١/١٩٥٥ ، ص ٣٥ .
- ٥ - « خمسة من شعراء الوطنية : أحمد محرم ، أحمد نسيم ، أحمد الكاشف ، عبد الحلیم المصري ، علي الغياثي » . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .
- ٦ - « ديوان إيليا أبو ماضي ، الجزء الثاني » . نيويورك ، مطبعة « مرآة الغرب » اليومية ، ١٩١٩ .
- ٧ - « ديوان تذكارات الماضي » نظم إيليا ظاهر أبو ماضي . الجزء الأول . الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ .
- ٨ - « الزهور » ، القاهرة ، ١٩١٢ .
- ٩ - « الشعب » ، القاهرة ، ١٩١٠ .
- ١٠ - « شعر » للشيخ إبراهيم المنذر . الجزء الأول . بيروت ، منشورات مكتب الدراسات العلمية ، ١٩٧٣ .

- ١١ - « العرب والترك في العهد الدستوري العثماني : ١٩٠٨ - ١٩١٤ » تأليف
توفيق على برو . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .
- ١٢ - « العلم » ، القاهرة ، ١٩١٠ .
- ١٣ - « عهد المتصرفين في لبنان : ١٨٦١ - ١٩١٨ » بقلم لحد خاطر .
بيروت ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٧ .
- ١٤ - « محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية : تاريخ مصر القومي من سنة
١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ » بقلم عبد الرحمن الرافعي . ط ٣ . القاهرة ،
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .
- ١٥ - « مرآة الغرب » ، نيويورك ، ١٩١١ و ١٩١٢ .
- ١٦ - « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية : تاريخ مصر القومي من سنة
١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ » بقلم عبد الرحمن الرافعي . ط ٤ مزيده ومكبرة .
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ .
- ١٧ - « وطنيتي » بقلم علي الغاياتي . ط ٣ . القاهرة ، مطبعة « منبر الشرق » ،
١٩٤٧ .
- ١٨ - أشعار لأبي ماضي مخطوطة لم تنشر في ديوان .

(٥) الصحافة في أدب أبي ماضي

كانت الصحافة ، لا النظم ، عمل المهجرى إيليا ظاهر أبي ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) اليومى . ومهنته التى كسب منها قوته وقوت أسرته لمدة متواصلة تزيد على أربعين سنة ، من صيف ١٩١٦ . عندما جاء إلى مدينة نيويورك لتحرير « المجلة العربية » . حتى ربيع ١٩٥٧ . عندما حجب جريدته « السمر » وباع مطابعها . ومع ذلك فإن أبا ماضي لم يشتهر عندنا كصحافى قدر شهرته كشاعر . فقد طغت شاعريته على صحافيته حتى كدنا ننسى الأخيرة .

والتصفح دواوين أبي ماضي الخمسة المعروفة ، ليلاحظ أنها لم تخل من ذكر الصحافة فيها ، وأن هذا الذكر جاء مبكراً جداً فى أشعاره . فهو يرجع إلى سنى استيطانه مصر ما بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ، أيام كان يبيع السجاير والدخان فى ثغر الإسكندرية . فى مصر تفتح ذهنه على « صاحبة الجلالة » ، وعرف دورها ، وفهم قدرها ، ورأى فعلها ، ولعله هناك أيضاً تفتح قلبه لها وحلم باحترافها يوماً . ولكى نخرج برأى أبي ماضي فى الصحافة ، تعال معى أيها القارئ العزيز نتبع ذكرها فى أدب أبي ماضي المعروف وكذلك المجهول .

قال شاعرنا ، ص ٧٩ ، فى « ديوان تذكارات الماضى » (ط ١٩١١) الذى أهدها إلى الأمة المصرية ، يصف سلوك المحتلين الإنجليز تجاه المصريين ، فى قصيدة عنوانها « عام ١٩١٠ » :

سلكوا بنا	كل واد ضيق	حتى قنطنا أن يصيبوا ضيقا
منعوا الصحافة أن تبث شكاتنا	منعوا الكواكب أن تبين وشرقنا	
لو أنصفوا رفعوا القيود ، فإنما	يشكو الأسير الأسر إما أرهقا	

وقال يصفهم أيضاً فى نفس الديوان ، ص ٧٥ ، فى قصيدة « أيها القلم » ، بعد أن صدر ، فى ٢٨/٣/١٩٠٩ ، قرار وزارى بإعادة العمل بـ « قانون المطبوعات » القديم :

فقيدوها لعل القيد يسكتها — وعز أن يسكت المظلوم لو علموا
وأرهقوا الصحف والأقلام في زمن يكاد يعبد فيه الطرس والقلم
إن يمنعوا الصحف فينا بث لوعتنا فكلنا صحف في « مصر » ترتسم

وتحت عنوان « مصر والاحتلال » ، نظم قصيدة لا زالت مجهولة ، لم يضمها ديوانه السابق ، نشرها له جريدة « الشعب » القاهرية ، لسان حال الحزب الوطني المصري ، في ٢٧/٣/١٩١٠ ، ص ٤ ، خاطب في ختامها الإنجليز قائلا :

كبلوا أقلامنا جهداً — وإذا عز عليكم أننا
وامنعوا الألسن والصحف الكلاما — وإذا عز عليكم أننا
في وثام ، فانشروا فينا الخصاما — ينزع الأرواح من أجسادها
في حياة ، فابعثوا فينا الحماما — إنما ينقاب الأمم — إلى
أو فكونوا أنتم الموت الزؤاما ضده إن جاوز الأمر التماما —

وعندما خرج الشيخ عبد العزيز جاويش (١٨٧٢ — ١٩٢٩) من السجن في ٧/١١/١٩١٠ ، بعد أن أمضى به ثلاثة أشهر لأنه قرظ ديوان « وطنيتي » للشيخ علي الغاياتي (١٨٨٥ — ١٩٥٦) ، أرسل أبو ماضي إلى الشيخ قصيدة — ما زالت ضمن مخطوطاته — عنوانها « نجوى شاعر » ، جاء فيها :

« عبد العزيز » تحية من شاعر — ما قال إلا أطرب الجمهورا
نفسى فداؤك ، وهى نفس حرة تأبى الهوان وتكره التصغيرا
لما حبست ، حبست طرفى أن يرى وكتمت من ألم الفراق سعيرا
قالوا : « شهور لا تطول وتنقضى » ياويحهم ، سمو السنين شهورا

إلى أن يقول :

فاصفح عن الواشين شيمة قادر — فلأنت أسمح ما تكون قديرا
وأعد إلى الأقلام سالف مجدها — وإلى الصحافة عزها المشهورا
وانفض من الأحقاد أفئدة الورى — واملأ قلوب الناشئين شعورا

هذا ما نظمه أبو ماضي في الصحافة في أثناء الفترة المصرية من حياته ، والتي تتميز عن غيرها من فترات حياته اللاحقة بتكرار ذكر الصحافة فيها

والدعوة إلى حريتها ، وهى دعوة لم يتفرد بها شاعرنا أيام كان فى مصر ، فقد جاهر بها كتاب وشعراء الحركة الوطنية فى ذلك الحين .

أما الفترة التى يمكن تسميتها بالفترة المصرأمريكية (١٩١١ - ١٩١٩) ، التى تنتهى بنشر « ديوان إيليا أبو ماضى ، الجزء الثانى » ، فذكر الصحافة فيها لم يأت إلا فى قصيدة « نزوة ألم » ، ص ٩٤ من هذا الجزء ، حيث يقول فى ختامها :

بليتنا صحافى مـراء	يداجيننا ، ومالى مرابى
وصحف لست أدعوها بصحف	فما هى بالقشور ولا اللباب
أرى أنهارها فأظن ماء	كذلك العين تخدع بالسراب
فلم أعثر على لفظ سليم	ولم أظفر بمعنى مستطاب
ولا حسن هناك ولا رواء	وأنى الحسن للطلل الخراب
فإن تشكو من الشعراء عابا	شكا القراء منها ألف عاب

* * *

ذوى الأقلام إنا فى احتياج	إلى غير الشتائم والسبب
(وودعنا بحفظ الله « زيد »	و« عمرو » جاء أهلا بالجناب !!)
فهل من قائد فيكم حكيم	يشيرنا إلى القصد الصواب ؟
فنظفر بالرجاء على يديه	ويظفر بالأماني والثواب

فإذا تذكرنا أن « مرآة الغرب » النيويوركية ، كانت قد نشرت « نزوة ألم » أصلا ، بزيادة بيت ، فى ١٢/٦/١٩١١ ، ص ٤ ، بعنوان « خواطر شاعر » ، وكان ذلك عقب وصول شاعرنا مباشرة إلى أمريكا ، واستقراره فى مدينة سنسنانى بولاية أوهايو ، خلصنا إلى الاعتقاد أن أبا ماضى كان يصف لنا فى الأبيات السابقة حال الصحافة المهاجرة فى أوائل العقد الثانى من هذا القرن ، بعد أن وقع بصره عليها ، وبعدها وصف لنا حال المهاجرين فى الأبيات التى سبقتها ، حيث قال :

وما همى سوى شعب تعيس	شتيت الشمل ، جم الاضطراب
يحاول رزقه فى المدن آنأ	وآنأ فى السباسب والهضاب
ولو عرف السحاب يدر مالا	لأصبح راكباً متن السحاب
رمت الحادثات بكل سهم	وخدشه الزمان بكل ناب

إيليا أبو ماضى

فراح كأنما هو شعب « موسى » غداة التيه في القفر اليباب
 نأى عن أرض « مصر » حذار ضيم ففر من العذاب إلى العذاب
 أما في « الجداول » (ط ١٩٢٧) ، فقد نشر ، ص ٨١ ، تحت عنوان
 « عيد النهى » ، تلك القصيدة التي أرسلها من المهجر عام ١٩٢٦ إلى يعقوب
 صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) لتلقى في الاحتفال باليوبيل الذهبي لمجلة « المقتطف »
 (١٨٧٦ - ١٩٥٢) ، وقد جاء فيها :

أبناء « مصر » الناهضين تحية كودادكم إن لم أقل كودادى
 من شاعر كلف بكم وبأرضكم أبداً يوالى فيكم ويعادى
 خلج الشباب على « الكنانة » مطرفاً هو كالربيع على ربي ووهاد
 ما زال يقحم في الجهالة نوره حتى تقاصر ليلها المتمادى
 بصحيفة نور العيون سوادهما وبياضها من ناصع الأجياد
 ينبوع معرفة ، وهيكل حكمة ووعاء آداب ، وكثر رشاد
 إلى أن يقول :

ما العيد للخمسين ، بل عيد النهى وفنونه ، والخطا طر الوقاد
 عيد الصحافة والصحافة كلها في « مصر » ، في « بيروت » ، في « بغداد »
 على أن ذكر أبي ماضي للصحافة والصحافيين في أشعاره ، لم يكن متسماً
 دائماً بطابع الجدية الخالص الذي نلمسه في الأشعار السابقة . فقد تناول صحافينا
 الشاعر هذا الموضوع الخطير بخفة ودعابة أيضاً ، محبتين إلى النفس ، دون أن
 يقلل في الوقت نفسه من جسامته هذا الموضوع الخطير . نسمعه في القصيدة التالية
 المجهولة ، يصف لنا عن خبرة شخصية ، ما يعانيه الصحافي يومياً في مهنته .
 قال ، وقد ألقى هذه الأرجوزة في حفلة أقامتها « جمعية حاملات الطيب » ،
 في مدينة نيويورك ، عام ١٩١٧ ، وكان الحر يومها مديباً :

يا سيداتي « حاملات الطيب » ويا رجال الفضل والتهذيب
 لا تحسبوني قد وقفت موقفي للمدح والإطراء والتزلف
 فإن هذه عادة يأساده ممقوتة ، تبا لها من عادة
 كان عليها الناس في القسديم أيام كان الحكم للظلم

نكرهها نفوس أهل الفضل
فالحب لا يكون بالأقوال
وبعد هذا الاعتذار الكافي
لا سيما أمثالكم من مثلي
وإنما يكون بالأعمال
أنخبركم عن حالة الصحافي

* * *

عن ذلك المعتزل المنقطع
عن الذي يعيش بالخيال
عن تاجر ليس له عميل
عن ملك ليس له رعيه
عن كائن نظمه جماداد
يبكى مع الأم على بنيتها
مع ذاك فهو بائس متروك
يسامر الأسفار في النهار
ظمان لا يروى ، وليس الماء
يشقى مع الأمة كيلا تشقى
والناس ، ما أقسى قلوب الناس ،

لا من تقي فيه ، ولا من ورع
ولا ييالي بالذي تبالي
وزارع ليس له حقول
وقائد جنوده وهميه
وهو أرق قومه فؤادا
ويحمل الهموم عن ذويها
ليس له في يؤسه شريك
وفي الدجى يسامر الدار
حاجته لكنما العلياء
وقد يبيد نفسه لتبقى
ما فيهم آس ، ولا مؤاس

* * *

وهاكم ، يا سادتي ، مثالا
مزجت فيه الجد بالمجون

* * *

قد أقبل الصيف ، وجاء الحر
هذا إلى شسواهق الجبال
وانطلقت جماعه الثراء
تنقلهم من موضع لموضع
تركض في المروج والوهاد
حيث ارتدت حلتها الطبيعة
وكشفت عن صدرها السماء
فغمزت أنوارها التلويلا

ونخشي الناس الأذى ففروا
وذاك نحو البحر والرمال
في طلب الراحة والهناء
مراكب مثل البروق اللمع
وتارة على ضفاف الوادي
ولبست زيتنها البديعه
ونشرت رايتها ذكاء
والنهر والأدغال والحقولا

تموج مثل البحر إذ يموج
في الأرض مثل اللؤلؤ المنسق
عند غروب الشمس أحلام الصبي
بلى ، هناك الأمن والصفاء
في الليل تحميهم عيون الشهب
مهرولا كالحائف المدعور
بين الزهور الناضرات الغضة
أوقاتهم في اللهو واللذات

هنالك الغابات ، والمروج
تفترق الطير بهما وتلتقي
كأنها حائمة فوق الربى
هناك لا غم ولا ضوضاء
حيث ينام القوم فوق العشب
حيث يسير الماء في الغدير
على بساط أبيض كالفضه
هناك يقضى معشر السراة

* * *

يحتمل الهموم والحاراره
ضيقة مظلمة كالكهف
وضعها صائدها في شبكه
قد علقت بفمها الصناره
إن كان برد قارس أو حر
من مشرق الشمس إلى الغياب
مع حبره السائل فوق الورق
شيئا فشيئا ، دمة فدمعه
ويستفيد غيره بالسلاوى
فزاد فوق حمله الديونا
والبؤس لا ينفلك ذا رجاء
أن يدفعوا عنه البلاء الطامى
سر سرور الأم بالوليد
وعرف الطالب والمطلوبا
راكضة كأنها الحيات
يطلب أن تنشرها الجريده
وتزهق الأرواح من مقالته

والكاتب المسكين في إداره
في غرفة صغيرة كالكف
يدور حول ذاته كالسمكه
أو طائر في قفص ، أو فاره
ليس له من شغله مفر
ما تأتلى عيناه في الكتاب
فنفسه تسيل مثل العرق
وهكذا يذوب مثل الشمعه
يتعب كالضرس بغير جدوى
وما كفاه حمله الشـجونا
لكنه مع شدة الشقاء
يأمل من قرائنه الكرام
فإن أتاه حامل البريد
حتى إذا ما فتح المكتوبا
تساقطت من فمه اللعنات
ورب ذى مقالة بليده
وقد تميدا لأرض من ثقـالته

وزائر يلزمه ' كالمهم
يشكو إليه قومه ودهره
وقد يدب النوم في أجفانه
وغير هذى قصص كثيره
من الضحى حتى طلوع النجم
وكلبه وديكسه وهـره
والضيف لا يبرح في مكانه
تضيق عنها الصحف الكبيره

في هذا القلب الشعري اللطيف ، سجل لنا أبو ماضي انطباعاته الطرية الأولى عن مهنة الصحافة ، وما لمسه فيها من متاعب وهموم أول عهده بمزاولتها ، وقبل أن يكرس بقية حياته لها في المهجر .

على أن أبا ماضي قد ترك لنا أيضاً رأيه في الصحافة عامة والصحافيين المهجريين خاصة ، في كلمة له منسية ، ألقاها في حفلة تأبين الصحافي المهجري سلوم مكرزل (١٨٧٩ - ١٩٥٢) ، الذي رأس إدارة وتحرير جريدة « الهدى » النيويوركية (تأسست ١٨٩٨) بعد وفاة أخيه نعوم عام ١٩٣٢ .

وكلمة أبي ماضي المجهولة هذه ، كلمة لها قيمتها ، لأنها جاءت قبل وفاته بخمس سنوات ، وبعد أربعة عقود تقريباً من الجهاد في المجال الصحافي ، استطاع فيها أن يملك أمر « صاحبة الجلالة » ، وأن يتربع على عرشها مطمئناً . فلا بد إذن من إثباتها هنا كاملة ، ليتسنى للقارئ التعرف على مفهوم أبي ماضي الناضج للصحافة والصحافيين ، ومدى تقدير شاعرنا أيضاً للحرفة التي اختار هو بنفسه أن يعيش لها وبها .

« أيها السادة :

نحن الآن في مآتم رجل من رجال الفكر ، وجندي من جنود دولة اليراع . وموت رجل الفكر ، من أي شعب وفي أي مكان ، خطب جارح ورزء فادح على القوم الذين هو منهم ، وعلى المحيط الذي هو فيه ، وعلى حرفة القلم التي يمارسها ، وعلى اللغة التي يكتب بها .

وهذا الخطب يزداد هولا وفداحة إذا ذهب رجل الفكر ، ولم يكن منه عوض ولا بديل ، كما هو الحال معنا نحن المهاجرين أبناء الضاد ، كلما مات كاتب منا ، وغاب شاعر عنا .

لذلك أستطيع القول إن موت الصحافي المجاهد سلوم مكرزل نكبة جلى ،
وخسارة عظمى ، ليس على أسرته وذويه وحدهم ، ولا على جريدة « الهدى »
وحدها ، ولا على رفاقه فيها ، والأصدقاء والأنصار حولها وحدهم ، بل على الصحافة
العربية فى المهجر بوجه عام ، بل على اللسان العربى والقلم العربى .

وتتجلى جسامه الرزيئة للمتأمل ، عندما يستعرض فى ذمته كيف انفرط عقد
الأدباء الماهدين فى هذا المهجر ، وهم الكتاب والشعراء الذين أنشأوا فى هذا
الشاطئ الأمريكى مدرسة جديدة للأدب العربى ، تتلمذ لها الناس فى كل قطر
عربى ، حتى أصحاب الطرائق القديمة ، ومشى الأدب ذاته فى ضروب ما كان
له بها سابق علم .

وقد كان للصحافة العربية فى نيويورك الفضل الأكبر فى نشر وترويج
ما أنتجته قرائح الموهوبين الذين كانوا رسل الأفكار الجديدة الحرة الطليقة ،
الموقظة للهمم ، الحافزة للأرواح ، المحررة للعقول ، الهادية إلى الحق والجمال
والخير فى الحياة .

كذلك كان للصحافة اليد الطولى فى بقاء جمرة الحنين متقدة فى صدور
النازحين من الوطن الأول . فما نزلت هناك نكبة أو جائحة إلا وفاضت لها الدموع
هنا ، وفاضت منها الأيدي بالإعانات والهبات .

وعند ذكر هذه النوازل والنكبات ، يسجل التاريخ فى كتابه صفحات
نيرة لامعة لجريدة « الهدى » .

وهل « الهدى » غير اليد التى تديرها ، والعين التى ترعاها ، والقلب الذى
ينبض فى كل حرف من حروفها ، والقلم الذى يحورها ؟

بل ، هل أية جريدة عربية غير صاحبها ؟

إذن ، فكل مآثرة « للهدى » فى عهد سلوم مكرزل هى مآثرة لسلوم مكرزل .
وكل مدح يساق إلى جريدة « الهدى » هو فى الواقع ثناء على هذا المجاهد
الراقد فى نعشه . فهو الذى استبقاها ، وأحياها ، وقواها ، ورد إليها عصر صباها .

قلت إن الصحافي جندى من جنود الفكر . وأزيد على ذلك أنه جندى يمتاز بأمور كثيرة عن الجندى المحارب بالسيف والمدفع . فهو لم تجنده الدولة ، بل جند نفسه — وعن طواعية ورضى — للدولة والأمة ، ووقف ذاته على خدمة قومه والمكافحة عن وطنه ، لا لسنة واحدة ، ولا لبضع سنوات ، بل العمر كله .

ويختلف هذا الجندى عن حامل السيف بأنه لا يرتدى بزة خاصة ، ولا يحمل الشارات والشارات والأوسمة ، ولا يتوقع لقاء جهاده مكافأة ولا ضمناً .

إن هذا الجندى هو فقيه الصحافة العربية في المهجر المرحوم سلوم مكرزل .

وهو جندى لا يمكن أن يستعاض عنه بسواه . وهذا أمر يحزننا كلنا ، ويحزننا جداً .

أيها السادة :

لقد ظهر في المهجر جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) واحد ،

وأمين ربحاني (١٨٧٦ — ١٩٤٠) واحد ،

ورشيد أيوب (١٨٧٢ — ١٩٤١) واحد ،

ونسيب عريضة (١٨٨٧ — ١٩٤٦) واحد ،

ونجيب دياب (١٨٨٠ — ١٩٣٦) واحد ،

ونعوم مكرزل (١٨٦٣ — ١٩٣٢) واحد .

ومثل هؤلاء الأفذاذ أفذاذ آخرون يضيق المجال الآن عن ذكرهم .

وكل هؤلاء الراحلين لم يتكرر منهم أحد .

ولم يرجع إلينا أحد منهم .

واليوم ينطفيء مصباح آخر من المصابيح القليلة الباقية في هذا المهجر ، وينطوى علم من أعلام الفكر الذين بنوا لغة العربية في أرض « كولومبس » عصرًا جميلًا مشرفًا ، مثل العصر العربي في الأندلس ، دون أن يتقدمهم فاتح كطارق بن زياد ، ودون أن تساندتهم وتساعدهم ملوك وأمراء كملوك وأمراء غرناطة وقرطبة وطليطلة ، بل كانوا هم الفاتحين ، والمأنحين ، المتقدمين حتى على الملوك والأمراء .

فعلى المصباح الذى خبا سلام .

وعلى البطل الذى هوى سلام .

وألف سلام على رجل الجهاد الراحل . إنه السابق ونحن اللاحقون . لقد أكمل سعيه ، وأتم جهاده ، وحن له أن يستريح . فله الرحمة والثواب الجزيل . ولبناته ، وشقيقته ، وأصهاره ، ورفاقه فى « الهدى » ، ولأسرة الصحافة كلها حسن العزاء وطول البقاء .

إنا لله ، وإنا إليه راجعون » .

كانت هذه كلمة صاحب جريدة « السمر » ومحررها ، فى تأبين زميله الصحافى الراحل . ومن يدرى ؟ فلعل أبا ماضى كان يؤبن نفسه ضمناً بهذه الكلمة البليغة الوافية عندما وقف يلقيها يومها فى الحفلة ، وهو يرى أمامه قرب نهاية الطريق .

(٦) رسالة من أبي ماضى إلى طه حسين

فى يوليو (تموز) ١٩٢٧ ، صدر فى مدينة نيويورك عن مطبعة جريدة « مرآة الغرب » اليومية ، وفى ١١٢ صفحة ، ديوان « الجداول نظم إيليا أبو ماضى » (١٨٨٩ — ١٩٥٧) ، تتصدره مقدمة كتبها ميخائيل نعيمة ، زميل أبي ماضى فى « الرابطة القلمية » .

ولم يكن هذا الديوان — وهو أصغر دواوين أبي ماضى الخمسة المعروفة ، إذ هو يحتوى على ١٢٠٢ من الأبيات — إلا مجموعة قصائد اختارها شاعرنا مما نظمه فى المهجر بين ١٩١٩ و ١٩٢٧ فى أوقات متفرقة ، وظهر له فى « السائح » النيويوركى — بما فى ذلك « السائح الممتاز » — ، و « مرآة الغرب » النيويوركية ، و « المقتطف » القاهرى ، ثم ألحق بها مطولته « الطلاس » .

وانتشر الديوان الصغير بعد هذا بين قراء العربية ، وتناوله بعضهم ، إثر ظهوره ، بالنقد على صفحات بعض جرائد ومجلات المهجر والوطن . فكان من بين الذين نقدوه وليم كاتسفليس فى « مرآة الغرب » (١٩٢٧/٨/٨ ، ص ٤) وفى « السائح » (١٩٢٧/٨/١١ ، ص ٧ — ٨) ، وحبيب إبراهيم كاتبة فى « مرآة الغرب » (١٩٢٧/٨/٢٥ ، ص ٤ — ٥) ، وإدوارد فارس فى « المقتطف » (نوفمبر) تشرين الثانى (١٩٢٧ ، ص ٣١٢ — ٣١٧) .

أما نقد طه حسين (١٨٨٩ — ١٩٧٣) الذى نقرؤه فى الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » — والذى لم يذكر لنا كاتبه فى هامشه مكان نشره وتاريخه ، كما فعل فى أحاديثه السابقة — فرجح أن نشره كان فى جريدة « السياسة » القاهرية فى أوائل الثلاثينيات ، وبعدها كسبت « الجداول » وناظمها صيتاً .

ولعل طه حسين ما كان ليكتب عن « الجداول » وينقدها هذا النقد اللغوى العنيف ، لو لم يقرأ نبذة عن صاحبها فى كتاب بالإنجليزية عنوانه « زعماء الأدب العربى المعاصر » ، تضمن أيضاً نبذة مفصلة عن طه حسين نفسه . وقد كتب هذا

الكتاب طه الحميرى بالاشتراك مع جيورج كامبفماير - اسمان ذكرهما طه حسين في سياق حديثه - ونشر عام ١٩٣٠ كجزء من المجلد التاسع من مجلة « عالم الإسلام » التي كانت تصدرها وقتذاك « الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية » ببرلين^(١).

ويظهر أن طه حسين - كما نستخلص من مقالته - لم يعتمد في نقده لـ « الجداول » إلا على الديوان وعلى تلك النبذة .

ثم مرت الأيام ، وشاءت الأقدار أن يلتقى ناظم « الجداول » بكاتب « الأيام » التقاء غير منتظر ، في أواخر ١٩٤٨ ، عندما دعى الرجلان إلى لبنان لحضور مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في بيروت وقتذاك . وفي هذا اللقاء القصير تبادل الاثنان حديثاً ، نظن أن أكثره كان حديث مجاملات . وافترق الأديبان بعد هذا اللقاء . فرجع طه حسين إلى مصر ، وأبو ماضي إلى أمريكا ، ونسى الواحد الآخر بمشاغل الدنيا .

وجاء ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٠ ، وأسند حزب الوفد وزارة المعارف العمومية إلى طه حسين . ووصل الخبر أبا ماضي . فرأى هذا أن من واجبه كصحافي ، ومن واجبه تجاه أديب عربي آخر ، أن ينقل هذا الخبر إلى قرائه في المهجر . فكتب إليهم ينبؤهم بالمكانة العالية التي تبوأها طه حسين في عالم السياسة ، وبما تؤمله مصر على يديه في عالم الثقافة ، مذكرهم في الوقت نفسه بما حققه الوزير في عالم الأدب ، وما أمد به عالم الفكر .

وبنتهز ذات الفرصة - على ما نظن - ليكتب رسالة شخصية إلى طه حسين ، يستنجزه فيها وعداً مضى عليه عام دون أن يفي به ، ويرد فيها أيضاً على نقد طه حسين القديم لـ « الجداول » .

إلا أن هذه الرسالة ، التي نجد مسودتها ضمن أوراق شاعرنا المهجري وبخط يده ، ينقصها للأسف شيئان : ختامها وتاريخ تحريرها الذي قد يكون في آخرها^(٢) . وهذا بالطبع يدعونا إلى تساؤل نخرج منه باحثالين : إما أن يكون أبو ماضي قد أتم فعلاً كتابة الرسالة ، وبعث بها إلى الأديب الوزير ، ثم ضاع ختام مسودتها من بين أوراقه التي احتفظ بها وبقيت بعده ، وإما أن الرسالة لم

تجد طريقها إلى الأديب الوزير لأنها كانت مشروعاً أعرض عنه شاعرنا لسبب من الأسباب ، فظلت بتراء بشكلها الحالى .

وسواء أُرسل أبو ماضى رسالته إلى طه حسين أم لم يرسلها ، فالرسالة ، كما هى عليه بين أيدينا ، تبقى مستنداً يفيدنا بعدم رضاء الشاعر عن أجزاء من نقد طه حسين لـ « الجداول » — وهو عدم رضاء شاركه فيه آخرون — ووثيقة نقرأ فيها تصحيح أبى ماضى لبعض ما ورد فى هذا النقد .

وللى القارئ الرسالة^(٣) مع بعض التعليقات :

الرسالة

سيدى الأديب الكبير والوزير الخطير الدكتور طه حسين ،

لعلك تذكر — وأنت صاحب الذاكرة النادرة التى تلتقط الصور والأحداث فتستبقها ، لكى تعود فتحيتها ، أو تعود إليها لتفنيها — أنك التقيت فى مدينة بيروت ، وفى أواخر سنة ١٩٤٨ ، بكاتب هذه الرسالة الذى أعجب بك أديباً قبل أن يراك ، وأعجب بك أديباً وخطيباً بعدما رآك . وأحب أن يبرهن عن هذا الإعجاب فى نفسه ، فترك بين يديك ديوانه « الحمائل »^(٤) ، راعباً إليك أن تطالعه لعله يخفف من نعمتك على الشعراء ، ثم لعلك — وأنت تطالعه — تتذكر كيف جمع بيننا القدر فى لبنان على غير موعد سابق ، وعلى غير توقع منك أو منى ، فتحصى ذاك اللقاء من حسنات الأيام ، أو تحصىه فى عداد السيئات والذنوب !

ولما رجعت إلى نيويورك ، وجاء الخبر بارتقائك إلى منصب وزير المعارف ، اغتبطت كثيراً لأنى أحب مصر وأهلها ، وأرجوها الخير والفلاح على أيدي رجالها النوابع ، وأنت فى طليعتهم . وقد أنشأت فى جريدتى « السمر » اليومية فصلاً حول ذلك الخبر ، دلت فيه القراء على مكانتك العليا ، ومقاصدك السامية . ولم أبعث به إليك مخافة أن تحسبه نوعاً من الملق والزلفى . ولكنى وددت لو وقع إليك عفواً ، لتضيفه إلى كلمات التحييد وأقوال التشييط .

أما الآن فقد أتيت أستعجزك الوعد الذى بذلته لى عندما التقينا فى دار الإذاعة اللبنانية ، وهو أن يتفضل كاتبك أسرارك بإرسال مؤلفاتك إلى ، فهذه المؤلفات لم يصل منها شىء إلى . فإن لم يكن أدرك صاحبك النسيان ، فلا شك فى أنه أضاع العنوان ، أو أن تلك المؤلفات نفذت نسخها كلها فما استطاع أن ينجز الوعد .

وكيفما كان الأمر ، وسواء استقام للسكرتير أو لم يستقم عذر ، فإنى ما زلت أنتظر أن أحظى بنتاج قلمك وثمار ذهنك ، حتى « حديث الأربعاء » الذى وقع إلى أمس اتفاقاً ، فطالعت فيه مقالاً ، ولا أقول رأيك فى « الجداول » وفى صاحب « الجداول » . فما وجدتك وفيت الديوان حقه من النقد ، لأنك — كما يبدو لى — شغلت عما فيه بما فى نفسك وما حولك ، فكتبت عنه وكأنك تكتب عن أحد الشعراء الذين فى محيطك . وانصرفت عن النظر فى معانى قصيدة « الطين »^(٥) التى لم تنظم ليغنيها عبد الوهاب ، ولا لتنشدها أم كلثوم بل للتعبير عن فكرة ، وتقريبها إلى الأفهام . وقصيدة من طراز قصيدة « الطين » يجب أن يكون لها عند أديب كبير مثلك شأن أكبر من مؤاخذه ناظمها لأنه « اختار لها الدال الساكنة التى ينقطع عندها النَّفَس » .

ألا تظن أنك لم تحسن الرواية فى هذا المجال ، وأنتك عندما شعرت بأنك لم تحسنها ، طرت إلى دنيا الجاهلية لتجىء بأبيات بالية مهجورة تستشهد بها على جمال الحركة فى آخر « أم معبد » ، وفى نهاية « ثهمد » ، وخفى عليك العيب الفاضح فى بيت البحتري « لج هذا الحبيب فى الهجر جدّاً » . فكلمة « جدّاً » لا تليق بشاعر عربى كالبحترى أن ينصب منها قافية فى مطلع قصيدة ، وكلمة « هذا » ، فى البيت ذاته ، حشو بليد . والشطر كله كلام عادى لا يصعب على تلميذ مدرسة أن يأتى بمثله . فواعجباً لك ، كيف انتقيت هذا البيت ، وأنت صاحب الذوق العالى والفن الأنيق .

ولكن ما لنا وللبحتري ، ولدريد بن الصمة ، والحطيئة ، عفا الله عنهم ، وعنا . لقد عملوا ما كان حسناً فى زمانهم ، أو قل عملوا ما يتفق مع الزمان الذى عاشوا فيه . ولذلك لا تجد فى دواوينهم كلها قصيدة كقصيدة « الطين » تدور

حول فكرة مستمدة من الحياة ذاتها .

إن لي سؤالاً صغيراً أطرحه عليك ، وأترك الجواب عليه لضميرك ووجدانك ، وهو : هل رأيت في كل ما رأيت من الدواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية قبل « الجداول » ديواناً كـ « الجداول » يحوى فكراً وشعراً وفلسفة في قصائده لم يسبق أن نزل مثلها في ديوان الشعر العربي كله ؟^(٦)

أقرأت « العنقاء » ؟ وهل تبهرت في تفهم معانيها ؟ وقصيدة « السجينة » ، أقرأت مثلها من قبل ؟ و « المساء »^(٧) ، ألم تعجبك ؟ و « الضفادع والنجوم » ، و « التينة الحمقاء » ، و « الغدير الطموح » ، وغير هذه مما يجدر بك أن تعود إلى « الجداول » تطالعه من جديد ، وبنفس مجردة عن الهوى الإقليمي ، وعن النزعات العارضة ، وعن مؤثرات المحيط ، وعن الرغبة في الغمز من قناة أحد . وليتلك سألت ، لعلمت إذن أن صاحب « الجداول » ، لم ينس وطنه الأول لبنان ، بل له فيه قصائد لم يقل مثلها شاعر في وطن ، ولا سيما قصيدة « الشاعر في السماء » التي تقرأها في « الحمائل » .

لو سألت ، لما فاتك أن تعلم أن لصاحب « الجداول » غير « الجداول » وإذن لما حاولت أن تغضب أصدقاءك اللبنانيين ، ولا أن تستفزهم إلى المجادلة والمناضلة عن شاعر هو لمصر ، ولكل قطر عربي مثلما هو للبنان . شاعر يعترف بفضل لبنان الذي أنبته ، وبفضل مصر التي قضى فيها أحسن أيام الصبا ، وبفضل أمريكا التي نعم في أرضها بالحرية المطلقة . فإذا كان « الجداول » خلا من قصائد في لبنان ومصر^(٨) ، فما خلا منها ديوانه الأول وديوانه الثاني^(٩) .

واسمح لي أن أقول لك إن تفسيرك هذا البيت^(١٠) :

كلما أفرغت كأسى زدت في كأسى دنا

هو تفسير خاطيء يدل على ضعف الخيال عندك ، بل أنا أؤكد أن الخيال عندك ضعيف ، ولولا ذلك لكنت شاعراً لا ناثراً^(١١) .

فما الكأس والخمر في هذا المقام غير رمزين يقصد بهما أن الفكرة تنمو

وتزداد وتتكاثر كلما كثر حفاظها وناقلوها ورواتها . فهي إذن لا تفنى بالإنفاق ، بل تفنى بالإمساك .

إذن ، فأنت ترى ، أنك في تفسيرك الخاطيء لهذا البيت كنت واحداً من اثنين : إما أنك تعمدت أن تستحدث عيباً بهذا البيت ، لتبرهن على قدرتك في استحداث العيوب ، وإما أنك لم تجد في البيت غير ما وجدت من ظاهر الكلام ، فكنت ناقداً غير موفق ، وغير متعمق .

كذلك دورانك حول هذا البيت (١٢) :

لست منى إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً

فالواقع الذى لا ريب فيه أنك تقدر أن ترصف ألفاظاً إلى ألفاظ ، وأن تجعل لها أوزاناً ، ولكنها لا تكون شعراً . وعندنا كثير من الكتب المسجعة والأراجيز والمقامات . والغاية من هذا البيت تبیان خطأ القائلين إن الشعر هو « الكلام المقفى الموزون » . فكثير من الكلام المقفى الموزون ليس شعراً ، وكثير هو الشعر الذى لا يمكن أن يقال عنه إنه كلام مقفى موزون . فكيف غاب هذا عن نظرتك الوقادة وذهنك النير ؟ كيف ؟

تعليقات

(١) Tahir Khemiri and Georg Kampffmeyer. Leaders in contemporary Arabic literature : a book of reference. (Die Welt des Islams, Berlin, vol. 9. 1930, parts 2-5).

(٢) كان أبو ماضي أحياناً يضع تاريخ تحريره الرسالة في آخر الرسالة بدلاً من أولها . راجع رسالته إلى محسن جمال الدين في « الأديب » البيروتية ، فبراير (شباط) ١٩٥٨ ، ص ٦٨ .

(٣) تكرم صديقي الدكتور روبرت ماضي ، نجل الشاعر ، فسمح لي بنشر هذه الرسالة وينشر صورة الصفحة الأولى منها بخط والده ، فعلى هذا أشكره .

(٤) من المرجح أن أبا ماضي ترك بين يدي طه حسين الطبعة الثانية من « الحمائل » التي أخرجتها مكتبة صادر ببيروت ، والتي وافق ظهورها زيارة الشاعر للبنان ، لا الطبعة الأصلية التي صدرت في نيويورك عن مطبعة جريدة « السمر » اليومية ، عام ١٩٤٠ . ولعل أبا ماضي كان يؤمل أن تحظى « الحمائل » بكلمة من طه حسين تخفف مما قاله في « الجداول » .

(٥) ظهرت هذه القصيدة أول ما ظهرت في « المقتطف » القاهري ، عدد ١٩٢٥/٢/١ ، وبعد ثلاثين عاماً أثارت ضجة . ففي أوائل عام ١٩٥٥ ، نشر روكس بن زائد العزيزي مقالات اتهم فيها أبا ماضي بأنه سرق معاني وألفاظ هذه القصيدة من شاعر بدوي اسمه علي الرميثي ، قيل إنه عاش في البادية الأردنية في النصف الأول من القرن التاسع عشر . ثم نشر هذا الاتهام في كتاب « فريسة أبي ماضي : أول دراسة علمية للشعر في البادية » ، عمان ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٥٦ ، ص ٧٠ . وقام أبو ماضي ينذ عن نفسه التهمة . فكان مما كتبه مقال ظهر في « الأديب » البيروتية ، يونيو (حزيران) ١٩٥٥ ، ص ٦٤ - ٦٥ . أما عيسى الناعوري ، فدافع عن أبي ماضي في كتابه « إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث » ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٣ - ١٤٢ .

(٦) لم يكن أبو ماضى مغالياً في قوله هذا . فقد كان متنبهاً تماماً إلى ما أحدثه من التغيير في عالم الشعر العربي . وهو قول يذكرنا بما كتبه نازك الملائكة في « ملامح عامة في شعر إيليا أبو ماضى » ، في مجلة « شعر » البيروتية ، عدد ربيع ١٩٥٨ ، ص ٩٨ و ١٠٠ ، إذ قالت :

« لعله ليس كثيراً أن نحكم بأن إيليا أبو ماضى قد كان أول من جدد ، القصيدة العربية بالمعنى الذى نفهمه اليوم من التجديد ، حتى يستطيع الناقد الأدبى أن يؤرخ به فترة جديدة في الشعر العربى . . . »

ونأتى إلى الخصائص التى تميز شعر أبو ماضى فنجد أبرزها ذهنية الاتجاه أو الميل إلى التفكير عبر القصائد . إن القصيدة عنده فكرة قبل كل شيء ، والعاطفة بإزائها ثانوية تماماً ، حتى إننا لنفتقد شعر الحب فى ديوان « الجداول » افتقاراً شبه تام .

(٧) كان أبو ماضى معجباً بهذه القصيدة إعجاباً تاماً حتى آخر أيام حياته . فهى القصيدة التى أظهر فيها شعوره تجاه أمه سامى وخلد فيها اسمها .

(٨) استهل طه حسين مقاله بهذه الجملة : « لست أدرى أيرضى أصدقاؤنا اللبنانيون أم يغضبون إن رأيت أن أثر جبالهم الجميلة فى الشاعر الذى أتحدث عنه اليوم ضعيف جداً » .

(٩) أصدر أبو ماضى ديوانين قبل « الجداول » : « ديوان تذكارات الماضى » ، الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ ، ص ٨٥ ، و « ديوان إيليا أبو ماضى الجزء الثانى » ، نيويورك ، مطبعة « مرآة الغرب » اليومية ، ١٩١٩ ، ص ١٩٢ .

(١٠) البيت فى « الفاتحة » .

(١١) اعترف طه حسين اعترافاً صريحاً بهذا الضعف فى كتابه « تجديد ذكرى أبى العلاء » فى أثناء حديثه عن « ذهاب بصر المعرى » . إذ قال (ص ١١٣ ، ط ٦ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣) :

« ثم هو بعد ذلك كله قد حرم التمتع بلذة يكبرها الناس ، وجهله إياها يضاعف خطرهما في نفسه ، فإن تعاطى صناعة الشعر أو الوصف فإن هذا الحرمان قد استتبع ضعف خياله ، وحال بينه وبين مجارة الشعراء والواصفين فيما يتنافسون فيه ، إلا أن يكون مقلداً أو محتدياً » .

فلا ريب إذن أن تلك « الآفة المحتومة التي لحقته في أول حياته » قد منعت طه حسين من متابعة قرض الشعر ، بعدما حاوله في شبابه ، وألزمته التزام النشر .

(١٢) البيت في « الفاتحة » .

(٧) الشيخ إبراهيم المنذر وأبو ماضي

(١)

عزيزي الأستاذ المحترم ألبير أديب ،

طلع علينا عدد مايو الماضي من « أدبيكم » الغراء ، وفيه تعليق لنسيم نصر (ص ٤٧) على « ديوان الشيخ إبراهيم المنذر » (١٨٧٥ - ١٩٥٠) الذي قدمه أمين نخلة ، فتذكرت لتوي تلك المكانة التي كانت للمنذر عند المهجريين ، والتي أشير إليها في كتاب سماح طليع « الشيخ إبراهيم المنذر شاعر الجيل الجديد » (بيروت ، ١٩٦١) . فالشيخ ، كما جاء في ص ٣٦ ، « اهتم بالمغتربين من أمته ، وكن لهم الحب والوفاء ، وعنى بأحوالهم ، فبادلوه حباً بحب ، ووفاء بوفاء ، وبات اسمه عندهم مرادفاً للصدق والتجرد والعقيدة الصافية ، فهم يذكرونه بالخير كلما ذكروا هذه الصفات ، وتذكروا في أي عهد كافر جاهر بها » .

فإذا أردنا بعد هذه الكلمة أن نأتي بدليل مادي على العواطف النبيلة التي كان يحتفظ بها للمنذر المهجريون الذين عرفوا الرجل وعاصروه ، فهو خبر تلك الساعة الذهبية التي أهدته إياها شبيبة المحيثة بالولايات المتحدة ، عام ١٩٢٦ ، كرمز لاعترافها بفضله . وقد رافقت هذه الهدية هدية أخرى ، هي قصيدة نظمها ابن المحيثة ، إيليا ظاهر أبي ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) ، بعث بها من المهجر لتلقى في حفلة تكريم المنذر . وهذا نص القصيدة لمن لا يعرفها :

سلام عليك فتى المكرومات	كماء الغمامة بل أظهر
من الذاكرين ليالي الحمى	إذ العيش مثل المنى أخضر
وإذ نحن نجهل هذا الفراق	ومن كان يجهل لا يعذر
لقد قصر الدهر عمر اللقاء	فيا ليت [أعمر] النوى أقصر

ولكننا إن نكن غيباً
بعدنا ولم تبعد الذكريات
فتمسى من الوجد والاغتياب
نقول : ألا ليت نسواننا
رأينناك تزار دون الحمى
وتخدم قومك عفو الضمير
وتجهر بالحق والأكثرون
فصغنا الهدية من عسجد
فإنك كالذهب الصررف لا
ولما وجدناك مثل الزمان
جعلنا الهدية مقياسه
تدق وتنفض مثل القلوب
ولو لحلالك شئنا الكناية
ولكن هديتنا مظهر
وفي قطرة الماء معنى الغدير
مع وافرتحياتي واحترامى .

(٢)

بمناسبة صدور الجزء الأول من ديوان الشيخ إبراهيم المنذر (١٨٧٥ - ١٩٥٠)
أشرت في كلمة سابقة (نشرتها « الأديب » في عدد يوليو الماضي ، ص ٥٤)
إلى تلك المكانة التي كانت للشيخ عند المهجريين ، وإلى تلك المودة التي بادلوها
إياها .

واليوم أعود فأسوق إلى المهتمين بدراسة حياة المنذر وأدبه ، وإلى المهتمين
بالأدب المهجرى ، أبياتاً من قصيدة أخرى في المنذر مجهولة ، نظمها إيليا ظاهر
أبي ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) في سنه الأخيرة في الشرق .

وليس واضحاً من هذه الأبيات ، أو من غيرها ، السبب أو الأسباب التي

دعت شاعرنا المهجري - وكان شاباً يومئذ - إلى نظم هذه الأبيات مادحاً بها المنذر . كما أنه غير واضح أكان نظمه لها في مصر أم في لبنان قبل سفره النهائي إلى أمريكا . ولكن الواضح منها أن أبا ماضي كان يعرف الرجل معرفة وثيقة ، وأن ارتباطاً كان بينهما يتعدى مسقط الرأس المشترك ، مما سهل على بعضهم - على ما أظن - الوشى به إلى المنذر .

أصبحت مثل السيف غادر نغمه
لا أستقر ببلدة إلا على
وجريمتي في الدهر أنى شاعر
يا قلب ، ما في الناس من تشكوله
الصاحب البر الوفي بعهد
صحت مودته فليس يشوبها
وصفت خلاثقه فلو عايتها
شم حكت زهر الرياض وأوشكت
رقت شمائله وهذب لفظه
صاحبته فصحبت منه مهذباً
كالبحر إلا أنه مستعذب
ترب الكمال وإنه نسب له
ما فيه عيب قط إلا أنه
سمح كأن المال من أعدائه
ما تلك أنمله تفيض بماله
متأدب يعي ويفهم خصمه
ما راح يكتب في الطروس يراعه
قد لفق الحساد عني عنده
فازداد عندي قدره ، وازداد ود
لما رأوني باكياً يوم النوى
وتوهموا الأيام تخلق ودنا

فرداً وجيش الهم حولي يحدق
سفر إلى أخرى كأنى زئبق
والشعر فيه بضاعة لا تنفق
إلا « ابن منذر » المحب المشفق
والكاتب الفطن الأديب المفلق
ريب ولا الأكدار فيها تعلق
عاينت أقمار الدجى تتألق
لو أنه يذر التكم تعبق
فحديثه السحر الحلال المطلق
وبلوته حرّاً يقول فيصدق
والبدر إلا أنه لا يمحق
تهوى الثريا لوبه تعلق
متواضع في قوميه مترفق
ولذا يفرق شمله ويمزق
بل تلك خمسة أبحر تتدفق
حججاً ويخرس دونه المتمنطق
إلا رأيت الدر كيف ينسق
وشى به عندي العذول الأحمق
ي عنده ، وانحل ما قد لفقوا
طربوا وحثهم السرور فصفقوا
هيهات حبل وادنا لا يخلق

يا صاحبي ، ولأنت أفضل صاحب
 بي من فراقك لوعة لا تنقضي
 أستنشق الأرواح عتلاً تحية
 حملتها ما عن سواك أصونه

يخلو به عهد ويصفو موثق
 أبداً وهم في الفؤاد موزق
 ممن أحب بطيها تستنشق
 حذراً فسلها إنها لك تنطق

(٨) كلمة في كتاب عن أبي ماضى

(١)

كنت منهمكاً في كتابة تنمة مقال عن الشاعر المهجرى إيليا ظاهر أبى ماضى (١٨٨٩ - ١٩٥٧) ، لمجلة «الأديب» الغراء ، عندما وقعت يدي على كتاب «إيليا أبو ماضى : حياته وشعره بالإسكندرية ، ١٩٠١ - ١٩١١ م ، مع ملامح من المدينة وصور من المجتمع الشامى في هذه الفترة» (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ١٧٦ ص) . فتحيت مقالاً جانباً ، وأخذت أقرأ الكتاب مؤملاً أن أجد فيه جديداً عن الشاعر ، أضيفه إلى ما أعرفه عنه . ولكن ، كم كانت دهشتى - حين أتممت الكتاب - من بعض تلك النتائج التى خلص إليها عبد العليم القبانى ، والتى مرجعها - كما سنرى - تفسير غير صحيح لبيت واحد فى «ديوان تذكّار الماضى» .

كنت أود ألا أتناول هذا الكتاب لأن مؤلفه شاعرٌ مجيد ، نال جوائز على قصائده نظمها ، ومؤرخ أدب متفرغ للكتابة ، وصاحب مؤلفات أعرف منها : «شعراء الإسكندرية فى العصور الإسلامية» (١٩٦٤) ، و«أشعار قومية» (١٩٦٦) ، و«مع الشعراء أصحاب الحرف» (١٩٦٧) ، و«البوصيرى» (١٩٦٨) ، و«بقايا سراب ، شعر» (١٩٦٩) ، و«محمود يرم التونسي» (١٩٦٩) ، و«رواد الشعر السكندرى فى العصر الحديث» (١٩٧٢) ، و«فخرى أبو السعود» (١٩٧٣) ، و«نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية» (١٩٧٣) .

وكنت أود ألا أتناول هذا الكتاب أيضاً لأن القبانى تربطنى به روابط وثيقة ، فهو ابن الإسكندرية مثلى - وإن ولدت أنا من أبوين شاميين لبنانيين ، وعضو فى أسرة كلية جامعتى التى تخرجت فيها .

كنت أود ألا أتناول هذا الكتاب لهذه الأسباب ، ولكننى رأيت أنه من

واجبي - وأنا أعرف الكثير الثابت عن أبي ماضى الذى مرجعه دراسة نلت بها درجة الدكتوراه فى يونيو (حزيران) ١٩٦٩ من جامعة جورجيتاون بواشنطن - أن أعلق على هذا الكتاب بكلمة فيها ما يرضى الحق ، ويرضى النقد الأدبى ، ويرضى الدراسات « الإيلياماضية » ، مدركاً ومقدراً فى الوقت نفسه ، تمام الإدراك والتقدير ، مدى الجهد الذى بذله عبد العليم القبانى فى تأليف كتابه .

(٢)

يبدأ عدد سبتمبر (أيلول) ١٩١٦ من مجلة « الفنون » النيويوركية بالصفحة رقم ٢٨٧ وينتهى بالصفحة رقم ٣٨٤ . ولكن بين غلاف العدد وبين الصفحة الأولى رقم ٢٨٧ ، توجد ١٤ صفحة غير مرقمة ، لو جاز لنا ترقيمها « أبجدياً » لكانت أرقامها الأحرف ا إلى ن . فى هذه الصفحات ، وتحت عنوان « كلمة عن أدباء الفنون الظاهرة نفثات أقلامهم فى هذا العدد » ، يجد القارئ ، فى صفحة و - ز ، موجزاً عن « إيليا أبو ماضى » هذا نصه :

« شاعر قرص الشعر وهو فى الرابعة عشرة من سنه ، فأصبح والشعر فيه ملكة والقوافى عبيد له خاضعة يقودها كيف شاء .

ولد فى المحيثة ببلبنان سنة ١٨٨٩ ، وهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠ ، ومكث فيها منصباً على المطالعة والدرس لنفسه حتى سنة ١٩١١ ، فغادرها إلى أمريكا ، وسكن سنسنتى ، ثم جاء نيويورك فى صيف هذا العام ليشغل بالأدب .

وله « ديوان أبي ماضى » ، طبع الجزء الأول منه فى مصر ، والجزء الثانى سيهياً للطبع قريباً .

هذا الموجز ، وهو أقدم موجز لحياة أبي ماضى انتهى إلينا حتى الآن ، كان مصدره بالتأكيد أبا ماضى نفسه . فنسب عريضة ، صاحب مجلة « الفنون » ، ما كان له أن يعرف هذه التواريخ المحددة فى حياة أبي ماضى لو لم يمه شاعرنا بها .

فإذا أردنا بعد هذا ، أن نحدد أيضاً يوم وشهر ولادة أبي ماضى

في سنة ١٨٨٩ ، قلنا إنه ١٥ مايو (أيار) ، وذلك بناء على ما جاء بعد تحقيق وتدقيق عن تاريخ ميلاد الشاعر ونشأته ، ص ٦٥١ ، من مقال لـ جرجي إبراهيم نصر ، في مجلة « المشرق » البيروتية ، عدد تشرين الثاني - كانون الأول (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٦٩ .

نخلص من هذين المصدرين إذن إلى غير ما خلاص إليه القبانى في كتابه . نخلص إلى : (١) أن أبا ماضى ولد في ١٥ / ٥ / ١٨٨٩ ، (ب) وأنه كان إما في الحادية عشرة أو الثانية عشرة - نقول هذا لأننا لا نعرف شهر هجرته - عندما هاجر إلى الإسكندرية ، عام ١٩٠٠ ، بصحبة عمه « نعوم » ، (ح) وأنه كان قد أتم الثانية والعشرين عندما هاجر من مصر إلى أمريكا في نهاية ١٩١١ ، ماراً ببلبنان .

(٣)

يقول القبانى في كتابه ، ص ٢٩ - ٣٠ ، ما نصه :

« إذا نحن قرأنا قصيدة الشاعر « مصر والشام » ، واستمعنا منها إلى هذا البيت الذى يقول فيه :

مضى عام علىّ بأرض « مصر » وذا عام وسوف يحىء عام

عرفنا أنه نظم هذه القصيدة بعد أن أقام بالإسكندرية سنة ، ودخل في الأخرى ، وراح يرتقب الثالثة . وبعبارة محددة نظمها سنة ١٩٠٢ . . . هذه نتيجة لا يجهد الفكر في الوصول إليها . ولكن الذى يحتاج إلى شيء من التعمق هو القصيدة نفسها .

وليت القبانى أعطى هذه القصيدة التعمق كله ، لا شيئاً منه فقط ، لأنه لو كان فعل لوضح له آتئذ أن تاريخ نظم أبي ماضى لـ « مصر والشام » ليس عام ١٩٠٢ كما حددته هو ، بل عام ١٩٠٩ . وإن شئنا أن نكون أكثر تحديداً - بناء على ما لدينا من الأدلة - قلنا بعد ٢٥ مارس (آذار) من ذلك العام . سيسألنى سائل : ومن أين لك بالأدلة ؟ سأجيب : من القصيدة نفسها ، شرط أن نقرأها بنصها الكامل ، ص ٧٥ - ٧٧ ، في « ديوان تذكارات الماضى »

(ط ١٩١١) ، لا في كتاب القبانى ، ص ٣٢ - ٣٣ ، لأن القبانى لم ينقلها هنا بكل معانيها وأفكارها و صياغتها كما ذكر .

لنقرأ معاً هذا البيت المُغفَّل في نص القبانى ، وقد وضعت بين قوسين ما يهمنا فيه :

أ (قانوناً) قيودهم تسمى ؟ إذاً قد أنت الرجلَ اللثامُ
ألا يشير هذا البيت إلى « قانون المطبوعات الصادر في ١٨٨١/١١/٢٦ »
الذى أحياه مجلس النظار (الوزراء) بقرار أصدره في ١٩٠٩/٣/٢٥ ، ونشره
في « الوقائع المصرية » ، ص ١ ، عدد ٢٧ / ١٩٠٩/٣ ، حتى يحد من
حرية الجرائد ؟

ثم لنقرأ هذا البيت المثبت في نص القبانى :
إلا مَ تمنع الدستور « مصر » وقد كادت تفوز به (سيام) ؟
ألا يشير هذا البيت إلى المعاهدة التى عقدت في مدينة « بانكوك » بين
« سيام » (« تايلاند » الآن) وبريطانيا ، في ١٠ / ٣ / ١٩٠٩ ، والتي بمقتضاها
أصبح البريطانيون المقيمون في سيام خاضعين لسلطة محاكم سيام الوطنية ،
وكانوا قبلها - بسبب الامتيازات الخاصة - خاضعين لسلطة محاكم غير
سيامية ؟

ثم لنقرأ الأبيات الآتية المختارة من القصيدة ، وعلى رأسها مطلعها (لاحظ
أن البيتين الثانى والخامس ساقطان من نص القبانى) :

أطال الليل أم طال المقام ؟	أم (الحزون) خامره الهيام ؟
فبات يصعد الزفرات وجداً	ولما (ناح) أسعده (الحمام)
تجمعت (الهموم) عليه ترى	كما اجتمعت على الماء السوام
وأعوزه على (البلوى) معين	وأعوز ليله (القمر) التمام
كأن نجومه أجفان (باك)	كأن الليل صباً مستهام

ألا تشير هذه الأبيات إلى حالة إيليا النفسية التى صار إليها عام ١٩٠٩
بعد وفاة شقيقه طانيوس ، « البدر الآفل » في الربع الأول من ذلك العام ، عام
أصاب القبانى في تحديده ص ٢٣ ؟

ألا تقطع الأدلة السابقة مجتمعة بأن « مصر والشام » نظمت ١٩٠٩ ،
ولم تنظم ١٩٠٢ ؟

سيسألني السائل : أتريد أن تقول إن أبا ماضي كان متغيباً عن مصر فترة
من الزمن عام ١٩٠٨ ؟ سأجيب : تماماً . فهذا ما أستطيع أن أثبته لك ،
وبسهولة ، من « ديوان تذكّار الماضي » أيضاً ، وإن أنا عمّزت — في ذات
الوقت — أن أحدد لك بالضبط تاريخ هذا التغيب ومدته وكذلك سببه .
افتح الديوان ص ٤٣ ، واقرأ معي في باب « الغزل والنسيب » ، هذه الأبيات
المتابعة من قصيدة « لقاء وفراق » :

أصبو إليها وأصبو كلما ذكرت	عندى اشتياقاً إلى « مصر » وأهلها
أرض سماء سواها دونها شرفاً	فلا سماء ولا أرض تحاكيها
رقت حواشيتها وانخضر جانبها	وأجمل الأرض مارقت حواشيتها
كان أهرامها الأطواد باذخة	هدى إلى جنبها الأخرى تساميتها
كانها كعبة حج الأنعام لها	لولا التي قلت فيها : جل بانيها
و « نيلها » العذب ما أحلى مناظره	والشمس تكسوه تبراً في تواريتها

ألا تدل هذه الأبيات على حنين أبي ماضي إلى مصر ، وتحرّقه شوقاً
إليها ، يوم كان بعيداً عنها عام ١٩٠٨ ؟

(٤)

كان إذن أبو ماضي في آخر العشرين من عمره ، أو أول الحادية
والعشرين ، عندما نظم « مصر والشام » ، ولكنه كان في آخر الخامسة
عشرة حينما دارت « معركة شمولبو » في ٩/٢/١٩٠٤ ، وكان في السادسة
عشرة عند « سقوط بورت أرثور » فاتحة ١٩٠٥ ، وكان في بداية السابعة
عشرة لما توفي الشيخ محمد عبده في ١١ / ٧ / ١٩٠٥ . فهل كان أبو ماضي
قادراً ، في هذه السن المبكرة ، أن ينظم ما نظم في هذه المناسبات الثلاث ؟
أم أن قصائده التي نقرأها في « تذكّار الماضي » لهذه المناسبات ليست القصائد
الأصلية نفسها التي نظمها في حينها ، بل القصائد الأصلية بعد أن تناولها أبو ماضي

بالتنقيح ، وربما أيضاً بالتطويل ، قبل نشرها في ديوانه ، في النصف الأول من عام ١٩١١ ؟

أقول هذا لأننى لاحظت في أثناء دراستى لشعر أبى ماضى في أطواره المختلفة ، أن هناك اختلافاً في رواية بعض القصائد ، اختلافاً في الشكل و/أو في المضمون .

أما في الشكل ، فقد لاحظت اختلافاً في رسم بعض الكلمات ، وفي ترتيبها (تقديم وتأخير) ، وفي التشطير وعدمه ، وكذلك في تجزئ القصيدة .

أما في المضمون -- وهو ما يهمنا هنا -- فقد لاحظت اختلافاً في الألفاظ وفي الأبيات ، وفي طول القصيدة ، وكذلك في عنوانها .

خذ ، مثلاً ، قصيدة « صاحب القلم » (لكن مصرّاً) التي أرسلها الشاعر من الولايات المتحدة ، عام ١٩١٣ ، إلى مجلة « الزهور » القاهرية ، بحبي بها مصر ، ويحن فيها إلى وادى النيل . إنها ٣١ بيتاً في المجلة ، بينما هي بزيادة عشرة أبيات في « ديوان إيليا أبو ماضى ، الجزء الثاني » (ط ١٩١٩) .

ونخذ « العميان » (نحن) . إنها ٢١ بيتاً في « مرآة الغرب » النيويوركية عدد ١٤/١٠/١٩١٩ ، لكنها بزيادة ١١ بيتاً في « الجداول » (ط ١٩٢٧) .

ونخذ « نار القرى » . إنها ١٨ بيتاً في « السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ » ، ولكنها ٢٤ بيتاً في « الجداول » .

ثم خذ « الزمان » ، وقارن نصها كما ورد في « الجداول » بنصها في مجلة « المقتطف » القاهرية (عدد ١/٧/١٩٢٤) ، وقارن كذلك نص « يارفاقي » في ديوان « تبر وتراب » بنصها في جريدة « النصر الجديد » الدمشقية (عدد ٢٢/١٢/١٩٥٢) .

بل قارن « شكوي فتاة » (الزواج التجارى) كما جاءت في « تذكّار الماضي » بها كما جاءت في « الهدى » النيويوركية (عدد ١٢/٨/١٩٠٩) .

ربما ما حدث بهذه القصائد ، التي سقناها هنا على سبيل المثال ، هو ما حدث أيضاً بالقصائد الثلاث التي نحن بصددّها -- وربما أيضاً ببعض شعر

صبا أبي ماضي الآخر المنشور في « تذكّار الماضي » — فحدا هذا الأمر بالقباني إلى أن « يستكثر » ، ص ٣٥ ، على أبي ماضي « أن يتسع أفقه في السياسة الخارجية إلى الحد الذي ينظم في أحداثها شعراً عربياً سليماً ، فيه جودة و شمول وعمق ، وإن لم تصل درجته بطبيعة الحال إلى حيث بلغ الشاعر فيما بعد » .

على أننا لا نريد أن نخلص ، مما ذكرناه أعلاه ، إلى تأكيد ما قاله القباني ، ص ٤٣ — ٤٤ : « أن من المستحيل على صبي . . . حتى في السادسة عشرة أن يقول مثل هذا الكلام ، وأن يفكر مثل هذا التفكير ، ثم — وذلك هو الأشق والأصعب — أن ينظم هذا كله شعراً عربياً صحيحاً لا يعيبه من رعونة الطفولة وقلة التحصيل شيء » . ذلك لأن مثل هذا التأكيد إنما يترتب عليه إنكار أن هناك نمواً أدبياً مبكراً ، ونمواً فكرياً مبكراً ، ثبت وجوده لدى بعض الأدباء .

خذ ، مثلاً ، الشاعر المصري أحمد محرم (١٨٧٧ — ١٩٤٥) الذي تشبه حياته كثيراً حياة أبي ماضي في معالمها الرئيسية . يقول عنه بدوى طبانة ، ص ١٨ — ٢١ في كتاب « خمسة من شعراء الوطنية » (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣) ما نصه :

« إن القراءة الدائبة وحدها كانت السبيل إلى تلك الثقافة اللغوية والأدبية والتاريخية التي نمت استعداده الفطري لصناعة الشعر ، وبلوغه فيه تلك المنزلة الرفيعة التي لا يشك أحد في بلوغه إياها . . .

ولا نشك كذلك في أصالة أحمد محرم ، وأنه خلق شاعراً مطبوعاً وعبقرياً موهوباً ، وأن ملكته الفنية جادت مبكرة بمكنونها ، وهو لا يزال غض الصبا وفي ميعة الشباب . وقد شهد له بذلك النبوغ المبكر بعض الذين قرءوا بواكير إنتاجه ، وعاصروا مرحلة حدائته ، ومنهم الشاعر أحمد الكاشف الذي كتب في العقد الأول من هذا القرن عن أحمد محرم يقول : « لقد أصبح ذكر هذا الشاب الجليل أحمد أفندي محرم متداولاً على ألسن الأدباء ، محبوباً لديهم ، لما اشتهر به من علو الهمة ، وبعد النظر في كتابته التي تعطرت بها الصحف ، وضربت بجودتها ومتانتها الأمثال ، فما زرت أديباً في العاصمة

أو غيرها من المدن العظيمة إلا استشهد لي بأشعاره إذا دار بيني وبينه حديث قديم وحديث ، ولقد يعرفه معظم أرباب الصحف ويقدرونه حق قدره ، ويظنونه في الأربعين من عمره ، وأنه من سلالة عربية ، وأنه من متخرجي الأزهر أو دار العلوم ، مع أنه من أبوين تركيين ، وعمره لا يتجاوز ثمانية عشر ربيعاً .

ويتابع طبانة كلامه فيقول :

« وقد اجتمعت في أحمد محرم طبيعتان كان لهما أبعد الأثر في توجيه حياته الفنية ، وطبع سلوكه في حياته العامة بطابع خاص متميز ، وهما : الشاعرية التي وهبها ، والاستعداد الفطري للمشاركة في الحياة العامة ، وكانت الشاعرية التي وهبها ، وبرزت معالمها ، واضحة منذ كان حدثاً صغيراً يستقبل الحياة ، ولزمته حتى صار شيخاً كبيراً يستعد لتوديع تلك الحياة ، هي التي دفعته إلى الفرار من التعليم الرسمي بالمدارس الحكومية ، ليفرغ لهذه الشاعرية ، ويُسمِّيها بطاقات أدبية يحصلها من قراءاته ، ومن اطلاعه الواسع العميق على آثار كبار الأدباء والفحول من الشعراء الذين كان يطمح إلى بلوغ منازلهم من الشهرة وخلود الذكر . . .

وكانت النزعة الأخرى هي نزعة الحس المرهف والاستعداد الفطري للمشاركة في الحياة العامة مشاركة حرة طليقة من سائر القيود التي تحد من حريته في الاستجابة لهذه النزعة . . .

وكذلك اتجه أحمد محرم إلى الصحافة ، وقد وجد فيها المنبر الذي يتطلع إليه لتحقيق غايته ، وإرضاء طموحه إلى الشهرة وذبوع الصيت ، وإشباع رغبته في المشاركة في الحياة العامة ، ومعالجة القضايا السياسية ، والاجتماعية التي تشغل الناس إذ ذاك . وكان ذلك في فترة من فترات نشاط الصحافة واصطراع الآراء في كثير من القضايا والمشكلات التي تشغل البلاد في الربع الأول من هذا القرن . . .

وقد خاض أحمد محرم في هذا المعترك في سن مبكرة ، يقول إنه

لم يكد يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى أقبل على الصحف السياسية والمجلات العلمية يكتب فيها عن المبادئ المنتزعة من حقائق التاريخ ، والمذاهب القائمة في صميم الآداب .

هذا عن أحمد محرم . أما عن أحمد الكاشف (١٨٧٨ - ١٩٤٨) ، وهو شاعر مصري آخر . فيقول عنه محمود غنيم ، ص ١٦٦ في الكتاب نفسه ، ما يلي :

« وفي السادسة عشرة بدأت تتفتح موهبته الشعرية بعد أن نال حظاً من علوم اللغة وأنس أساتذته فيه ذلك ، فبدءوا يُدرّسون له فن العروض وفنون البلاغة ، فبرز فيهما ، حتى كان يبرز أساتذته في بعض مسائل تتعلق بهما أحياناً . وفي تلك الفترة زار القرشية عالم فاضل ، فأعجب بموهبته ، واقترح عليه ارتجال بيتين في فن الغزل ، فارتجلهما فتنبأ له بمستقبل حافل بالمجد في ميدان الشعر . ومن هنا أمسك بطرف الحيط في نظم القريض . وكان له خال — يجيد النظم — فكان يبعث بإنتاجه إليه لينقده له . . .

بدأ — وهو في السابعة عشرة من عمره — يدبج المقالات الصحفية ، ويبعث بها إلى الصحف ، وعلى الأخص صحيفتي « العمدة » و « الأهالي » ، فلا تكتفيان بنشر ما يكتب ، بل تستزيدانه مما يكتب . كل ذلك وهو تلميذ . على أن مكانته الأدبية الملحوظة جعلته يتدل بنفسه ، وينظر إلى الأساتذة نظرة من يرى نفسه أكثر منهم إدراكاً ، وينظر إلى الكتب نظرة من يرى نفسه أكبر من واضعها عقلاً .

إذن ، فليس غريباً ولا مستحيلاً — والنبوغ الأدبي المبكر ظاهرة ثابتة عند بعض الأدباء ، كما رأينا — أن ينبغ أبو ماضي في مصر نبوغاً شعرياً وفكرياً مبكراً ، سمح له بنظم قصائد معينة في صباه ، لا نستكثرها على شاعر عبقرى مثله .

(٩) كلمة أخيرة

في تاريخ ميلاد أبي ماضي وفي شعر صباه

قرأت مؤخراً « قراءة جديدة لإيليا أبو ماضي » بقلم صلاح عبد الصبور - هي تذييل لـ « تذكّار الماضي » (١٩١١) في طبعة جديدة أصدرتها دار العودة ببيروت ، ١٩٧٤ - فرأيت أن عبد الصبور من الشاكّين في تاريخ ميلاد أبي ماضي ، المرجحين أن أبا ماضي حينما بدأ النظم إنما كان أكبر سنّاً مما هو معروف عنه ، لأن قصائده « فيها قدر كبير من المرونة والمقدرة اللغوية والصياغة بحيث يستبعد أن تكون نتاج صبي في السنوات الأولى من صباه » (ص ٢٥١) .

وحتى لا يتطرق هذا الشك إلى آخرين من المهتمين بدراسة هذا المهجري ، أسوق كلمة أخيرة في هذا الموضوع - بعد كلمة سابقة نشرتها « الأديب » في عدد ديسمبر ١٩٧٤ - لعل بها يتبدد شك الشاكّين ، ويقتنع المرجحون .

قابل عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣) أبا ماضي لأول مرة في أغسطس (آب) ١٩١٥ ، في أثناء زيارته مدينة سنسنتي ، وبعدها كتب عنه في جريدته « السائح » النيويوركية ، عدد ١٢ / ٨ ، ص ١ ، ما نصه :

« كنت أظن إيليا أبي ماضي كهلاً متشيباً ، ولكنني رأيته على عكس ما ظننت . فإنه شاب مكتهل . هو من العمر لا يتجاوز الخامسة والعشرين ، ولكنه بلغ خبرة الكهول ، وحكمة الشيوخ » . ثم أضاف : « والناظر إليه يراه هادئاً قليل الكلام رصيناً ، ولكن لا تخفى عليه العواصف الروحية التي يثيرها الهيكل الهادي » .

من هذا يثبت لدينا ، بما لا شك فيه ، أن سنة ميلاد أبي ماضي هي ١٨٨٩ ، وليس هناك غيرها . ولزيادة التأكيد ، أثبت فيما يلي ما ذكره الشاعر

المهجري نعمة الحاج - أطال الله عمره - في خطاب له إلى مؤرخ
١ / ٥ / ١٩٧٥ . قال :

« إيليا أعز صديق وأحب عشير ورفيق لي . . . وإني متأكد أنه
من عمري . فلطالما تسداكرنا بذلك . وكلانا ولد سنة ١٨٨٩ ، هو في شهر
أيار (مايو) ، وأنا في شهر آب (أغسطس) ، وكذلك الصديق ميخائيل
نعيمة هو أيضاً من مواليد ١٨٨٩ » .

أما شاعرية أبي ماضي المبكرة ، فيمكننا أن نستدل عليها مما قاله أيضاً
عبد المسيح حداد في المقال السابق نفسه . قال :

« أحرز إيليا شوطاً بعيداً من الشهرة التي بنتها له قصائده الرنانة . فهو
قد خلق ليكون شاعراً ، فالشاعرية ملء فؤاده . وهو من الشعراء الجريئين
النشطين ذوي الحرية التامة . وهذه أوصاف تضعه بين الشعراء النابغين الحقيقيين
الذين ينظمون لوحى أتاهاهم ، ويقولون الشعر عفواً القريحة ، ويخاطبون الأرواح
بلغتها . هو بعيد عن المادة ، لا يتكاف . يتصرف بشعره كما يتصرف الصائغ
المتفنن بوضع الجواهر بأحسن زينة . وهو ليس من أولئك النظاميين الذين
يقرضون الشعر والشعر يقرضهم - لأنهم لم يخلقوا له - لكنهم يستعملون أوزانه
تطلباً للشهرة الكاذبة ، فيجىء شعرهم ركيكاً يظهر به التكلف ظهور الشمطاء
بشعر جارتها .

هذا هو إيليا أبو ماضي الشاعر السوري العربي كما اختبرته ، وكما رأيته ،
وكما عرفته . ولن يجب الإيجاز أقول : إن إيليا شاعر بالطبيعة ، لا بالاكْتساب » .

ملاحظة أخيرة : تاريخ صدور « الجداول » ليس عام ١٩٢٥ ، كما جاء في
« قراءة » عبد الصبور ، وفي بعض مراجع أخرى تناولت أبا ماضي ، وإنما عام
١٩٢٧ .

(١٠) إلى جورج صيدح

عزيزى النابغة جورج صيدح ،

تأخرت « الأديب » العزيزة على قرائها في أمريكا بسبب الأحداث اللبنانية المريعة ، واليوم ، بعد ستة أشهر من تاريخه ، يصلنى عدد سبتمبر ١٩٧٥ ، وفيه ، ص ٥١ ، تعليق لك على مقال « الحزب الوطنى المصرى وأبو ماضى » .

١ - نحن متفقان فى أن مدينة نيويورك كانت مكان نظم « لم أجد أحداً » ، ولكننا مختلفان فى مكان وتاريخ نشرها . فبينما أنت تذكر أن القصيدة نشرت فى « السمير » (و « السمير » كان صدورها فى ١٥ / ٤ / ١٩٢٩) أجدها أنا منشورة بالحرف ، وبدون إمضاء ، فى الصفحة الأولى من « مرآة الغرب » النيويوركية ، عدد ١٩١٧ / ١٢ / ٢٤ ، أى قبل ظهور « السمير » بما يزيد على أحد عشر عاماً . وثمة دليل آخر لا يتطلب الرجوع إلى جريدة « المرأة » هو أن القصيدة لا تظهر فى « الحمائل » (١٩٤٠) ، ولا فى « الجداول » (١٩٢٧) ، بل فى « ديوان إيليا أبو ماضى ، الجزء الثانى » (١٩١٩) ، ص ٣٣ - ٣٦ .

ولا يمكننى التوفيق بين ما ذكرت أنت ، وما هو ثابت لدىّ إلا بقولى إن شاعرنا ربما رأى ملائماً تجديد استعمال قصيدته القديمة فى الحفلة التى ذكرتها ، وكذلك إعادة نشرها فى « السمير » ، فهذا محتمل ، ولكنه لن يغير من التاريخ الأصيل لنظم القصيدة ونشرها .

٢ - عندك أن أبا ماضى سافر رأساً من الإسكندرية إلى أمريكا . ولكن جرجى إبراهيم نصر (فى مقاله ، ١٩٦٩) ومن قبله جبور عبد النور (فى مقاله بـ « الآداب » (بيروت) ، شباط (فبراير) ١٩٥٣ ، ص ٣٨ - وهو مصدر اعتمدت عليه ، ولكن للأسف سهوت عن إدراجه فى قائمة مراجعى) يذكران مرور أبى ماضى بمسقط رأسه ، صيف ١٩١١ ، وبقائه به شهراً ، هاجم أثناءها السلطات قبل هجرته إلى الولايات . وسواء فى ثغر الإسكندرية أو فى

ضبيعة المجيدة لم يكن دور. أبي ماضي السياسي أو الإصلاحى دور قيادة ،
بل كان دور تعصيد وتأيد . وبرغم تواضع الدور ، فقد جنى منه شاعرنا
ثمراً لم يستغنها . ذكر ذلك فى كهولته ، وقال ناصحاً فى « لم يبق غير الكاس » :

واهجر أحاديث السياسة والألى يتعلقون بجبل كل سياسى
إنى نبذت ثمارها مذ ذقتها ووجدت طعم الغدر فى أضراسى
وغسلت منها راحتى ، فغسلتها من سائر الأضرار والأدناس
وتركتها لاثنين : غر ساذج ومشعوذ كذبذب دساس .

وقال معيداً النصيح ، واصفا السياسة فى مرثيته « مجاهد » .

وحذار أشراك السياسة ، إنها بنت أبوها الزئبق الفبرار
فيها من الرقطاء ناقع سمها ولها نيوب الذئب والأظفار
ترد المناهل وهى ماء سائغ وتعود عنها والمناهل نار
الكذب والتمويه بخير صفاتها وشعارها ألا يدوم شعار
لا تطلبن من السياسة رحمة هى حيث طل دم وحل دمار

وظنى أن قصيدة أبى ماضي فى مدح إبراهيم المنذر (راجع « الأديب » ،
ديسمبر ١٩٧٣ ، ص ٥٤ - ٥٥) إنما كانت دفاعاً عن نفسه بعد أن لفق
بعضهم عنه ، وشى به سياسياً عند أستاذه .

٣ - صحيح أن أبا ماضي ، لسبب أو لآخر ، توخى إهمال ونسيان
قصائده الأولى وكذلك أيامها - كما توخى أيضاً إهمال قصائده له نظمها فى
أيام تمام شاعريته . ولكن هذا الإهمال لا يلزمنا ، نحن كدارسين ، أن نسلك
مسلك أبى ماضي حينما تجوهرت مواهبه ، فنهمل ما أهمله ، ونهم فقط بما رضى
عنه . ثم إن الدراسات الأدبية الموضوعية يجب أن تكون متكاملة ، متممة بعضها
البعض ، غير مكررة ، وغير مقتصرة على فترة أو فترات محددة من حياة الأديب
المدرس ، ولا مركزة على نتاجه العزيز عليه ، بل يجب أن تتناول كل ما يمكن
تناوله لاكتشاف جديد يوسع من نطاق فهمنا الحق له ، وبالتالي تقريب فهم غيره
من الأدباء وفهم تطورهم . ومثل هذه الدراسات لا تتحقق إلا إذا توفرت أربعة

أركان : (ا) استكمال النصوص الأدبية بالبحث عن المجهول منها ، وجمعه كله –
 بصرف النظر عن حكمنا الشخصى فى قيمته – وإضافته إلى المعروف (ب) محاولة
 تأريخ هذه النصوص (ح) عمل معاجم للألفاظ ، وفهارس للمواضيع وللأعلام
 الواردة فى هذه النصوص (د) عمل بيبليوغرافيا شاملة تضم الثمين وكذلك الغث
 الذى كُتب عن الأديب .

هذه وجهة نظر فى دراسة الأدباء ، قد لا يرضى عنها البعض ، ولكن فيها
 يشاركنى غير قليل من الدارسين .

أختم داعياً لك ، مخلصاً ، بطول العمر المقرون ببقاء حدة الفكر وثبات
 اليد ، وعسى لا يطول الوقت إلا والطبعة الجديدة من كتابك عن الأدب
 المهجرى بين أيدي القراء . المعجب بك

جورج ديمترى سليم

(١١) تشارلز أغسطس ليندبرج

Charles Augustus Lindbergh

١٩٠٢ - ١٩٧٤

في ٢٦ / ٨ / ١٩٧٤ مات الأمريكي « تشارلز أغسطس ليندبرج » الذي طارت معه قلوب ملايين من الناس عام ١٩٢٧ حين قام برحلته المثيرة عبر المحيط الأطلنطي منفرداً .

كان ليندبرج عامها قد أتم الخامسة والعشرين ، وحيداً لوالدته (توفي والده عام ١٩٢٤) ، طياراً مجهولاً يعمل في « شركة روبرتسون للطائرات » بمدينة سانت لويس بولاية ميزوري . وكان ليندبرج أيضاً طموحاً ، أغرته - كما أغرت غيره - جائزة قدرها ٢٥ ألف دولار أرصدها النيويوركي الفرنسي « ريمون أورتيج » ، منذ عام ١٩١٩ ، لأول شخص يقطع وحده المحيط بين نيويورك وباريس جواً بلا توقف . ولم يكن بالطبع قطع ٣٦١٠ أميال ، (٥٨٠٨ كم) جواً فوق الأطلنطي عملاً مستحيلاً في العشرينيات ، كما ثبت ، ولكنه كان بالتأكيد عملاً جنونياً انتحارياً راح ضحيته بضعة رجال .

وفكر ليندبرج في الأمر ملياً قبل أن يدخل مسابقة أورتيج الجوية ويجازف بحياته ، وراجع مؤهلاته ، فرأى أنه لائق بدنياً ومهنيًا . فجسمه سليم وفي عنقوانه ، وهو طيار ماهر ، وملاح قدير ، وميكانيكي بارع بالمحركات ، وخبير في بناء الطائرات ، ولكنه عاجز عن الاشتراك في المسابقة لأنه فقير ، ادخر من عمله اليومي ألفي دولار لا تكفي لشراء طائرة قيمتها ١٥ ألفاً . فذهب إلى بعض رجال الأعمال الذين كان يعمل بينهم في مدينة سانت لويس ، وتحدث معهم ، فأظهروا روحاً طيبة ، واتفقوا على شراء طائرة له ، كان ادخاره جزءاً من تكاليفها .

ووضع ليندبرج تصميم طائرته ، وذهب به إلى مصانع « رايان » بمدينة

سان دييجو بولاية كاليفورنيا . وهناك بقى شهرين يشرف بنفسه على صنع هذه الطائرة ذات المحرك الواحد . فلما كملت ، أجرى عليها كل الاختبارات اللازمة ليتأكد من تمام أداء تشغيلها ، ثم أطارها إلى الساحل الشرقى للولايات المتحدة ، مجرباً إياها لرحلته الطويلة الخطرة .

وتناهى إلى لندبرج ، وهو فى طريقه إلى نيويورك ، خبر مصرع الرفيقين « شارل نونجيسير » و « فرانسوا كولى » ، وتلاشيتهما فى مياه الأطلنطى ، وهما يحاولان معاً عبوره جواً من باريس إلى نيويورك . ولم يفت هذا الخبر المزعج من عزم لندبرج الصليب ، بل بالعكس شحذ استعداداه ، وجعله يقدم على سفرته كما خططها ، وكله رباطة جأش وثقة بالنفس .

وشاءت « إيفانجيلين » ، أم لندبرج ، أن ترى وحيدها قبل رحيله ، فحضرت بالقطار ، صباح السبت ١٤ / ٥ ، إلى نيويورك . وكان ابنها فى انتظارها على المحطة بسيارته . فأخذها لترى طائرته التى كانت فى حظيرتها ، ثم ذهبا إلى مطعم هادى لتناول وجبة الغداء منفردين ، وبعدها رجعا إلى المحطة لتستقبل هى القطار عائدة إلى تدريس الكيمياء بدترويت ميشيجان ، ويعود هو إلى استعداداته .

ولقد دهش من شاهد أم لندبرج عصر ذلك اليوم ، وهى تودع وحيدها على رصيف المحطة بربطة على ظهره ، وبابتسامة على شفثيها ، ثم بتلويح يدها له من شباك العربى عندما تحرك القطار ، وقد ملكت نفسها وضبطت عواطفها ، وكأن تشارلز كان على وشك القيام بسفرة من تلك السفرات العادية الحافظة التى كان يقوم بها لنقل البريد ، لا بسفرة واضحة المخاطر . ولكن ، جهل من دهش ، أن وراء هذا الهدوء الظاهرى وهذا التمالك بركبانا جياشاً من المشاعر والأحاسيس ، سيطرت عليه نظرة واقعية للحياة ، ترى الأمور على حقيقتها بتعقل وبدون تهويل .

سأل أحدهم إيفانجيلين عن شعورها قبيل سفر ابنها ، فأجابت باقتضاب :
« لولا : أنى أكون حملاً زائداً على طائرته لذهبت معه . لا أستطيع الآن أن -

أقول شيئاً إلا أنى غير خائفة عليه . . . غداً السبت (٥ / ٢١) ، وهو يوم عطلتى ، سيكون إما أسعد أيام حياتى وإما أحزنها .

وركب لندبرج ، فى الصباح ، «روح سانت لويس» من «مطار روزفلت» بـ «لونج أيلاند» بالقرب من مدينة نيويورك ، وأقلع بها فى ظروف جوية غير مستحبة ، ترافقه العناية الإلهية ، ودعاء الوالدة ، وعطف الملايين على شباب غض وجراً نادرة سخر منها شيوخ طيران ذلك الوقت .

وظل لندبرج محلقاً فى الهواء مدة ٣٣ ساعة وثلاث الساعة ، داعبه خلالها النوم مراراً فما نعس ، وتجلد جناحا طائرته وقتاً فما يثس ، وأرعد له الرعد فما بثس ، وأزبد البحر تحته فما عبس . ورويداً رويداً ، بينما كان لندبرج يشق بثبات عنان السماء ، أخذت النلوج تنقطع ، والغيوم تنقشع ، وشرعت ريح خلفية خفيفة تهب دافعة طائرته إلى الأمام ، فبدأت هذه تندفع مسرعة شرقاً إلى باريس . وهناك ، بالقرب من «مدينة النور» ، وفى ظلام الليل ، هبط لندبرج فى «مطار ل بورجيه» ليجد الفرنسيين قد خرجوا لاستقباله استقبال الأبطال ، مطيرين فى الوقت نفسه ، إلى جميع أطراف الأرض ، نبأ أول إنسان فى التاريخ وصل إليهم عابراً المحيط وحده على جناح الريح .

وبهر نجاح لندبرج العالم أجمع ، فتسابت الدول إلى دعوته ، والاحتفاء به ، ومنحه الأوسمة . أما الأفراد فبعثوا إليه ، عدا برقيات التهاني ، ما زاد على ثلاثة ملايين ونصف رسالة إعجاب . ولقد أراد أحد الناشرين فى الولايات المتحدة تخليد هذه المناسبة نظماً فأعلن عن مسابقة شعرية بجوائز مالية ، دخلها فى أقل من شهرين أكثر من أربعة آلاف قصيدة ، طبعت المائة الفائزة منها فى ديوان .

والآن ، بعد هذه المقدمة التى كان لا بد منها ، أحب أن أنقل إلى القارئ ثلاث قصائد عربية منسية ، أوحى بها هذه المناسبة التاريخية إلى ثلاثة شعراء مهجريين شهايين .

أما القصيدة الأولى فهى لأسعد رستم (١٨٧٨ - ١٩٦٩) ، وعنوانها «لندبرج ، عندك عندى» . وهى قصيدة فيها حركة وفيها خفة ، سهلة اللغة ، قافيتها «أنجلوعربية» ، وهى مكونة من ١٤ مربعة كل منها مذيلة بالقرار «عندى عندك ، عندك عندى» ، أسقطناه فى النص التالى للإيجاز .

الطائر مختصرًا « لندی » رجل أسوجي أرلندي
نسر سيطير إلى « الهند » مرفوع الجناح والبند

* * *

أسد بشجاعته اتصفًا فالرعد لديه إذا قصفا
والريح لديه إذا عصفًا من لحن كمنجاة « كركند »^(١)

* * *

بطل بآلة قد فاز لم « يحرق دينا » بل كازا^(٢)
لم يسكر ، لم يأكل « مازا » ماجن على غصن الرند^(٣)

* * *

بالأمس تجشم أخطارا وإلى « باري » رأسًا طارا^(٤)
فقضى للأمة أوطارا يقضيها القائد والجندي

* * *

قطع « الأتلتيكى » فردا والجوع تحمل والبردا
والطقس ردىء كم أردى من إنسان أو « راشند »

* * *

لافته « فرنسا » فى الحلك بضجيج يدوى فى الفلك
و « لندن » كان مع الملك يتناول من « بكس الكندى »^(٥)

* * *

وإلى « نيويورك » لقد قفلا وبشوب الشهرة قد رفلا
والشعب بعودته احتفلا من يوم السبت إلى « مندى »^(٦)

* * *

هذا رجل نفع الناس أشكالا منهم أجناسا
كن عتالا ، كن كناسا كن « موسولينى » ، كن « غندى »^(٧)

* * *

رجل فى الخمس وعشرينا عمرًا ، إن جاوزتشرينا
« ماري » عشقته و « كترينا » فله وجهه حلو « دندى »^(٨)

* * *

قد كان فقيراً مسكيناً مع ذلك يرفض مليوناً
ما كان لشخص مديوناً لا يستعطي ، لا يستندى

* * *

غلب الدنيا بشجاعته وتفننه وببراعته
فدقائقنا من ساعته ما قول « أبى ياغى فندى » ؟

* * *

ما قول كسالى الأوطان ؟ أغنى شركاء الشيطان
ما قول رعاع . . . ؟ من حرفتهم ضرب الزند

* * *

لبنى « سوريا » أغمداد فقر ، جهل ، واستبداد
لكن فى البعض استعداد ليطير على جناح « الوند »^(٩)

* * *

يكفيكم شبان اليوم كسلاً وغطيطاً فى النوم
قوموا للشغل وللصوم هذا من وعظ « بلى صندى »^(١٠)

أما القصيدة الثانية ، فهى لمسعود سماحة (١٨٨٢ - ١٩٤٥) ، ومطلعها :
مجد تنوء بعثه الأيام وتفوق تعنوله الأعوم
وقد جاء فيها :

أكرم بـ « لندى » قسوراً متفرداً يحثفه الإجلال والإعظام
فى نفسه عزم ، وبين ضلوعه قلب كبير ملؤه الإقدام
لم يعرف التاريخ فرداً قبله مادت له التيجان وهو غلام
ما إن بنى قلمى بوصف مغامر فى وصفه تتحطم الأقلام
عبّر المحيط على الهواء ، وخلفه موت يود به اللحاق زؤام
عبر المحيط على الهواء ، ودليله فى الليل موج زانحر وغمام
أننى يقلب طرفه يظهر لـه غيم تألب حوله . وقتام
ضاق الفضأ بالخلق يوم وصوله وتعالى الأصوات والأعلام
تهوى الرؤوس على الرؤوس وتتقى الـ أقدام حين وقوعها الأقدام

يمشى فتبعه الألف كأنه
 فى شكله ولد ، وفى أقواله
 «لندى» ، على أم رضعت حليبها
 قد أوجدك فأوجدك بك شعلة
 أكرم يجزع فرعه كأصوله
 حل لك المجد الذى أحرزته
 ملك الهواء لك الهواء مطية
 أحرزت مجداً ليس يخلق ثوبه
 وحلمت بالمجد الرفيع مغامراً
 راع لهم ، وكأنهم أنعام
 رجل ، وفى أفعاله ضرغام
 وعلى أب تحت التراب سلام
 وضاعة ، كالبدر وهو تمام
 إن الكرام بنوهم لكرام
 مستبلا ، وعلى سواك حرام
 ولها البخار شكيمة وزمام
 ما كرت الساعات والأيام
 فهوى عليك ، وصحت الأحلام

وأما القصيدة الثالثة وعنوانها « وثبة خيال ، كيف ودع البطل المجنح أمه » ،
 فن نظم إيليا ظاهر أبى ماضى . وهى كما سبرى القارئ ، شطحة من
 شطحات الخيال ، تصور فيها الشاعر ما قاله الطيار اندبرج لأمه بعدما
 أراها طائرته ، يوم حضرت إلى نيويورك لتوديعه . والحق أن هذه القصيدة
 التى تذكرنا كثيراً ببعض مقاطع « الطلاس » ، إنما هى ، كما أظن ، ترجمة
 لقصيدة بالإنجليزية نظمها الطبيب والأديب النيويوركى فؤاد ميخائيل العقل .
 ولا أعلم إن كان هذا الطبيب الشاعر قد اشترك بقصيدته هذه فى المسابقة
 التى أشرت إليها أعلاه ، ولكننى أعلم أنه ضمنها مجموعة شعرية من نظمه
 طبع منها مائتى نسخة ، لم أوفق بعد إلى العثور على واحدة منها لمضاهاة نص
 القصيدة الإنجليزية بترجمتها العربية . أما ما عثرت عليه من هذه القصيدة حتى
 الآن فهو الرباعية الأولى ، وهى :

My plane is set and waiting there
 To do its part, to mount the air
 And flout the winds to earn its share
 Of honor; let me go, Mother !

ولعل الطبيب الشاعر أهدى نسخة من مجموعته الشعرية إلى أبى ماضى
 ابن بلدته ، كما أهدى نسخاً منها إلى غيره ، فقرأ هذا المجموعة ، وراقته منها
 رباعيات الطبيب فى اندبرج لمضمونها ولشكلها ، فدفعه هذا الروق إلى

نقلها نقلاً بديعاً في المقاطع الحماسية التالية :

أمي ! . . انظري طيارتي كالنسر قد بسط الجناح
كي تمتطي متن الفضاء وتصول فيه على الرياح
المجد مطلبها ، كذلك مطلبى المجد الصراح
إني سأمضي عن حماك ، فلا تقولي — لا براح...
أماه ! . . إني ذاهب ، فألى اللقاء .. إلى اللقاء

* * *

إن المحرك تائق مثلي إلى السر المخبأ
الدورة الأولى . . . ويمضي يقطع الآفاق قطعاً
ويشق لي بين الكواكب في الفضاء الرحب درياً
هو بالعلى صَبٌّ ، ولست بغيرها يا أم صبا
أماه ! . . إني ذاهب ، فألى اللقاء .. إلى اللقاء

* * *

حان المسير عن الحمى ، أماه ما لك واجمة ؟
أفتجزعين من الكوارث ، والكوارث نائمة ؟
المجد يدعوني إليه ، وقد لحت علامته
في الشاطئ الثاني . . . فقومي ودعيني باسمه
إني تزودت الرجاء ، وحبذا منك الدعاء

* * *

تبيكين ؟ ما سبب البكاء ، وأي خير في الدموع ؟
صوني لآلي مقلتيك ، فلست أرضى أن تبضيع
لا تتركى الإيمان تسحقه المخاوف في الضلوع
واصغى إلى صوت الرجاء يقول في غد الرجوع
أمي ! .. اللقاء غداً .. إذن فألى اللقاء .. إلى اللقاء

* * *

أما إذا خاب الرجاء ، وخانني ذاك المضاء .

وجميع أحلامي تلاشت واضمحلت كالهباء
وأراد بصرعني القضاء ، ونال مني ما يشاء
فهويت من أوج السماء إلى الحضيض .. إلى العفاء
لا تعولي كالنادبات ، فلن يردني البكاء

* * *

أنا إن هلك ، فليت شعري أي شيء سوف أخسر ؟
ما في الوجود لذادة إلا وفيها البؤس أكبر
إني وجدت العيش أضغاثاً بأضغاث تُفسَّر
والموت آخرة الفتي ، ولو أنه كالنسر عَمَّـر
وَكَمَنَ تَقَدَّمَ مَنْ تَأَخَّرَ ، والبقاء كلا بقاء !

* * *

فإلامَ أخدع بالمني نفسي ، وأصدقها جهام ؟
وأعيش أكدح كالبيهمة للحصول على الطعام ؟
وأعود أكل كي أعيش ، ومتهى العيش الحمام ؟
هذي الرواية لا بدايتها تطاق ولا الختام
إن لم تكن قتلى الصباح ، فنحن من صرعى المساء

* * *

مثل اللوالب في المحرك لا تنى تتذبذب
أمي ! . . أنحن الناس أم تلك اللوالب أعجب ؟
تبغى النجاة لنفسها منه ، وأين المهرب ؟
تمتص منه غازه ، كيما تدور وتشرب
وتدور كي تمتصه ، فالمتهى كالأبتداء

* * *

إنّا نواصل سيرنا دون اعتراض أو سـؤال
ونظل منطلقين نركض خلف أخيلة المُحَال
حتى ونحن نرى المصير إلى همود وانحلال

ونشاهد القدر الغشوم يسوقنا نحو الوصال
كالريح تدفعنا كما شاءت ، وليس كما نشاء

* * *

أبكون، يا أمي ، المصير كذا ، وأرضي أن يكون ؟
وأبيت أجنح للسكون ولا نجاة مع السكون
والهاربون من الحمام إليه منه يهربون ؟
لو كانت الديدان ، يا أماه ، تحتقر المنون
لرأيتها مثل النور تجول في عرض الفضاء

* * *

أمي ! . . اخبريني أين بي ترسو السفينة في غد ؟
أتؤمن ميناء الرموس الصامتات الهُمد ؟
خير إذن يا أم لي ، ما دام أمرى في يدي ،
أن يحطم الأنواء فلكي في الخضم المزبد
وتغيب قبل وصولها ، وأغيب في نور ومساء

* * *

فلعل طائفة من الأسماك تأكلني وتسمن
ويصيدها مسترزق طاوى الحشى ضاوي فيسمن
أو تشتريها غداة منه وتأكلها وتسمن
فيظل دولاب الحياة يدور ، يا أمي ، ويطحن
هذا أحب إليّ ، يا أمي ، وأكفّل للنماء

* * *

وكذا أوفر ذلك الجزء الذي يدعى الضريح
لسواي . . يا أمي ، لعل سواي فيه يستريح
لتكن لغيري الأرض خالصة ، ولي البحر الفسيح
لا دود فيه كاللحود ، وليس تفسد فيه ريح
فأنام في كفن من الأمواج أو كفن الضياء

* * *

ليكن هنالك مآتمى ، إن لم يكن بين الغيوم
 فترتل الأمواج من حولي ، وتستمع النجوم
 ويكون دَفَنَانِي إله البحر « نِبْتُون » العظيم
 وكذاك أنجو من صلاة القس والوعظ السقيم
 وأصون من دمع الأسى مقل العذارى والنساء

* * *

أى ! . . وداعاً حان أن أمضى وأجتاز التخوم
 فالبحر منتظر يسائل في الدجى غنى النجوم
 إن لم يصفق في غدٍ ، ويهنيئ النسر العظيم
 فلسوف يحنو موجه منى على بطل كريم
 أى . . وداعاً والسلام !

الحواشي

- (١) كركند : هو الموسيقار المهجري نعيم كركند ، نائب رئيس « نادى الموسيقى العربية » الذى تأسس فى مدينة نيويورك عام ١٩٣٣ .
- (٢) كاز : وقود الطائرة .
- (٣) مازا : كلمة عامية فصيحها « مزة » (بتشديد حرف الزاى) ، وهى ما يؤكل على الشراب من نقل وكامخ ونحوهما .
- (٤) بارى : العاصمة باريس .
- (٥) بكس الكندى : كلمتان إنجليزيتان معناهما « صندوق الحلوى » .
- (٦) مندى : كلمة إنجليزية معناها « يوم الاثنين » .
- (٧) موسولينى : رئيس وزراء إيطاليا الفاشستى ، حكم ما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٣ .
- غندى : هو المجاهد الهندى الذى دعا إلى المقاومة السلمية ، قتل ١٩٤٨ .
- (٨) دندى : كلمة إنجليزية معناها « متأنق » .
- (٩) وند : كلمة إنجليزية معناها « الريح » .
- (١٠) بلى صندى : هو « وليم أشلى صاندى » ، مبشر إنجيلى أمريكى اشتهر بعظاته ، توفى ١٩٣٥ .

(١٢) الهجاء في أدب المهجر

تناول الدارسون لأدب المهجر في دراساتهم خصائص هذا الأدب العربي الحديث ، كما تناولوا فنونه وأغراضه ، وأغفلوا ، وربما كان لهم العذر في ذلك ، فناً مهماً ، في هذا الأدب هو فن الهجاء . ولعل مرجع هذا الإغفال هو اعتماد هؤلاء الدارسين على النتاج المعروف المتداول من أدب المهجر ، وفي مقدمته الدواوين الشعرية ، هذا النتاج الذي اقتصر على ما أراد أدباء المهجر له البقاء والانتشار من نتاجهم دون غيره . وكان من أثر ذلك أن امحى كل أثر لفن الهجاء في أدب المهجر ، وكأنه لم يكن ، وإن بقي منه شيء في النتاج المعروف المتداول لهذا الأدب ، ففي صورة لا تمت إلى الهجاء بصلة ، ولا تم عليه .

نقرأ مثلاً للشاعر المهجري إيليا ظاهر أبي ماضي في « الجداول » قطعة عنوانها « العير المتنكر » ، يقول فيها :

زعم المؤدب أن عيراً ساءه	ألا يسار به إلى الميهدان
فمضى فقصرت القواطع ذيله	وسطت مواضيه على الآذان
حتى إذا جاء المروض واعتلى	متنيه راب الفارس الكشحان
لكنه ما زال غير مصدق	حتى علا صوت كصوت الجحان
فاستل صارمه فطاح برأسه	ورمى بجثته إلى الغربان
مادام يصحب كل حي صوته	هيهات يخفى العير جلد حصان

نقرأ هذه الأبيات ، ثم نتمعن فيها ، فنراها أبياتاً في الحكمة ، ساقها لنا الشاعر في صورة مثل ، وإن جهلنا المناسبة التي أوحى إليه بها . ونراها كذلك ، على ما يظهر لنا ، أبياتاً هادئة لم تصدر عن سخط وغضب ، ولا تهدف إلى التعبير أو إلى الجرح والإيلام . أما تاريخ نظمها ، وإن عجزنا عن تحديده بالضبط ، فتقريبه ممكن . فهو لابد أن يكون الفترة الأمريكية

الثانية للشاعر ، أي ما بين ١٩١٩ (تاريخ نشر « ديوان إيليا أبو ماضي » ،
الجزء الثاني) و ١٩٢٧ (تاريخ نشر « الجداول ») .

هذا ما نستشفه من هذه القطعة بسهولة ويسر ، في حين أن الحقيقة
التي لا يمكن أن تخطر على بالنا غير هذا . فها هذه الأبيات إلا أبياتاً ستة
اقتطعها أبو ماضي من قصيدة طولها ٥٢ بيتاً ، عنوانها غير عنوانها في « الجداول » ،
نظمها في فترته الأمريكية الأولى ، أي ما بين ١٩١١ و ١٩١٩ ، وكانت خاتمة
قصائده في مناظرة هجائية . وإليك القصيدة :

يا نوح

أين دلائل الطوفان ؟

أهل الفساد وزمرة الشيطان	كم تدعون محبة الأوطان
خلوا النواح على الربوع وأهلها	ما ثم من خطر على « لبنان »
أني يضيع ، وأهله أسد الشرى	وله من الدولات خير ضمان
وإذا الضراغم لم تصن أجملاتها	أيصونها فسّل من الجوعلان ؟
أما « البقاع » فلا يُردُّ بالسن	ثروة ، بل بالنجيع القاني
ردوا على الشعب المهاجر ماله	لا تبدلوه حقائقا بأمانى
فالقوم حاجتهم إلى أموالهم	مثل احتياجهم إلى العرفان
تعس الذي رضى الأمانى ثروة	إن الأمانى ثروة الكسلان

* * *

قلم : نذود الضيم عن إخواننا	إخوانكم في غبطة وأمان
يحميهم علم النجوم ولم يزل	علم الكواكب مكرم الضيفان
هم بين أهليه وفي أكتافهم	وكانهم في الأهل والإخوان
وزعمتم بالنازحين غرامكم	وغرامكم بالأصفر الرنسان
لو صح زعمكم وكنتم قهوة	لوقيتهم سطة « العبدان »
جاروا عليهم ، لم يبالوا زاجراً	جور القوى على الضعيف العاني

لهي عليهم كيف روع سربهم
ولقد أتتكم صرخة استنجدكم
باتوا يسامون العذاب وبتم
نتم فخلتم كل طرف نائماً
رفع الستار ، وبان كل مكم
لا غرو إما سبى سفهاؤكم
ذم الحنفايش الضياء لأنه
ومن العجائب أنها تقي السنى
خلق الورى ، ولكل نفس غاية
أنى نجاتك يا عصفير الورى

وتبدلوا من عزهم بهوان
فكأنها مرت على حيطان
تدعون بالإعزاز للسلطان
ما أجهل الوسنان باليقظان
أثقاتلون الحق بالبهتان ؟
إن الجريح يسب كل سنان
يعتاق أقواها عن الطيران
وتظل حائمة على النيران
وخلقم للهذر والهديان
ولقد أتاك كاسر العقبان

* * *

قل للذى ملأ اليباب سفائنا :
من ذا يسير بها إلى غاياتها ؟
الآن أيقنت البرية أنها
لا تعذل الصبيان فى سخر ، فقد
يضع المسلم كفه فى كفه
والله لولا أنه فى مثله
أوما تراه جاملاً كشكوله
خبلة شاردة القوافى فانشنى
متخبط والشمس فى كبد السما
أمسى يسمى النائبات قصائد
فاذا تطيف به اقشعر فسواده
ويظنها فى أكله وشرايه
ياقوم ، أخشى أن يضيع رسولكم
إن كان فى أكبادكم من رحمة

يانوح ، أين دلائل الطوفان ؟
بل كيف تحميها من القرصان ؟
— وإن ارتقت — فرع من السعدان
تحوى الكهول سخافة الصبيان
وتظل عيناه على الهميان
ما كان إلا سائق الأظمان
متنبلاً من موضع لمكان
للذعر يمشى مشية السرطان
فكأنه فى حالك الأدجبان
وفى القصائد طارق الحدثبان
خوف الصغير طوائف الغيلان
وتخالها الأجفان فى الأنجفان
من « عنزة » قد ضاع قبل اثنان
فتداركوه بالرسول الثانى

* * *

ما بال مصفوع المفارق والقفا
لا تحسدا ، يا أخدعيه ، قداله
بل ما لمقلوب اسمه يخفى اسمه
إن التحجب لو يكون فضيلة
وإذا هتكت الستر عن متكم
زعم المؤدب أن عيراً ساءه
فمنضى فقصرت القواطع ذيله
حتى إذا جلاء المروض واعتلى
لكنه مازال غير مصدق
فاستل صارمه فطاح برأسه
مادام يصحب كل حي صوته
إن تستر هيهات تستر مفرقا
يأيها الغر الذي من أجله
ما أنت بالغ ما وطأت بأخمصى
حتى تنال الفرقدين يبدان

ونحن لا نعلم الأسباب الحقيقية أو الدوافع النفسية التي دفعت الأدباء
المهجريين ، وأبا ماضى منهم ، إلى إهمال مثل هذه الأهاجي التي قدحوا قرائحهم
في تأليفها أو في نظمها ، وإلى إسقاطها من حسابهم .

لعلهم فعلوا ذلك ظناً منهم أنها ليست من الأدب الإنساني العالمي الذي
يراد له البقاء ، بل من الأدب الوقتي العابر المحدود الذي لا يحمل رسالة ،
ولهذا يجب أن تزول بزوال الزمن التي كتبت فيه ، وبزوال الأسباب التي
دعت إليها .

أو لعلهم تعمدوا إسقاطها — برغم ما في بعضها من إبداع وطرافة — لأنها
تحتاج إلى مقدمات وإيضاحات ، بدونها لا يستقيم تفهمها ويساء الحكم عليها ،
وهذه المقدمات والإيضاحات ، مهما كان نفعها ، لن تؤدي في النهاية إلا
إلى فتح جروح اندملت ، وإشعال نيران خمدت ، وتجديد معارك هدأت .

بل لعلهم تبينوا ، مع مضي الوقت ، أن هجاءهم كان أكثره نتيجة التسرع
وسورات الغضب ، والإنسان في تسرعه كثيراً ما يزل ، وفي غضبه أبشع ما يكون ،

فرجعوا عما قالوه ، وندموا على ما كتبوه ، وأرادوا لأهائجهم أن تبقى مجهولة حتى لا تلتطخ الصورة الحميلة التي احتفظ لهم بها المعجبون بهم ، إذ قد يكون في تلطيخ هذه الصورة ما يفقد فلسفتهم قيمتها .

أو لعلمهم صفحوا وعفوا حقاً عما جرى ، فتغاضوا عن هذا التناج ، وأسدلوا ستار النسيان عليه .

على أن إهمال الأدباء المهجريين أنفسهم لتناجهم الهجائي ، وتغاضيهم عنه ، وتناسيهم إياه ، مهما كانت أسبابه ودواعيه ، لا يدعونا نحن بالتالي إلى إهمال هذا التناج أيضاً ، بل يجب أن نجعله ، لأسباب تاريخية وأدبية ولغوية ، قبل أن يضيع ويندثر ويصير إلى ما صارت إليه الكثير من النصوص ، مما سبب تعثراً في دراساتنا . ثم لا يجب أن يرجعنا هذا التغاضي للأدباء المهجريين ، عن دراسة الهجاء عندهم . فكما درسنا الحنين والوطنية في أدبهم ، وكما درسنا الطبيعة والحب والحيرة والتساؤل ، وكما درسنا التأمل والتصوف والتفجع وغيرها من الموضوعات ، أن لنا أن ندرس فن الهجاء في أدبهم . إذ بدونها لا تكمل دراسة الأدب المهجري ، وتظل الصورة التي رسمتها لنا هذه الدراسة ، للفرد المهجري ومجتمعه ، صورة مشوهة بعيدة عن الحقيقة . فنحن نرى — كما رأى محمد محمد حسين من قبل ، في كتابه « الهجاء والهجاءون في الجاهلية » — أن « فن الهجاء من أكثر فنون الشعر اتصالاً بالحياة وبالواقع » . ثم إن الهجاء — كما ذكر سامي الدهان أيضاً في كتابه « الهجاء » — « سوق رائجة منذ القديم ، وفن مطروق منذ فجر الأدب الغربي ، لا بد من البحث فيه ، ودراسته على أنواعه وأقسامه . . . إن الهجاء فن من فنون الأدب الرفيعة في الأدب العربي ، قد يعين على تصور الحياة عند الأفراد وفي المجتمع ، وقد يساعد على تأريخ الحياة العربية حين يصدق الشاعر . . . وهو على ذلك يحوى ألواحاً من الصور تضاف إلى الآداب الإنسانية في القديم والحديث ، فتغني متحف الهجاء في الأدب العالمي ، وتكسبه روعة لا تقل عن روعة الآداب الأخرى ، إن لم تزد عليها وتبرزها وتسبقها إلى ميادين النبوغ والعبقرية والإلهام » .

فإذا أضفنا إلى هذين القولين قول جورج صيدح : « بأن كل ظاهرة في أدب

المهجر تتوافر أنت على تحليلها وتعليلها تغنم منها درساً عن الجانب الخفى من أوضاع الأدباء ، وتكسب خبرة تعينك على التأليف عن نفسياتهم ، وعقليتهم ، ونزعاتهم ، وخصوماتهم ، لا عن أدبهم وفتوحاتهم فحسب . إن لهم مبادئ كما لهم مطارف ، وأدبهم حلية ذهبية بهرتنا بالألأئها ، فعمينا عما فى جانبها الخافى من القصدير والتنك . والآن بعد أن تواترت الدراسات عن وجه الحلية المتألق ، أصبح من الجديد المفيد دراسة ظهرها الصدى . إذا أضفنا هذا ، تبين لنا أهمية دراسة الهجاء فى أدب المهجر .

فسترينا هذه الدراسة نشأة هذا الفن ومسوغاته فى المهجر ، وسترينا الأزمات التى كانت تعصف بالمجتمع العربى الصغير فى غربته ، كما أنها سترينا الصراع والتطاحن المستمر الحاد الذى بقى يعيش فيه المهجريون ما بقيت لهم تكتلات على اختلاف أشكالها وأغراضها ، وما بقى هناك كتاب وشعراء يدافعون عن هذه التكتلات على صفحات الجرائد المهاجرة المختلفة . هذا من الناحية التاريخية .

أما من الناحية الأدبية ، فسترينا دراسة الهجاء فى أدب المهجر مثلاً ، مدى المقدرة الشعرية التى كانت لبعض الشعراء المهاجرين . فقد أجاد بعضهم فى فن الهجاء إجادته فى الفنون الأدبية الأخرى ، وإن جهلنا نحن حتى الآن هذا الأمر ، الذى كان له صدهاء بين معاصريهم .

طالع « معجب » قصيدة من قصائد أبى ماضى فى الهجاء — هى أبلغ وأقوى ما نظمها هذا الشاعر فى هذا الفن — فكتب : « على أنى أقدر أن أقول إن القصيدة التى ظهرت فى « المرأة » منذ عهد قريب بلا توقيع ، سيكون حظها من الخلود كبيراً لما فيها من السلاسة والركة وأداء المعنى المبتكر بلا تكاف ولا تعسف ، مما يشهد لناظمها بالمقدرة على التصرف بالمعانى والألفاظ كما يشاء .

إن تلك القصيدة ستخلد ، وإن كان صاحبها على ما يظهر من تكتمه لا يود لها الخلود . فإن بقاء القصيدة أو زوالها لا يتوقف على رغبة ناظمها ولا على رغبة سواه . ففيها من الأبيات ما يصح أن يستشهد به الناس فى كل زمان ومكان . . .

وقد كنت من قبل شديد الإعجاب ببيت المتنبى المشهور :
لا يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفى يده من ننتها عـود

ولكنى اليوم أشد إعجاباً بهذين البيتين الجامعين فى وصف نفس الذى كنى
الشاعر عنه ، «الأخطبوط» :

وإن تكن نفسه فى الجسم باقية فإنما خبئها فى الجسم أبقيها
فإن «عزريل» يخشى أن تدنسه والأرض إن أصبحت فى الأرض مثواها

وهكذا كلما دقق المطالع النظر فى هذه القصيدة البليغة ، يجد أن كل بيت
من أبياتها يصلح للتمثيل به فى حالة من الحالات العامة ، أو موقف من مواقف
الحياة اليومية

ربما كان اللذان قيلت فيهما هذه القصيدة يتمنيان لو بقيت سرّاً مكتوماً فى
صدر الزمان ، وربما كان ناظمها يتمنى لو لم يكن ذاك الشخصان فى الوجود لكى
لا تكون له هذه القصيدة ، ولكن أنا والذين يقدرون الشعر الجيد قدره
نعتقد أنها «من حيث الفن» طريقة لا يسمح الدهر بمثلها إلا نادراً . وأخشى إذا بقى
ناظمها مجهولاً أن يدعيها سبعمئة شاعر لا سبعون فقط .

أما من الناحية اللغوية ، فلا شك أن جمع النتاج الهجائى ، كأثر أدبى ،
يساعد على توسيع مادة القاموس اللغوى للأدب العربى فى المهجر ، لمن يريد
حضر مفرداته ، والتعرف على معانيها المختلفة ، وكذلك على تتبع تطور استعمال
الألفاظ فى العربية عامة .

بقى «بعد ما تقدم» أن آمل أن أكون قد وضحت توضيحاً كافياً أن هناك
مسألة غير مطروقة فى دراسة الأدب المهجرى أولى بأن تطرق من التكرار المعهود
فى دراستنا .

(١٣) الكلاب في أدب المهجر

(١)

تابعت بإعجاب طرائفكم عن « الأدب والكلاب » ابتداء بعدد أبريل الماضي ،
حتى جاء الحديث عن « الكلاب في شعر المهجر » في عدد أغسطس . وهنا
أحب أن أصحح خطأين وردا في « رواية جورج صيدح » المنشورة ص ٥٤ :
١ - إن الأبيات السبعة الأولى المذكورة ليست لإيليا أبي ماضي ، كما جاء في
« الأديب » ، وكما جاء أيضاً في كتاب صيدح « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية »
(ط ٣ ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٤) ، وإنما هي لنسيب عريضة (١٨٨٧ - ١٩٤٦) ،
من قصيدة هذا نصها :

خلياني بلوعتي وانتحبابي	ياخليلي ، فقد فقدت صوابي
ما أرا أسلو « في » وهواها	فدعاني ، ولا تطيلا عذابي
عضها الدهر بعدنا عضت النا	س ، وقامت بحق حفظ الحجاب
كم فقير أتى ليشحد قوتنا	حرمة « في » الوقوف بيبابي
وغريم قد جاء يطلب مالا	تسركته معفراً في التراب
وشقى أتى لينسرق شيبها	غادرت ممزق الأثواب
رحمة اللحم والعظام عليها	وصلاة الضحون والأكواب
فارقتها وطالمها لحستها	وكستها غلالة من لعناب
غفر الله ذنبها كم توارت	لللقاء العشاق بعد الغياب
وأنت الصباح تهتز غنجباً	غضبة القيد والصبا والإهاب
في زوايا العينين منها بريق	غامض مثل شعلة في الضباب
ثم لما رأت تجهم وجهي	ودرت تحته كلام العتاب
أقبلت تلحس اليدين وترجبو	رحمة أو هودة في العتاب
غفر الله ذنبها ووقاها	حر نار الجحيم ذات العذاب

فهى خير من الأنعام وأوفى
لم تكن تخلف اليمين لمين
لم تصانع ، ولم تخادع صديقاً
لم تخامر فى الود يوماً لتخفى
ما سعت لاكتساب مال وجاه
ولو ان الإله كان يجازى
لحياتها النعيم تختال فيه
تأكل البقسماط يغمس بالشه
من «سعاد» و«زينب» و«الرباب»
أو تعالج نعمة لاغتيال
أو تقابل ذا منة بالباب
بجميل الكلام طبع الذئاب
بخداع وسرقة واغتصاب
مثل نسل الأنعام نسل الدواب
بين حور وولدة أتراب
د ، وتعطى ما تشتهى من كباب

* * *

«صاح هذى قبورنا تملأ الرح
أو ليس الكلاب أكثر ودّاً
أو ما للكلاب حرمة موت ؟
يا «فنى» ، قد حرمت قبراً ولكن ،
وثرى الناس ليس أفضل جنساً
فسقتك الدموع منى ، وروى
ب» ، فأين اختفت قبور الكلاب ؟
ووفاء من شبيبنا والشباب ؟
أو ما للكلاب حق الصحاب ؟
ستعودين مثلنا للتراب
من تراب الكلاب عند السحاب
لك عيون السحاب بالتسكاب

٢ - إن الأبيات الستة الثانية ليست لأبى ماضى أيضاً ، كما جاء ، وإنما هى لفيليب
كاتسفليس ، شقيق ولیم ، الذى كان له صديقة اسمها «فنى» ، وذلك حسب
ما جاء فى كتاب صيدح السابق ، وكما هو واضح من نص البيتين الأخيرين .

أما أبو ماضى نفسه ، فقد رثا فعلا الكلبة «فنى» بموشح فى منتهى الطلاوة ،
ظهر فى «السمير» ، وهو ممد بالمقدمة الآتية :

«كان لصديقنا «ولیم كاتسفليس» كلبة اسمها «فنى» ، رباها فأحسن تربيتها ،
فترعرعت تحت سماء «هوليس» بـ «لونج أيلاند» بولاية نيويورك» ، ذكية
وفية ، لا تنبح غير اللص الطارق ، فكأنها تشم ضمير السارق .

كانت تشيع صاحبها عند خروجه من المنزل إلى الباب ، وتستقبله إلى نصف
الطريق عند الإياب ، فتشمه حتى تكاد تضمه ، وربما تمرغت بالتراب عند
قدميه ، من فرط الحنين إليه .

هذه المخلوقة الأمانة، التي ألقت المنزل حتى صارت لانفارقة، وعرفت فضل صاحبها فلم تخرج عن طاعته لحظة، أصابها داء عياء، لم ينجح فيه دواء، أقعدها عن الهراش، فماتت على الفراش، فجعل الخطيب بها في مملكة ذوات الأربع. ولما طار النعي، شعر الأصدقاء أن عليهم واجباً نحو «وليم»، فنظموا هذا الموشح المعلم. وإن الصديق ليعطف على الصديق إذا اختطف سارق برده، أو أطارت الريح قبعته، فكيف إذا اختطف الموت كلبته — وكانت مثل «ففي» في الجمال اليوسفي.

ماتت «ففي» أم البنين فل «وليم» طول البقاء
قل للكواكب تسبتكين فلقد مضى معها العواء

• • •

ذهبت وفيها للغرا م بقية والعمر، غص
وطوى الثرى ذاك القوا م عن النواظر وهو بض
ما عضها صرف الحما م، لو أنه شيء بعض
هيئات ما اللمع السخين ليني «ففي» حق البكاء
ساد الأسى في العباشقين وأمض «وليم» ذا اللواء

• • •

قد كان يسم كـلـمـا ذكروا «ففي» وجمالها
واليوم يبكى عندمـا إذ يذكرون خصالها
ويكاد أن يستسلمـا إذ يجتلى أنجالها
يا أيها الباكي الحزين ماذا استفدت من البكاء؟
انظر إلى جيش البنين وتعرّ عن أم الجـراء

• • •

نخشى إذا طال الأسى من روعة الموت الخؤون
ألا يطيف بك المسـا إلا وأنت إلى الجنـون
فاصبر على الهلوى عسى ما نتقيه لا يكون
يا صاحب القلب العجين الحزن نار لا ضياء

بالنفس إن تك تستهين لا تستهين بالأصدقاء

* * *

يجرائها ، بسرقاتها
أوصتك قبل وفاتها
أن تعنى بيناتها
وينجلها البكر السمين
أربطه بالحبل المتين
يا صاح ، فاعمل بالوصيه
وتصونهن من الخطيه
ألا يعاشر أدياء
واطعمه لحمًا لا حساء

* * *

وعلى الصغار القصر
فأرفق بهم وتبصر
أجتنبهم أو طهر
سران إن السر « سين »
أنا من وجوه العابسين
بعدي أقمك موضعي
واعطف كعطف الموضع
بالماء أو بالمبضع
موصولة أبدا بـ « راء »
ومن الألى عيسوا برأء

* * *

الدهر يمتحن الفتى
فيخونسه متعنتا
فاهزأ بدهرك إن عتا
ولأنت ذو خلق مكين
كن قدوة للبائسين
ليرى رجاحة لبه
في هره أو كلبه
كيما تفوز بغلبه
راس كطود في الفضاء
الناقمين على القضاء

* * *

قد ماد « رضوى » واضطرب
فالحن في أرض « العرب »
والدمع يهطل كالقرب
والكون أجمع كالطعين
والأسد تزار في العرين
جزعًا على ذات المخالب
والنوح في أرض المغارب
من أعين الشهب الثواقب
في الحرب — يشخط بالدماء
مجروحنة في الكبرياء

* * *

اليوم إن جن الدجى لاتسمع الآذان « عو »
 ونبت مصابيح الرجا فلا يفيدك قول لـ
 لا صوت يهدى المذبحا ليلا ولا في الحى ضو
 يا صاح ، لا تك كالدّين قنطوا فليس لهم رجاء
 كن واثقا كالمتؤمنين بعد المنيّة باللقاء

(٢)

حظيت النعال مؤخراً باهتمام شديد ، حتى بلغ ما نشرته « الأديب » الغراء
 « من أدب النعال » ، منذ سبتمبر ١٩٦٩ حتى الآن - حسب إحصاء محمود
 الحسنية - ٣٦ مقالا ، يضاف إليها مقالة (راجع « الأديب » ، مايو ١٩٧٤ ،
 ص ٣٨) .

أما الكلاب ، هذه الحيوانات العجماء ، فلم تحظ بعد بمثل هذا الاهتمام منذ
 شرع كتاب « الأديب » في ولوج هذا الباب .
 واليوم أعود ، تاركاً جانباً « باب النعال » ، طابقاً ثانية « باب الكلاب »
 (راجع « الأديب » ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ٥٠ ، ومارس ١٩٧٢ ، ص ٥٩) ،
 آملاً أن تفتح مجلتنا هذا الباب من جديد ، بعد أن اضطرت إلى إقفاله « إلا
 - كما وعدت في عدد أغسطس ١٩٧١ ، ص ٥٤ - إذا كان الموضوع مجهولاً ،
 ومن الأدب المعاصر » .

والقصائد الأربع التالية التي أنقلها اليوم إلى قراء المجلة الأعزاء ، قصائد
 مجهولة ، ومن أدب المهجر ، فيها من الطرافة والإبداع ، ومن الفكاهة والبلاغة
 المقرونة بالحكمة. ما يشفع لها بالرواية والنقل . الثلاث الأولى منها لأسعد زسم،
 والرابعة ، « حكاية » ، لإيليا ظاهر أبي ماضي .

الرجل والكلب

ورب امرئ أحت يد الفقر ظهره
يجد وراء الرزق لكن وراءه
يمر به أهل الوجاهة والغنى
فيسألهم قوتاً له ولولده
وقد أرجف البرد الشديد عظامه
يقاتله صرف الزمان ، وجسمه

ذليلاً بأسواق المدينة جالاً
صغاراً وأم صهوتهم يتعالى
عليهم كالشمس الحلى تتلألاً
ولا أحد منهم يجيب سؤالاً
ولكن رست فيه الهموم جبالاً
عديم القوى لا يستطيع قتالاً

* * *

ومرت لديه مركبات تجرها
بدور تجد السير لكن جوالس
فأبصر أنى بينهن وكلبها
تقبله طوراً وطوراً تضممه
كأنهما إلفسان طاب لقاها
جياذ تجارى الراكبات دلالاً
يفقن على البدر التمام كمالاً
يجانبها يهنا وينعم بالاً
إليها بشوق يمنة وشمالاً
وبينهما عهد التفرق طبالاً

* * *

ففكر هذا في تعاسة حاله
فعاد على أعقابه وهو لاعن

وأدرك أن الكلب أحسن حالاً
زماناً غدت فيه الكلاب رجالاً !!

هو يسبح وهى تنبح

كان يوماً ثلاثة من كلاب الـ
جمعتها هناك ليلة فصل
ليلة في الربيع مقمرة قد
أخذت تنظر الكلاب إلى البد
تتمنى إلى العلاء سبيلاً
إنما البدر ما أساء إليها

حى في الساحة الفسيحة تمرح
يورق الغصن فيه ، والطير يصدح
لاح فيها في أفقه البدر يسبح
ر ، فتملأ الفضاء غيظاً وتقذح
وبأبصارها إلى البدر تطمح
ولها من مكانه ما تزحزح !!

وبتلك الكلاب قد مر كلب
بصبص الذيل للـرفاق وحيا
عقدت معه بعد ذاك اجتماعاً
قال كلب : يا إخوتي ، ذاك بدر
مالك مـرسح الكيان بعز
وإليه الأبصار تشخص والأف
قال كلب : ونحن ننتظر اللقمة
نقرع الباب ، ثم نطرد منه
قال كلب : إذن ، وما الذنب ذنباً
ثم قال الكلب الأخير وقد كـ
إن هذا النباح ليس يضر الـ
إنما بالنباح نسمع شخصاً
وبه نقلق الأنعام فيروـ

رابع جاء كى يشير وينصح
ها ، فأعطته بينها خير مطرح
كلها باعتقاده فيه صـرح
فى سما المجد والكرامة أصبح
وهو فيه هام « الحجرة » ينطح.
واه عن حسنه تقول وتشرح
ممن بها : يجود ويسمح
باحترار ، فيا ترى كيف ننجح ؟
بدر حتى بـشتمه نتطـوح
شر عن نابه الكبير المقرح :
بدر تأثيره ، ولا هو يـجـرح !
غيره ، شأن من أشار وألمح
ن لإسكاتنا عظماً ، فربح !

* * *

ظل الأفق يسبح البدر بالعز وظلت تعوى الكلاب وتنبح !!

ذنوب وأذئاب

على الشارع اليوم صادفت كلباً
وقفت ، وقد كنت مستعجلاً
فقال ، على صمته نـاطقاً ،
سلام. فقلت : ومن أنت ؟ قال :
وما اسمك ؟ قال : أنا هو « فيدو »
أهيب : حول البيوت نهـاراً
ألاعب بالـركض أولادكم
وأحرسكم ، فلكم من غريب

إلى ، بعين الرجاء نظر
فقلت بنفسى له : ما الخبر ؟
يخاطبنى بلسان البصـسر :
أنا هو كلب الورى المحتقر
الأمين على الصاحب المعـتبر
وليلاً ، لأنذركم بالخطـر
فأحمل عنكم بعض الضـجر
هجمت عليه كليث كسر

على أنكم تنظرون إلى
يعير بعضكم البعض باسمي
ونحن كلاب شعور وفهم
بخلتم عليّ - وأنتم عظام -
ولست أعض أخى مثلكم
أيضربنا بعضكم بالعصا ؟
أهذا من العدل ، يا سيدى ؟
فأشفقت من كل قلبى عليه
وسرت به نحو بيتى سريعاً
وبعد أن انتعشت نفسه
تحرك للشكر متفضلاً
أرى أن هز ذيل الكلاب

بعين احتقار وعين خدر
وذلك يملأنى بالكدر
فلسنا حميراً ولنابقر
بعض العظام وبعض الكسر
ولا أنا أسعى له بالضرر
ويرشقنا بعضكم بالحجر ؟
أهذا الذى منكم ينتظر ؟
وطبشت مدحاً له فافتخر
وباللحم أشبعته والتمر
ونور السرور عليه ظهر
وهز لى الذيل والمختصر
لأصدق من هز أيدى البشر

حكاية

ربيت كلباً صغيراً
وقلت : يحرس دارى
فكنت آتيه صباحاً
حتى إذا اجتباز ستاً
وأشبه الوعل ساقاً
وصار كالعلج عنقياً
وافى إلى صبحابى
فأبصروا الكلب عندى
فقال منهم ظريف :
بحرمة البود إلا

وكان ذلك نذرا
إذا أتى اللص سـرا
باللحم ، والشحم عصرا
من الشهور وأخرى
وأشبه البغل ظهرا
وصار كالفيل صـدرا
وأنت بالصحب أدرى
عيناه تقدح جمرا
قنوت والله مهـرا !
سميت الكلب « نـمرا »

أطعت أمـر صديق وقد سررت وسـرا
لكنما الصفـر صفـر وإن دعـونـاه تـبرا

* * *

ترعرع الكلب « نمر » فصـار أعظم شـرا
يعوى إذا الناس نـاموا فيسمع الناس نكـرا
وينبح البدر ليـلا وينبح الشمس ظهـرا
وكلما مـر سار أوهبت الريح هـرا
ويتبع الضيف حتى إذا استقر استقـرا
ويترك العظم ملـتى ويسرق الخبز جهـرا
فروع النشء حتى ما تطلب الدار ذعـرا
ونفـر الطير حتى ما تألف الطير وكـرا
فأقبل الحى يشكو فقلت : يا قوم ، صبرا
له كنت أكسب أجـرا أو كنت أحرز فخـرا
خنقت بالحبل « نمر » لكن للكلب عمـرا

(١٤) تاريخ ديوانين لأبي ماضي

قل من الشعراء والكتاب من يؤرخ أعماله الأدبية عند نشرها مجموعة ، وذلك - في أغلب الظن - حتى تبقى هذه الأعمال طلقة جارية ، غير مقيدة بزمان أو مكان. ولكن هدف الأدباء هذا لا يتفق وهدف دارسي أعمالهم. لهذا يحاول الدارسون - قدر استطاعتهم - تأريخ الأعمال ، لأن تأريخها من أهم الوسائل المساعدة على تتبع وتحديد التطور الفكري والأدبي واللغوي لأصحابها ، ولأن بدون التأريخ تنهى الدراسات الأدبية إلى تكهنات متضاربة ، لا إلى حقائق ثابتة .

والأعمال الأدبية بالنسبة للتأريخ نوعان : أعمال تؤرخ ذاتها ، ولا تحتاج في هذا إلى جهد يذكر ، وأعمال لا تتأرخ إلا بتخريجها من مصادر أصلية ، وتحتاج بالطبع إلى بعض الجهد .

أقول هذا وأنا على أهبة عرض تأريخ ديوانين للمهجرى أبي ماضي : « ديوان إيليا أبو ماضي ، الجزء الثاني » (نيويورك ، مطبعة مرآة الغرب اليومية ، ١٩١٩ ، ١٩٢٢ ص) ، وديوان « الجداول » (نيويورك ، مرآة الغرب ، ١٩٢٧ ، ١١٢ ص) . فقد جاءت أشعار أبي ماضي في هذين الديوانين ، وفي دواوينه الثلاثة الأخرى أيضاً ، غفلة من التأريخ ، مما أوجد عقبة في طريق دراسة هذا الشاعر دراسة كاملة .

ولعل أول من نبه إلى هذا الأمر إحسان عباس وزميله محمد يوسف نجم ، وهما يكتبان عن أبي ماضي في كتابهما « الشعر العربي في المهجر : أميركا الشمالية » (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٧) ، إذ قالا ، ص ١٣٧ : « متى وكيف حصل ذلك ؟ هذا ما نفتقد الشواهد عليه ، لأننا لا نملك تأريخاً دقيقاً يعيننا على دراسة شعره دراسة متدرجة » .

فالتأريخ التالي إذن محاولة أولى في ملء جزء من ثغرة ظلت شاغرة للآن ، وهي محاولة - برغم قصورها عن التمام - لا بد أن يفيد منها شيئاً من أراد دراسة شاعرنا .

وقد اعتمدت في تأريخي هذا على الطبعة الأولى الأصلية للديوانين . ولأن « الجزء الثاني » غير موجود في الأسواق ، وطبعات « الجداول » الحديثة أصبحت تضم قصائد لم تكن في « الجداول » أصلاً . رأيت من اللازم عرض ترتيبين لكل من الديوانين :

١ - ترتيب ديواني يبين محتوى الديوان الأصلي ، وتسلسل القصائد كما وردت به .

٢ - ترتيب زمني يعرض القصائد مساسة وفقاً لتاريخ نشرها أو نظامها .

وسيالاحظ القارئ ما يلي في الترتيب الديواني :

(أ) يبدأ المدخل برقم مسلسل ، فعنوان القصيدة (أو القطعة) كما ورد في الديوان ، فرقم الصفحة التي بها القصيدة في الديوان .

(ب) بين القوسين ، يجرى المصدر الذي ظهرت فيه القصيدة ، فتاريخه ، فرقم الصفحة التي بها القصيدة ، فعنوان القصيدة إن كان مختلفاً في المصدر عنه في الديوان .

(ج) بعد القوسين ، يجرى عدد أبيات القصيدة . فإذا اختلف عدد أبياتها في الديوان عنه في المصدر جرى بالعددين : العدد بالديوان ، فالعدد بالمصدر .

(د) لزيادة الفائدة ختم المدخل برقم مسبق بالحرف « ي » ، هو رقم الصفحة التي بها القصيدة في كتاب « دار اليقظة العربية » .

أما الاختصارات المستعملة في التأريخ فهذا بيانها :

ب بيت في القصيدة .

ز « الزهور » ، القاهرة .

س « السائح » ، نيويورك .

سم « السائح المختار » ، نيويورك .

ص صفحة .

ف « الفنون » ، نيويورك .

م « مرآة الغرب » ، نيويورك .

- مع « المجلة العربية » ، نيويورك .
- مق « المقتطف » ، القاهرة .
- ى « إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر » . ط ٢ مزيدة تحتوى على شعر الشاعر كله . (دمشق) ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ ، ٨٧٩ ص .
- أما النجمة (*) فتشير بالرجوع إلى الترتيب الديوانى .
- وقبل عرض التأريخ ، قد يكون مفيداً تبين الآتى :
- ١ - « الجزء الثانى » أكثر دواوين أبى ماضى الخمسة المعروفة أبياتاً ، إذ فيه ٢٨٤١ بيتاً .
 - ٢ - « الجداول » أقل الدواوين الخمسة أبياتاً ، إذ فيه ١٢٠٢ من الأبيات .
 - ٣ - الاثنان معاً بهما ٤٨,٤٧٪ من مجموع أبيات الدواوين الخمسة البالغ ٨٣٤٠ بيتاً .
 - ٤ - « الجزء الثانى » أرخ منه ٨٦,٤٥٪ .
 - ٥ - « الجداول » أرخ منه ٧٢,٨٨٪ .
 - ٦ - ما أرخ من الاثنين معاً يبلغ ٣٩,٩٥٪ من مجموع أبيات الدواوين الخمسة .

« الجزء الثانى »

من « ديوان إيليا أبو ماضى »

١ - الترتيب الديوانى

- ١ - إهداء الديوان ، ص ٢ (١٩١٩/٦ ، وهو تاريخ صدور الديوان)
١٣ ب ، ليست فى ي .
- ٢ - الشاعر ، ص ٦ (لم تؤرخ) ٥٠ ب . ي ٤٣٤ .
- ٣ - فلسفة الحياة ، ص ١٠ (لم تؤرخ) ٤٠ ب ، ي ٦٢٤ .
- ٤ - أم القرى أو ملفرد الجميلة ، ص ١٣ (م ١٩١٧/٨/٢٨ ، ص ٤ ،
ملفرد بنسلفانيا أو أم القرى) ٥٧ ب ، ي ٤٠٤ .
- ٥ - أنا وأخت المنهاة والقمر ، ص ١٧ (لم تؤرخ) ٤٧ ب ، ي ٣٥٣ .
- ٦ - الشاعر والأمة ، ص ٢٠ (ف ١٩١٦/٩ ، ص ٣٢٩) ٥٩ ب ، ي ٤٤٧ .
- ٧ - وإنى ، ص ٢٣ (س ١٩١٦/١٠/٢ ، ص ٤) ٢ ب ، ليسافى ي .
- ٨ - أما أنا ، ص ٢٤ (س ١٩١٦/٩/١٨ ، ص ٤) ١٤ ب ، ي ٤٧٧ .
- ٩ - وداع وشكوى ، ص ٢٥ (ز ١٩١٢/٦ ، ص ١٩٩) ٣٢/٥٢ ب ،
ي ٥٣٠ .
- ١٠ - عصر الرشيد ، ص ٢٨ (م ١٩١٤/٦/١٠ ، ص ٤ ، بغداد أمس
واليوم) ٧٥ ب ، ي ٨٤٣ .
- ١١ - لم أجد أحداً ، ص ٣٣ (م ١٩١٧/١٢/٢٤ ، ص ١) ٥٠ ب ،
ي ٣٠٧ .
- ١٢ - ؟ ، ص ٣٦ (ف ١٩١٧/١ ، ص ٧٠٧) ٨ ب ، ي ٢٣٨ .
- ١٣ - بنت سوريا : ص ٣٧ (س ١٩١٨/٩/٥ ، ص ٥ ، فتاة سوريا .
وقد نبهت س إلى أن القصيدة نظمت من سنين عديدة) ٤٥/٤٦ ب ،
ي ٥٨٧ .

- ١٤ - الفقير ، ص ٤٠ (لم تؤرخ) ٥١ ب ، ي ١٠٧ .
- ١٥ - بين الكاس والطاس ، ص ٤٣ (لم تؤرخ) ١١ ب ، ي ٦٣٣ .
- ١٦ - في السفينة ، ص ٤٤ (نرجح صيف ١٩١١) ١٦ ب ، ي ٦١٠ .
- ١٧ - يا صاح ، ص ٤٥ (ف ١٩١٧/٨ ، ص ٥٠) ٢٢ ب ، ي ١٩٠ .
- ١٨ - بلاء أم نعمة ، ص ٤٦ (نرجح ربيع ١٩١٨) ٢٠ ب ، ي ٤٨٣ .
- ١٩ - الخلود ، ص ٤٨ (ف ١٩١٦/٧ ، ص ١٥٦ ، الخلود والفناء ، بتوقيع « عطار ») ٢٩ ب ، ي ٨٦٥ .
- ٢٠ - عيناك ، ص ٥٠ (لم تؤرخ) ١٢ ب ، ي ٤٣٢ .
- ٢١ - ١٩١٣ ، ص ٥١ (١٩١٣/١ ، القصيدة تؤرخ ذاتها) ٥٨ ب ، ي ١٧٨ .
- ٢٢ - بلادي ، ص ٥٥ (م ١٩١٣/٥/٢٨ ، ص ٤) ٥١/٥٠ ب ، ي ٦٨٣ .
- ٢٣ - البلب السجين ، ص ٥٨ (م ١٩١٣/٩/١٧ ، ص ٤ ، ياليل) ٥٧ ب ، ي ٦٥١ .
- ٢٤ - أنت ، ص ٦٢ (م ١٩١٣/٧/٥ ، ص ٥) ٥٢ ب ، ي ١٠٣ .
- ٢٥ - معركة بورغاس ، ص ٦٥ (١٩١٢/١٠/٣١) وهو تاريخ انتهاء المعركة) ٦٩ ب ، ي ٧١٦ .
- ٢٦ - خير شيء ، ص ٦٩ (س ١٩١٦/١٠/٥ ، ص ٤) ٩ ب ، ي ٨٦٤ .
- ٢٧ - حكاية حال ، ص ٧٠ (م ١٩١٨/١/٢٦ ، ص ٤) ٢٠ ب ، ي ٨٠٦ .
- ٢٨ - شكوى ، ص ٧١ (لم تؤرخ) ٩ ب ، ي ٣٢٣ .
- ٢٩ - بائعة الورد ، ص ٧٢ (لم تؤرخ) ٨٢ ب ، ي ٤٦٣ .
- ٣٠ - ١٩١٤ ، ص ٧٧ (م ١٩١٤/١/١٤ ، ص ١ ، طوى العام) ٣٧ ب ، ي ٣٢٧ .
- ٣١ - بنت الدوالي ، ص ٨٠ (مع ١٩١٦/١٠/٣٠ ، ما العيش إلا ساعة الغرور . التاريخ فهو تاريخ « الهدي » النيويوركية التي نشرت ، ص ٢ ، محتويات عدد مع) ١٠ ب ، ي ٤٩٣ .
- ٣٢ - الطيران ، ص ٨١ (م ١٩١٤/١/٢٣ ، ص ١) ٤٣ ب ، ي ١١٧ .

- ٣٣ - العاشق المخدوع . ص ٨٤ (س ١٩١٦/٩/٢١ ، ص ١ ، المخدوع)
٨٣ ب ، ي ٤١٥ .
- ٣٤ - أهلها عرب . ص ٨٩ (مع ١٩١٦/١٠/٩ ، وهو تاريخ « الهدى »
التي نشرت ، ص ٧ ، محتويات عدد مع) ١٢ ب ، ي ١٣٩ .
- ٣٥ - صاحب القلم ، ص ٩٠ (ز ١٩١٣/٧ ، ص ٢٥٦ ، لكن مصر)
٣١/٤١ ب ، ي ٦٦٥ .
- ٣٦ - بلا عنوان ، ص ٩٢ (لم تؤرخ) ٤ ب ، ي ٧٨٣ .
- ٣٧ - نزوة ألم ، ص ٩٣ (م ١٩١١/١٢/٦ ، ص ٤ ، خواطر شاعر)
٣٩/٣٨ ب . ليست في ي .
- ٣٨ - الكأسان ، ص ٩٥ (س ١٩١٦/١٠/٣٠ ، ص ٤ ، القدحان)
٢٤/٢١ ب ، ي ٥٩٧ .
- ٣٩ - بلا عنوان . ص ٩٦ (لم تؤرخ) ٣ ب ، ي ٦٣٨ .
- ٤٠ - لأرفعن للسما احتجاجي ، ص ٩٧ (لم تؤرخ) ٢٤ ب ، ي ٢٣٣ .
- ٤١ - أنتم معي ، ص ٩٨ (لم يؤرخا) ٢ ب ، ي ٢٨٧ .
- ٤٢ - الحرب العظمى ، ص ٩٩ (م ١٩١٤/١١/١٦ ، ص ١ ، صرخة قانط)
٦٩/٦٨ ب ، ي ٧٣٤ .
- ٤٣ - دموع وتنهدات ، ص ١٠٣ (م ١٩١٥/١/٢٨ ، ص ١ ، عنوان
وطنية شاعر) ٦٠ ب ، ي ٨٣٦ .
- ٤٤ - أخت البلجيكي ، ص ١٠٧ (م ١٩١٥/٢/١٣ ، ص ١ ، سوريا)
٤٠ ب ، ي ٥٤٩ .
- ٤٥ - بين الضحك واللعب ، ص ١٠٩ (س ١٩١٦/٩/٢٥ ، ص ٤) ٥ ب ،
ي ١٦٦ .
- ٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون ، ص ١١٠ (م ١٩١٦/٧/٣١ ، ص ١) ٧٢ ب ،
ي ٦٩٤ .
- ٤٧ - في الليل ، ص ١١٥ (م ١٩١٦/١٠/٩ ، ص ١ ، متى يذكر الوطن
النوم) ٤٠ ب ، ي ٢٧٩ .

- ٤٨ - سقوط أرضروم ، ص ١١٨ (م ١٩١٦/٣/١٦ : ص ٤ ، إلى الفاتح الغازي ، بتوقيع « عطار ») ٧٢ ب ، ي ٥٥٣ .
- ٤٩ - بلا عنوان ، ص ١٢٢ (س ١٩١٥/١١/١ ، ص ٤ ، بتوقيع « أحدهم ») ٥/٤ ب ، ي ٤٨٦ .
- ٥٠ - ١٩١٦ ، ص ١٢٣ (م ١٩١٥/١٢/٣١ ، ص ١ . العام الجديد) ٤٨ ب ، ي ٥٨٣ .
- ٥١ - ما للكواكب ؟ ، ص ١٢٦ (س ١٩١٦/١/٦ ، ص « ب ») ٣٩ ب ، ي ٢٦٩ .
- ٥٢ - بلا عنوان ، ص ١٢٨ (س ١٩١٥/١١/١ ، ص ٤ ، ما كان أحوجني) ٤ ب ، ي ٤٨٥ .
- ٥٣ - البغضاء ، ص ١٢٩ (م ١٩١٥/٢/١٩ ، ص ١) ٤١ ب ، ي ٧٢١ .
- ٥٤ - حكاية قديمة ، ص ١٣٢ (س ١٩١٦/١/٦ ، ص ١٢) ٤٠ ب ، ي ٢٤٧ .
- ٥٥ - لمن الديار ؟ ، ص ١٣٥ (م ١٩١٥/٩/٢٧ ، ص ٤) ٨٥ ب ، ي ٥٧٦ .
- ٥٦ - يا بلادي ، ص ١٤٠ (نرجح بعد ١٩١٦/٨ ، كما توحى القصيدة به) ٦٩ ب ، ي ٢٦٣ .
- ٥٧ - الفردوس الضائع أو رؤيا القيصر الألماني ، ص ١٤٤ (م ١٩١٦/١/٢٥ ، ص ٤) ٤٦ ب ، ي ٧٣٠ .
- ٥٨ - مسرح العشاق ، ص ١٤٧ (م ١٩١٣/١٠/٣ ، ص ٤ ، آها عليك) ٩٨ ب ، ي ٣٩٥ .
- ٥٩ - حكاية حال ، ص ١٥٣ (م ١٩١٦/١٢/٢٢ ، ص ٤) ٤٣ ب ، ي ٥٦٠ .
- ٦٠ - يا جارتى ، ص ١٥٦ (سم ١٩١٨/١/١٧ ، ص ٢ ، أنة نائح) ٣٨ ب ، ي ٧٠٧ .
- ٦١ - همليت ، ص ١٥٨ (م ١٩١٦/٣/١٠ ، ص ٤ ، شبيبة الشرق) ٢٤ ب ، ي ٥٧٤ .

- ٦٢ - العيون السود ، ص ١٦٠ (م ١٨/١/١٩١٥ ، ص ٤ ، هي نظرة)
٣٧ ب ، ي ٣١٥ .
- ٦٣ - هاتها ، ص ١٦٢ (لم تؤرخ) ١٠ ب : ي ٢٤٢ .
- ٦٤ - إلى صديق . ص ١٦٣ (لم تؤرخ) ٤٠ ب ، ي ٦٨٠ .
- ٦٥ - باخرة الإغاثة ، ص ١٦٥ (م ١٦/١٢/١٩١٦ ، ص ٣ ، الباخرة)
١٢ ب ، ي ٤٤٥ .
- ٦٦ - مصرع القصر ، ص ١٦٦ (س ٢٤/٤/١٩١٦ ، ص ٤ ، دمة حارة)
٤٨ ب ، ي ٢٩٥ .
- ٦٧ - في فراش المرض . ص ١٦٩ (م ٨/١٠/١٩١٤ ، ص ٤ ، لو تَبَلَّدْتُ
ساعة) ٤٣/٤٤ ب ، ي ٣٠٤ .
- ٦٨ - رثاء المطران رفائيل هواويني : ص ١٧٢ (م ٢/٣/١٩١٥ ، ص ٣ ،
الشاعر الوطني يرثي فقيد الأمة) ٣١/٣٠ ب ، ي ٥٦٤ .
- ٦٩ - فتح أورشليم ، ص ١٧٤ (م ١١/١٢/١٩١٧ ، ص ٣ ، إلى الفاتح)
٣٠ ب ، ي ٦١٥ .
- ٧٠ - إلى الفاتح ، ص ١٧٦ (م ١١/١/١٩١٩ ، ص ٣ ، السيف) ١٣ ب ،
ي ٢٤٣ .
- ٧١ - في القطار ، ص ١٧٧ (س ١٧/٥/١٩١٧ ، ص ٥ ، بلا عنوان)
٢٧/٢٤ ب ، ي ٤٣٨ .
- ٧٢ - السيد المجتبي ، ص ١٧٨ (م ١٦/٥/١٩١٧ ، ص ٤ ، القصيدة
العصماء) ٢١/٢٠ ب ، ي ١٧٦ .
- ٧٣ - مرآة الغرب في سنتها التاسعة عشرة ، ص ١٨٠ (م ١٢/٩/١٩١٧ ،
ص ١) ٣٣ ب ، ي ٣٦٠ .
- ٧٤ - مزح في جد (معربة) ، ص ١٨٢ (١٩/١/١٩١٨ ، ص ٤) ٢٠ ب ،
ي ٢٢٤ .
- ٧٥ - نشيد التباراري (معربة) ، ص ١٨٣ (م ٦/١/١٩١٦ ، ص ٤)
٢١ ب ، ليست في ي .

- ٧٦ - ذكرى، ص ١٨٤ (س ١٩١٧/٦/٢١، ص ٤، ولقد ذكرتُك) ٢ ب،
ي ٩٩ .
- ٧٧ - جرجى زيدان، ص ١٨٥ (م ١٩١٤/٨/٤، ص ٤) ٤٥ ب،
ي ٨١٠ .
- ٧٨ - أيها الراعى، ص ١٨٨ (س ١٩١٥/٨/٢٦، ص ٤) ٣١ ب،
ي ٢٩٩ .
- ٧٩ - ابنة الفجر، ص ١٩٠ (س ١٩١٧/١٠/١١، ص ٤، إذا مت)
٤٧ ب، ي ٧٧٧ .

٢ - الترتيب الزمنى

١٦ -	فى السفينة	صيف ١٩١١	-
٣٧ -	نزوة ألم	١٩١١/١٢/٦	م
٩ -	وداع وشكوى	١٩١٢/٦	ز
٢٥ -	معركة بورغاس	١٩١٢/١٠/٣١	-
٢١ -	١٩١٣	١٩١٣/١	-
٢٢ -	بلادى	١٩١٣/٥/٢٨	م
٣٥ -	صاحب القلم	١٩١٣/٧	ز
٢٤ -	أنت	١٩١٣/٧/٥	م
٢٣ -	البلبل السجين	١٩١٣/٩/١٧	م
٥٨ -	مسرح العشاق	١٩١٣/١٠/٣	م
٣٠ -	١٩١٤	١٩١٤/١/١٤	م
٣٢ -	الطيران	١٩١٤/١/٢٣	م
١٠ -	عصر الرشيد	١٩١٤/٦/١٠	م
٧٧ -	جرجى زيدان	١٩١٤/٨/٤	م
٦٧ -	فى فراش المرض	١٩١٤/١٠/٨	م
٤٢ -	الحرب العظمى	١٩١٤/١١/١٦	م

م	١٩١٥/١/١٨	٦٢ — العيون السود
م	١٩١٥/١/٢٨	٤٣ — دموع وتنهدات
م	١٩١٥/٢/١٣	٤٤ — أخت الباجيك
م	١٩١٥/٢/١٩	٥٣ — البغضاء
م	١٩١٥/٣/٢	٦٨ — رثاء المطران رفائيل هواويني
س	١٩١٥/٨/٢٦	٧٨ — أيها الراعي
م	١٩١٥/٩/٢٧	٥٥ — لمن الديار ؟
س	١٩١٥/١١/١	٤٩ — بلا عنوان
س	١٩١٥/١١/١	٥٢ — بلا عنوان
م	١٩١٥/١٢/٣١	٥٠ — ١٩١٦
س	١٩١٦/١/٦	٥١ — ما للكواكب ؟
س	١٩١٦/١/٦	٥٤ — حكاية قديمة
م	١٩١٦/١/٦	٧٥ — نشيد التباراري
م	١٩١٦/١/٢٥	٥٧ — الفردوس الضائع
م	١٩١٦/٣/١٠	٦١ — هَمَلْتُ
م	١٩١٦/٣/١٦	٤٨ — سقوط أرضروم
س	١٩١٦/٤/٢٤	٦٦ — مصرع القمر
ف	١٩١٦/٧	١٩ — الخلود
م	١٩١٦/٧/٣١	٤٦ — أمة تفتى وأنتم تلعبون
ف	١٩١٦/٩	٦ — الشاعر والأمة
س	١٩١٦/٩/١٨	٨ — أما أنا
س	١٩١٦/٩/٢١	٣٣ — العاشق المخدوع
س	١٩١٦/٩/٢٥	٤٥ — بين الضحك واللعب
س	١٩١٦/١٠/٢	٧ — وإني
س	١٩١٦/١٠/٥	٢٦ — خير شيء
مع	١٩١٦/١٠/٩	٣٤ — أهلها عرب :

م	١٩١٦/١٠/٩	٤٧ - في الليل
مع	١٩١٦/١٠/٣٠	٣١ - بنت الدوالي
س	١٩١٦/١٠/٣٠	٣٨ - الكأسان
م	١٩١٦/١٢/١٦	٦٥ - باخرة الإغاثة
م	١٩١٦/١٢/٢٢	٥٩ - حكاية حال
-	بعد ١٩١٦/٨	٥٦ - يا بلادي
ف	١٩١٧/١	١٢ - ؟
م	١٩١٧/٥/١٦	٧٢ - السيد المجتبي
س	١٩١٧/٥/١٧	٧١ - في القطار
س	١٩١٧/٦/٢١	٧٦ - ذكرى
ف	١٩١٧/٨	١٧ - يا صباح
م	١٩١٧/٨/٢٨	٤ - أم القرى أو ملفرد الجميلة
م	١٩١٧/٩/١٢	٧٣ - مرآة الغرب
س	١٩١٧/١٠/١١	٧٩ - ابنة الفجر
م	١٩١٧/١٢/١١	٦٩ - فتح أورشليم
م	١٩١٧/١٢/٢٤	١١ - لم أجد أحداً
سم	١٩١٨/١/١٧	٦٠ - يا جارتى
م	١٩١٨/١/١٩	٧٤ - مزح في جد
م	١٩١٨/١/٢٦	٢٧ - حكاية حال
-	ربيع ١٩١٨	١٨ - بلاء أم نعمة؟
س	١٩١٨/٩/٥ (*)	١٣ - بنت سوريا
م	١٩١٩/١/١١	٧٠ - إلى الفاتح
-	١٩١٩/٦	١ - إهداء الديوان

٣ - ما لم يؤرخ

- ٢ - الشاعر
- ٣ - فلسفة الحياة
- ٥ - أنا وأخت المهابة والقمر
- ١٤ - الفقير
- ١٥ - بين الكاس والطاس
- ٢٠ - عيناك
- ٢٨ - شكوى
- ٢٩ - بائعة الورود
- ٣٦ - بلا عنوان
- ٣٩ - بلا عنوان
- ٤٠ - لأرفعن للسما احتجاجي
- ٤١ - أنتم معي
- ٦٣ - هاتها
- ٦٤ - إلى صديق

« الجدول »

١ - الترتيب الديواني

- ١ - الفاتحة ، ص ٤ (لم تؤرخ) ٢١ ب ، ي ٧٦٤ .
- ٢ - العنقاء ، ص ٥ (س ١٩٢٧/٢/٢٨ ، ص ٧) ٤٢ ب ، ي ٥١٢ .
- ٣ - السجينة . ص ٩ (مق ١٩٢٤/١٢/١ ، ص ٥٢٢) ٣٢ ب ، ي ١٣٣ .
- ٤ - الضفادع والنجوم ، ص ١٢ (لم تؤرخ) ١١ ب ، ي ٦٨٧ .
- ٥ - السماء ، ص ١٣ (س ١٩٢٦/١٠/٧ ، ص ٦) ٢٣ ب ، ي ٩٧ .
- ٦ - برّدى يا سحب ، ص ١٥ (سم ١٩٢٧/٣/٢٤ ، ص ٢٦) ١٦ ب ، ي ١٨٣ .
- ٧ - العير المتنكر . ص ١٦ (م ١٩١٤/٧/١٧ ، ص ٤ ، يا نوح ، أين دلائل الطوفان ؟) ٥٢/٦ ب ، ي ٧٣٩ .
- ٨ - تعالى ، ص ١٧ (سم ١٩٢٥/٢/٩ ، ص ٦٥) ٣٢ ب ، ي ٥١٧ .
- ٩ - ريح الشمال ، ص ٢٠ (سم ١٩٢١/١/١٠ ، ص ٣١) ٢٤ ب ، ي ٥٧٢ .
- ١٠ - الحجر الصغير ، ص ٢٢ (مق ١٩٢٤/٤/١ ، ص ٣٩٢) ١٤ ب ، ي ١٢٣ .
- ١١ - الطين ، ص ٢٣ (مق ١٩٢٥/٢/١ ، ص ١٣٢) ٥٧ ب ، ي ٣١٨ .
- ١٢ - التينة الحمقاء ، ص ٢٨ (سم ١٩٢٥/٢/٢٩ ، ص ٦٦) ١١ ب ، ي ٣٣٩ .
- ١٣ - في القفر ، ص ٢٩ (س ١٩٢٤/٨/٢٨ ، ص ٤) ٣٣ ب ، ي ١٥١ .
- ١٤ - التمثال ، ص ٣٢ (س ١٩٢٦/٦/١٧ ، ص ٧) ١٣ ب ، ي ٤٨٢ .
- ١٥ - المساء ، ص ٣٣ (م ١٩٢١/٥/١٠ ، ص ٤) ٥٠ ب ، ي ٧٨٤ .
- ١٦ - الكمنجة المحطمة ، ص ٣٨ (مق ١٩٢٥/٧/١ ، ص ١٢٩) ٣٣ ب ، ي ٨١٧ .

- ١٧ — زهرة أقحوان ، ص ٤١ (م ١٤/٦/١٩٢٠ ، ص ٤ ، زهرة من أقحوان)
٢٧/٢٩ ب . ي ٧٢٧ .
- ١٨ — الأسرار ، ص ٤٤ (سم ١٩٢٥/٢/٩ ، ص ٦٦) ٩ ب ، ي ٤٠٢ .
- ١٩ — العميان ، ص ٤٥ (م ١٤/١٠/١٩١٩ ، ص ٤) ٢١/٣٢ ب ، ي ٧٧٤ .
- ٢٠ — الزمان ، ص ٤٨ (مق ١٩٢٤/٧/١ ، ص ١٢٩) ٢٥/٢٦ ب ، ي ٢٥٢ .
- ٢١ — اليتيم ، ص ٥٠ (س ١٩٢٤/١٠/٩ ، ص ٥ . بلا عنوان) ٢٦/٢٠ ب ،
ي ٨٤١ .
- ٢٢ — المجنون ، ص ٥٢ (سم ١٩٢٥/٢/٩ ، ص ٦١) ٤٣ ب . ي ٦٠٠ .
- ٢٣ — قطرة الطل ، ص ٥٧ (س ١٩٢٣/١١/١٢ ، ص ٤) ٨ ب ، ي ٤٧٤ .
- ٢٤ — نار القرى ، ص ٥٨ (سم ١٩٢٧/٣/٢٤ ، ص ٢٥) ١٨/٢٤ ب ،
ي ١٠١ .
- ٢٥ — ابن الليل ، ص ٦٠ (سم ١٩٢٧/٣/٢٤ ، ص ٨٥) ١٨ ب ، ي ٦٠٧ .
- ٢٦ — أنا ، ص ٦٢ (م ١٩١٩/١١/١٠ ، ص ٤ ، بتوقيع « الهدهد »)
١٢/١٦ ب . ي ١٤٧ .
- ٢٧ — الإله الثرثار ، ص ٦٤ (لم تؤرخ) ١٠ ب ، ي ٧٩٨ .
- ٢٨ — الأشباح الثلاثة ، ص ٦٥ (سم ١٩٢٥/٢/٩ ، ص ٦٣) ٧٤ ب ،
ي ٤٨٨ .
- ٢٩ — العليقة ، ص ٧٢ (مق ١٩٢٧/٦/١ ، ص ٦٠٩ ، العوسجة) ٣٥ ب ،
ي ١٦٢ .
- ٣٠ — هي . ص ٧٥ (م ١٩٢٣/٧/٢ ، ص ٤ ، سيرتها) ٤٠/٣٧ ب ،
ي ٨٣١ .
- ٣١ — لا أنت ولا أنا . ص ٧٨ (سم ١٩٢٧/٣/٢٤ ، ص ٢٧) ٧ ب ،
ي ٧٥٢ .
- ٣٢ — الناسكة ، ص ٧٩ (س ١٩٢٤/٦/١٩ ، ص ٤) ١٥ ب ، ي ١٨٨ .
- ٣٣ — عيد النوى ، ص ٨١ (س ١٩٢٦/٥/١٣ ، ص ٧ ، في عيد
« المقتطف » الحسيني) ٥٩ ب ، ي ٢٥٨ .

- ٣٤ - موت العبقري ، ص ٨٦ (م ١٨/٦/١٩٢٥ ، ص ٤) ٣٢ ب ،
 ي ٢١٨ .
- ٣٥ - الغدير الطموح ، ص ٨٨ (سم ٢٤/٣/١٩٢٧ ، ص ٢٧) ٦ ب ،
 ي ٣٦٣ .
- ٣٦ - الطلاسم ، ص ٨٩ (لم تؤرخ) ٢٨٤ ب ، ي ١٩٣ .

٢ - الترتيب الزمني

٧	الغير المتكرر	١٩١٤/٧/١٧	م
١٩	العميان	١٩١٩/١٠/١٤	م
٢٦	أنا	١٩١٩/١١/١٠	م
١٧	زهرة أقحوان	١٩٢٠/٦/١٤	م
٩	ريح الشمال	١٩٢١/١/١٠	سم
١٥	المساء	١٩٢١/٥/١٠	م
٣٠	هي	١٩٢٣/٧/٢	م
٢٣	قطرة الطل	١٩٢٣/١١/١٢	س
١٠	الحجر الصغير	١٩٢٤/٤/١	مق
٣٢	الناسكة	١٩٢٤/٦/١٩	س
٢٠	الزمان	١٩٢٤/٧/١	مق
١٣	في القفر	١٩٢٤/٨/٢٨	س
٢١	اليتيم	١٩٢٤/١٠/٩	س
٣	السجينة	١٩٢٤/١٢/١	مق
١١	الطين	١٩٢٥/٢/١	مق
٢٢	المجنون	١٩٢٥/٢/٩	سم
٢٨	الأشباح الثلاثة	١٩٢٥/٢/٩	سم
٨	تعالى	١٩٢٥/٢/٩	سم

سم	١٩٢٥/٢/٩	١٢ — التينة الحمقاء
سم	١٩٢٥/٢/٩	١٨ — الأسرار
م	١٩٢٥/٦/١٨	٣٤ — موت العبقري
مق	١٩٢٥/٧/١	١٦ — الكمنجة المحطمة
س	١٩٢٦/٥/١٣	٣٣ — عيد النهي
س	١٩٢٦/٦/١٧	١٤ — التمثال
س	١٩٢٦/١٠/٧	٥ — السماء
س	١٩٢٧/٢/٢٨	٢ — العنقاء
سم	١٩٢٧/٣/٢٤	٢٤ — نار القرى
سم	١٩٢٧/٣/٢٤	٦ — برّدى يا سحب
سم	١٩٢٧/٣/٢٤	٣١ — لا أنت ولا أنا
سم	١٩٢٧/٣/٢٤	٣٥ — الغدير الطموح
سم	١٩٢٧/٣/٢٤	٢٥ — ابن الليل
مق	١٩٢٧/٦/١	٢٩ — العليقة

٣ — مالم يؤرخ

١ — الفاتحة
٤ — الضفادع والنجوم
٢٧ — الإله الثرثار .
٣٦ — الطلاس

(١٥) موجز عن حياة أبي ماضى

١٨٥٤ فى ضبعة المحدثة بلبنان، ولد والده ظاهر (ضاهر) إيليا طانيوس أبو ماضى .

١٨٦٤ فى المحدثة ، ولد عمه نعوم .

١٨٨٧ فى المحدثة . ولد أخوه الأكبر مراد .

١٨٨٩ فى ١٥/٥ ، فى المحدثة ، وضعت سلمى — أم مراد — إيليا .

١٩٠٠ هاجر إلى إسكندرية مصر ، بصحبة عمه نعوم ، حيث بدأ يتعاطى بيع السجاير والدخان نهائياً ، منصباً على الدرس والمطالعة ليلاً ، تارة على نفسه ، وتارة فى بعض الكتاتيب .

١٩٠٣ أول ما قرض الشعر ، وكان فى الرابعة عشرة .

١٩٠٨ فى ٢٢/١٠ ، نشرت « الهدى » النيويوركية خبراً ، أرسله إليها أحدهم ، يفيد أن أخاه مراد قتل بالرصاص فى سنسنانى . فكذب مراد الخبر فى مقال نشرته « الهدى » فى ٢٧/١٠ .

١٩٠٩ فى ٤/٢ ، علقت « الهدى » النيويوركية على قصيدته « فى سبيل الإصلاح » . فى الربع الأول ، فى الإسكندرية ، توفى أخوه طانيوس .
فى ١٢/٨ ، نشرت « الهدى » النيويوركية قصيدته « شكوى فتاة » (الزواج التجارى) .

١٩١١ فى ٣٠/١ ، نشرت « مرآة الغرب » النيويوركية قصيدته « نفثة مصلور » .

فى النصف الأول ، فى الإسكندرية ، صدر عن المطبعة المصرية « ديوان تذكارات الماضى » ، فى ٨٥ ص ، مَهْدَى « إلى الأمة المصرية » . وكان ثمن الديوان عشرة قروش .

فى مارس (آذار) ، نشرت « الهداية » القاهرية قصيدة « أنا هو » كنموذج من هذا الديوان ، ونقدتها .

في النصف الثاني ، أهدى نسخة من ديوانه إلى كل من « المقتطف » و « الهلال » القاهريتين .

في الصيف . غادر مصر نهائياً إلى لبنان حيث أقام بضعة أشهر . وبعد انضمامه للمعارضة ، هاجم السلطة الحاكمة بقصيدة « وداع وشكوى » . ثم سافر هارباً إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل مع أخيه مراد في تجارة السمانة . وكان محل أخيه قائماً في الركن الشمالى الغربى من ملتقى الشارع الثالث بشارع سيراكيوز بمدينة سنسناتى بولاية أوهايو . في ١٢ / ٦ . في « مرآة الغرب » النيويوركية . ظهرت « نزوة ألم » (خواطر شاعر) ، طليعة قصائده المهجرية .

١٩١٥ في أغسطس (آب) زار عبد المسيح حداد سنسناتى ، وقابل أبا ماضى لأول مرة ، وكتب عنه في جريدته « السائح » النيويوركية .

١٩١٦ في ١/٦ . في نيويورك ، ظهر أول عدد من « السائح الممتاز » ، وبه قصيدتان له : « ما للكواكب ؟ » و « حكاية قديمة » .

في ٣/٣١ ، في سنسناتى ، توفي أخوه ديمترى (مترى) منتحراً بالرصاص ، غير متجاوز العشرين من عمره .

في منتصف العام ، في نيويورك ، ظهرت الرابطة القلمية .

في يوليو (تموز) ، في « الفنون » النيويوركية ، ظهرت « الخلود والفناء » ، أولى قصائده في هذه المجلة ، موقعة بإمضاء « عطار » .

في أغسطس (آب) ، انتقل إلى مدينة نيويورك للتحرير في « المجلة العربية » . ولم يطل الوقت حتى أسهم في تحرير « الفتاة » النيويوركية التي كان يصدرها شكرى بنحاش .

١٩١٧ في مارس (آذار) ، في سنسناتى ، تزوج أخوه مراد سليمة سمعان .

وكان الإشبينان يوسف فلفلى وآسين سمعان شقيقة العروس ؟

في مايو (أيار) ، في نيويورك ، أقام نعوم مكرزل - صاحب

« الهدى » - دعوى عليه ، وعلى شكرى بنحاش صاحب « الفتاة » ،

وعلى عبد المسيح حداد صاحب « السائح » .

في ١١/٧ ، في نادى القديس نيقولاوس بروكلن ، انتخب أبو ماضى -
عن العلمانيين - كاتم أسرار المجلس الملى الأرثوذكسى العام لأبرشية
بروكلن .

١٩١٨ في الربع الأول ، صار محرراً لـ « مرآة الغرب » .

في ١٥/٤ ، في منزل آل دياب بنيويورك ، خطب دوروثى (دورا)
ابنة نجيب موسى دياب صاحب « مرآة الغرب » ، وبارك الخطبة
المطران أفثيمىوس عفيش .

في ٢٨/١٠ ، في أحد شوارع بروكلن ، دهمت سيارة أولغا - أخت
خطيبته - فتاة ، وذهبت بحياتها .

١٩١٩ يونيو (حزيران) ، في نيويورك ، صدر عن « مرآة الغرب » « ديوان
إيليا أبو ماضى ، الجزء الثانى » ، في ١٩٢ ص ، بمقدمة لجبران خليل
جبران ، ومهدى إلى الثرى نعمة تادرس ، تاجر سجاد شرقى معروف في
نيويورك .

١٩٢٠ في ٢٥/٤ ، في بيت آل دياب بنيويورك ، تزوج دوروثى . وقد بارك
الإكليل الأسقف أفثيمىوس عفيش والأبوان باسيلىوس خرباوى وتيودورى
بنى . وكان الإشبينان رشيد سمعان وعائدة مبارك شقيقة العروس . أما شهر
العسل ، فقد أمضاه العروسان في مدينة أتلانتيك سيتى بولاية نيو جرزى .

١٩٢١ في فبراير (شباط) ، في نيويورك ، أصدر الموسيقى المهجرى أنيس
فليحان كراسة في ثمانى صفحات من الحجم الكبير بعنوان « بين الضحك
واللعب » تضمنت قطعة أبى ماضى المعروفة بهذا العنوان واللحن الموسيقى
الذى وضعه لأدائها على البيانو .

في ١٠/٨ ، بمستشفى روزفلت في نيويورك ، توفيت حماته كاترين
سابا دياب بداء السرطان ، ولها من العمر ٤٣ سنة .

في الربع الأخير ، في لبنان ، اقترنت أخته جنى (أوجينى) بإبراهيم
نمر الحورى نعيمة .

في ديسمبر (كانون الأول) ، في نيويورك ، صدرت « مجموعة الرابطة

القلمية لسنة ١٩٢١ » عن المطبعة التجارية السورية الأمريكية ، تتضمن
خمس قصائد له مختارة .

١٩٢٢ في ٢٣/٢ ، رزق رتشد أول أنجالة .

في ٢٧/١٠ ، تزوج حموه نجيب السيدة أنجلينا زريق . ابنة جبرائيل
الصايغ . وكان شاهدا الإكليل إيليا وداكة سليم سمارة .

١٩٢٣ في أبريل (نيسان) ، في قوسايا البقاع بلبنان ، توفيت أخته جنى إثر
ولادتها الأولى .

في ٣٠/٦ ، في مستشفى برمانا بلبنان ، توفيت والدة حميه .
أكتوبر (تشرين الأول) ، وصل إلى نيويورك والداه قادمين من
لبنان .

١٩٢٤ في ١٧/١ كان ميلاد إدوارد ، نجله الثاني .

في ١٥/٦ . صار ثمن « ديوان إيليا أبو ماضي . الجزء الثاني » خمسة
دولارات بعد أن كان دولارين .

في أكتوبر (تشرين الأول) ، أعلن على صفحات « السائح »
و « الهدى » أنه أصبح وكيل مجلة « المقتطف » القاهرية في أمريكا .
في ٣٠/١١ ، في منزل أبي ماضي بنوروك كونيكتيكات ، عمّد
رئيس الأساقفة أفثيميوس عفيش والأب باسيليوس خرباوى إدوارد بن إيليا .
وكفل إدوارد جده نجيب وامرأة عمه سليمة .

١٩٢٥ في فبراير (شباط) ، في نيويورك ، صدرت أسطوانة « نشيد يوسف
كرم » ، تلحين وإنشاد مدحت سريجى ، أبيات أبي ماضي .

١٩٢٦ في يناير (كانون الثاني) ، وقعت بينه وبين أسعد رستم مناظرة هجائية :
في نوفمبر (تشرين الثاني) ، أعلن أن عنوانه الجديد هو ١٩ شارع
ريكتور ، نيويورك .

١٩٢٧ في يوليو (تموز) ، في نيويورك ، صدر عن مطبعة « مرآة الغرب » ديوان
« الجداول » ، في ١١٢ ص ، وبمقدمة لميخائيل نعيمة :

١٩٢٨ في يوليو (تموز) ، اعتزل تحرير «مرآة الغرب» بعد أن صرف في إدارتها أكثر من عشر سنوات .

في ٧/٢٧ . أبحر والده على الباخرة «باتريا» راجعاً إلى لبنان وسوريا .
في ١٢/١ ، أعلن أن عنوانه الجديد هو ٢ جريجورى بوليفارد بنوروك ،
بولاية كونيتيكت .

كان أحد أعضاء اللجنة التمهيدية لحفلة يوبيل جبران خليل جبران
الفضى التي أقيمت في ١٩٢٩/١/٥ . في نزل مكالين ، في بروكلن ،
نيويورك .

١٩٢٩ في ٢/٢٦ ، نشر «السائح» و «الهدى» أول إعلان عن عزمه على
إصدار مجلة نصف شهرية اسمها «السمير» .
في ٤/١٥ ، أصدر أول عدد من «السمير» .

في يونيو (حزيران) انتقلت «السمير» إلى مكتبها الجديد في الطابق
الأول من البناية رقم ٧٤ شارع واشنطن ، نيويورك .

١٩٣٠ في ٣/٢٨ ، انتخب كاتم أسرار اللجنة المؤقتة لتكريم ذكرى الشيخ
عبد الله البستاني .

١٩٣١ في أوائل العام ، في المحيثة ، توفي والده .
في ١٠ / ٤ ، في نيويورك ، توفي جبران ، وخصصت «السمير»
عددتها المؤرخ ٥/١ لذكراه .

١٩٣٢ في ٣/٢٨ ، في نيويورك ، توفيت أولغا — أخت زوجته — في عقدها
الثالث ، إثر عملية الزائدة المعوية .

١٩٣٣ في ٥/١ ، رزق روبرت ثالث أنجالة .
في مايو (أيار) استحصل حكماً على «مرآة الغرب» بنحو ١٥٠٠ دولار
في مقابل دين عليها له .

في ١٠/٣ ، عند حبيب السكاف في بروكلن ، أنشئ نادى الموسيقى
العربية ، وانتخب أبو ماضى رئيساً له .

١٩٣٥ في بنجهامتن بولاية نيويورك ، أقامت الجالية حفلة تكريم له .

١٩٣٦ في ٧/١١ ، في مستشفى ميثوديست إيبسكوبال بنيويورك ، توفي حموه إثر عملية جراحية ، وفي ٧/١٥ دفن في مقبرة جرينوود .

في يوليو وأغسطس (تموز وآب) ، تطوع للتحريض في « مرآة الغرب » ولعائنة أنجلينا - زوجة حميه - في إدارة الجريدة ، منصفاً عن الاهتمام بـ « السمير » .

في سبتمبر (أيلول) ، انتقل بعائلته من نورووك كونيكتيكات إلى مسكن جديد في بروكلن بنيويورك ، ليكون قريباً من عمله .

في ١١/٢ ، تحولت « السمير » من مجلة نصف شهرية إلى جريدة يومية ، وظهرت في ٤ صفحات من إقطاع الصحف العادي .

١٩٣٧ في النجف بالعراق ، أعادت كل من مطبعة الغري ومطبعة الراعي طبع « الجداول » بدون استئذانه .

١٩٤٠ في نيويورك ، صدر عن مطبعة جريدة « السمير » اليومية ديوان « الحمائل » ، في ١٩١ ص .

في ١٢/١٤ ، في نزل سانت جورج بروكلن بنيويورك ، أقيمت له حفلة بمناسبة نشر « الحمائل » . وقد أصدرت « السمير » عدداً ممتازاً استوعب كل ما قيل في الحفلة .

في ١٢/١٧ ، في منزل أبي ماضي ، عمه الأب مكاربوس المر روبرت بن إيليا . وكان كفيل روبرت المطران أنطونيوس بشير وسليمة امرأة عمه .

١٩٤٣ دعا توفيق فخر للتعاون معه في تحرير « السمير » ، فلي هذا الدعوة ، ورافقه حتى النهاية .

في ٣/٢٢ ، في مدينة نيويورك ، توفيت والدته سامي ، وكانت تقطن في المنزل رقم ٢٥٣ شارع ٨٤ في بروكلن . وفي ٣/٢٤ صُلّيَ على جثمانها في كاتدرائية القديس نيقولاوس الأرثوذكسية ، ثم شيعت إلى مدفن جبل الزيتون حيث وُوريت .

في ١٠/٥ ، في بروكلن نيويورك ، ترأس حفلة تأبين الطبيب الشاعر رزق حداد ، التي أقيمت في قاعة الدفان وولدك .

في ٣١/١٠ ، دشن المبنى الجديد لجريدة « السمر » ، وقد أقيمت حفلة ترأسها إبراهيم قرعان .

١٩٤٤ في مارس (آذار) ، عرض فيلم « رصاصة في القلب » ، وفيه غنى الموسيقار محمد عبد الوهاب مقاطع من قصيدة « الطلاس » .
في ١٤/٧ ، توفيت المطربة أسمهان قبل أن تغنى أبياتاً من قصيدة « المساء » ، كان قد لحنها لها رياض السنباطي .

١٩٤٦ في ٢/٢ ، في بروكلن نيويورك ، ترأس الحفلة التي أقيمت في منزل عبد المسيح حداد ، بمناسبة زفاف ليلي ابنة الأخير على فريدريك عبد النور .

في ٢٧/٣ ، في بروكلن نيويورك ، ترأس حفلة تأبين نسيب عريضة التي أقيمت في قاعة الدفان وولدك .

١٩٤٧ في ٢٤/٥ ، في ميلفورد بنسلفانيا ، ترأس حفلة تأبين نجلاء صباغ التي أقيمت في الكنيسة الكاثوليكية .

في الصيف ، عهد إلى محام في بيروت أن يلاحق الدعوى ضد إبراهيم الزين صاحب مكتبة العرفان لطبعه ديوان « الجدول » بدون استئذانه .
كما سلم إلى محام آخر الدعوى ضد المطرب محمد عبد الوهاب .

١٩٤٨ دعت الحكومة اللبنانية ممثلاً لصحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت ما بين ١٧/١١ و ١٢/١١ .

في نوفمبر (تشرين الثاني) ، في بيروت ، أخرجت مكتبة صادر طبعة ثانية لـ « الحمائل » ، صادف ظهورها زيارته للبنان .

في ١١/١١ ، وصل إلى مطار دمشق قادماً من الولايات المتحدة .

في ١٤/١١ ، زار المحيثة مسقط رأسه ، وهناك في نادي المدرسة ، أقيمت له حفلة تكريمية .

في ٢٧/١١ ، أذيعت مقتطفات من شعره ، كانت مديرية الدعاية

والنشر والإذاعة قد دعتة لإلقائها .

في ١٢/٢١ ، صدر مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق اللبناني الفخري المذهب .

١٩٤٩ في ١/٤ ، في فندق الريجننت بيروت ، أقام هو حفلة ترأسها فؤاد عمون ، مدير الخارجية العام ، الذي علق على صدره وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط .

في ١/٦ ، في مدرج الجامعة السورية بدمشق ، أقامت الحكومة السورية حفلة له برعاية الرئيس شكري القوتلي الذي علق على صدره وسام الاستحقاق الممتاز .

في ١/١٦ ، غادر دمشق عائداً إلى أمريكا على إحدى طائرات شركة بان أميريكان .

١٩٥٠ في ٥/٣٠ ، في بروكلن نيويورك ، ترأس حفلة تأبين ندرة حداد التي أقيمت في قاعة الدفان وولدك .

في أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ، دخل مستشفى باي ريدج ، في بروكلن نيويورك ، وفي ١٢/٩ غادره . وقد حضر أخوه مراد ، من ميامي فلوريدا ، للإشراف على « السمير » .

١٩٥١ في ٩/٨ ، في الكاتدرائية الأرثوذكسية ببروكلن نيويورك ، تزوج ابنه رتشد من ماري لويز كيرك . وقد بارك القران المتروبوليت أنطونيوس بشير . وكان الشاهدان روبرت شقيق العريس ، وجين شقيقة العروس . والمناسبة أقيمت حفلة في قاعة فندق بوسرت ، ببروكلن ، وكانت أول مرة ينحطب فيها أبو ماضي بالإنجليزية .

١٩٥٢ في الربع الأخير ، في نيويورك ، نشر أخوه مراد « السنابل » ، في ٢٠٨ ص .

١٩٥٤ في ١٢/٥ ، احتفل بيوبيل « السمير » الفضي . وكان منظم الحفلة توفيق فخر .

١٩٥٥ في فبراير (شباط) ، أتهمه روكس بن زائد العزيزي بسرقة قصيدة

« الطين » من شاعر بدوى اسمه على الرميثي ، قيل كان يعيش في البادية الأردنية في النصف الأول من القرن التاسع عشر .

١٩٥٧ في الربيع ، حجب « السмир » ، وباع المطابع وموجودات الإدارة .
في يوليو (تموز) اضطر إلى دخول المستشفى النرويجية ، في بروكلن .
في ١١/٢٣ ، في بروكلن ، توفي بالسكتة القلبية ، وكان يقطن المنزل رقم ٢٥٩ شارع ٨٥ .

في ١١/٢٥ ، نشرت أرملته وأولاده وشقيقه نعيًا في « الهدى » .
وفي نفس اليوم أقامت الجالية حفلة تأبين في قاعة كاتدرائية القديس نيقولاوس الأرثوذكسية ، في بروكلن ، حيث كان يرقد جثمانه . وقد ترأس الحفلة صديقه فوزي البريدى . وفي هذه الحفلة ، أعلن إميل مطر ، قنصل لبنان العام ، منح الحكومة اللبنانية الفقيد وسام الأرز الكبير من رتبة كومندور .

في ١١/٢٦ ، صلى المتربوليت أنطونيوس بشير على جثمانه في الكاتدرائية ، ثم شيع ووُوري . وقد ودعه شقيقه مراد بأبيات رقيقة .
سجلت إحدى شركات التلفزيون مناظر الجنازة ووقائعها ، كما سجلت جميع الخطب التأبينية على شريط صوتي .
في ١٢/١٨ ، نشرت « البيان » النيويوركية عددًا خاصًا لما قيل في الشاعر .

١٩٥٨ في ١/٢٣ ، في منتدى الجامعة الأمريكية ببيروت ، أقيمت حفلة ذكراه ترأسها ميخائيل نعيمة ، كما أقيمت حفلة أخرى بدار المعلمين العالية ببغداد .

في ١/٢٨ ، في النادي العربي بدمشق ، أقيمت حفلة ذكراه بحضور الرئيس شكرى القوتلى الذى أصدر مرسومًا بمنحه وسام الإخلاص من الدرجة الممتازة .

في فبراير (شباط) ، قرر مجلس بلدى بيروت إطلاق اسمه على أحد شوارع العاصمة تكريمًا له :

في ١٢/٢ . في القاهرة . أقامت جمعية الأدباء المصريين ندوة عنه ،
 قدّمها عبد الحليم عبد الله . واشترك فيها : شوقي ضيف ، كمال نشأت ،
 محمد عبد الغنى حسن ، محمد مندور .

١٩٦٠ في يناير (كانون الثاني) ، في بيروت ، نشرت دار العلم للملايين أول
 طبعة لديوان « تبر وتراب » ، بعد أن أشرف على إعداده جورج صيدح .
 في ١٨/٩ ، في كنيسة القديس جورج بواشنطن العاصمة ، تزوج ابنه
 روبرت بجلوريا آن ابنة سليم وكاترين شامة ، على يد المطران أنطونيوس
 بشير .

١٩٦٢ في ١٢/٥ ، في ميامي فلوريدا ، توفي شقيقه مراد بمرض في كليتيه .
 ١٩٦٨ في الصيف ، توفي ابنه إدوارد في نيويورك . كما زار روبرت المحيطة
 مسقط رأس والده .

١٩٧٢ في الصيف ، زارت أرملة دوروثى لبنان لأول مرة .

البَابُ الثَّانِي

أَشْعَارُ مَجْهُولَةٍ

مقدمة الباب الثاني

يرجع اهتمامي بالأدب المهجري إلى أيام دراستي في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، عندما كان أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين يحاضرنا في هذا الأدب . وبقى معي هذا الاهتمام ، وازداد مع الأيام . فلما سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وانتهيت من دراساتي العالية ، وجاء دور اختياري موضوع رسالة الدكتوراه ، اخترت إيليا ظاهر أبي ماضي كشاعر . وانقطعت بعدها ، لثلاث سنوات متتابة ، إلى تحليل دواوين الشاعر الخمسة المعروفة تحليلاً زمنياً ، لتحديد معجمه اللغوي وكذلك تطوره ، مستخدماً في ذلك « الكومبيوتر » . وجرتني هذه الدراسة إلى تأريخ جزء كبير من أشعار أبي ماضي المعروفة ، وإلى اكتشاف أن هناك أشعاراً له لم ينشرها شاعرنا . فأخذت أجمع هذه الأشعار المجهولة الثابتة حتى تجمع لدى هذا الديوان الجديد الذي أضعه بين يدي القارئ ، والذي يبلغ ١٥٧٠ بيتاً . فإذا عرفنا أن مجموع أبيات دواوين أبي ماضي الخمسة المتداولة هو ٨٣٤٠ بيتاً ، رأينا أن الزيادة الجديدة مقدارها ٨٢ ، ١٨ في المائة ، وهو مقدار له وزنه حتى لو نظرنا إلى هذه الأشعار المجهولة نظرة كمية بحتة .

ولا أدري لماذا لم ينشر أبو ماضي هذه القصائد ضمن دواوينه . أكان « يهملها خشية الناقدين ؟ » ، كما يقول جورج صيدح في « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية » (ط ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٩) ، أم أن هناك أسباباً أخرى دفعته إلى ذلك ؟ لقد تعمّد مثلاً أن ينسى « إلى النابح العاوي » — كما تعمّد أن ينسى غيرها — وكأنها لم تُنظم ، وهي القصيدة التي كتب عنها « معجب » ، في « مرآة الغرب » ، ١٩٢٦/٢/١٩ ، ص ٤ ، يقول :

« على أني أقدر أن أقول إن القصيدة التي ظهرت في
« المرأة » منذ عهد قريب بلا توقيع سيكون حظها من
الخلود كبيراً لما فيها من السلاسة والرقّة وأداء المعنى المبتكر

بلا تكلف ولا تعسف ، مما يشهد لناظمها بالمقدرة على
التصرف بالمعاني والألفاظ كما يشاء .

إن تلك القصيدة ستخلد ، وإن كان صاحبها على
ما يظهر من تكتمه لا يود لها الخلود . فإن بقاء القصيدة أو
زوالها لا يتوقف على رغبة ناظمها ، ولا على رغبة سواه ،
ففيها من الأبيات ما يصح أن يستشهد به الناس في كل
زمان ومكان .

وسواء أكان هذا الديوان ، كله أو بعضه ، من جيّد شعر أبي ماضى أم ليس
من جيده — حسبما كان حكم القارئ عليه — فهو لا يجب أن يغفل في دراسة شاعرنا
خاصة ، وفي دراسة الأدب المهجري عامة ، من ناحية ، ولا في الدراسة اللغوية من
ناحية أخرى . فكم تعثرنا في دراستنا الأدبية واللغوية على السواء بسبب إهمال النصوص
وفقدائها . وكم كان صادقاً جورج صيدح حين قال ، في كتابه ص ١٢٩ :

« عندنا تراث غال من شعر المناسبات تركه لنا الشعراء
التقداى ، وزاده غنى الشعراء المحدثون والمعاصرون ، فإن
أهملائه قد لا يخسر الشعراء شيئاً ، ولكن الأدب العربي
يخسر أشياء . وأية خسارة أفدح من أن نهمل ديوان
المتنبى برمته ، ونصف « الشوقيات » ، وقسماً كبيراً من
شعر القروى وأبو ماضى وفرحات ؟ » .

وكما سيرى القارئ ، فإن معظم شعر هذا الديوان شعر مناسبات . والمناسبة —
كما يقول جورج صيدح أيضاً ، ص ١٢٤ — ١٢٥ :

« لا تعيب الشعر قدر ما يعيبه نقصان الحس والتجربة
الفردية والعبرة الإنسانية في المناسبة . وليس على الشاعر أن
يخلق عاطفته في المناسبة ، بل أن يمثل عاطفة المجتمع
في عاطفته ، سواء شكر أو امتدح أو رثى أو هجا .

المناسبة عند شاعر كإيليا أبو ماضى ، لا تخلق الأفكار

والحواطر ، بل تهيئ لها فرصة للظهور . وإنك لتقرأ قصائد المناسبات في ديوانه فتشعر أنه غمر المناسبة وسما فوقها لأن روحه تحركت بإلهام صادر من النفس لا من خارجها . وأنت لا تهتم بالمحرك الذي هو المناسبة ، إلا كما تهتم باليد التي أدارت زر الكهرباء حين امتلأت غرفتك بالنور .

ولا شك أننا نستقي معلومات جديدة عن أبي ماضي من قراءتنا لهذه الأشعار المجهولة . فنحن نعرف الآن أن « اللواء » و « العلم » و « الشعب » القاهرية ، كانت من الجرائد التي نشرت أشعاراً لأبي ماضي أيام كان في مصر . ونعرف أن أبا ماضي لم يكن جديداً على الحالية العربية عندما جاء إلى سنسنانى أوهايو أواخر عام ١٩١١ ، فقد تقدمته قصائده إلى أمريكا — قبل أن يحل بها — على صفحات الجرائد المهجرية . ونعرف أيضاً أنه كان قادراً على الدعابة البريئة قدرته على الفلسفة المتعمقة ، وقادراً على المناظرة الشعرية الحسبية قدرته على المناظرة الهجائية ، وأنه لم يكن يلجأ إلى الهجاء لطبيعة فيه ، وحبه لهذا الفن ، وإنما كان يلجأ إليه مضطراً للدفاع عن نفسه . ونعرف أنه كان مجيداً في هذا الفن الشعرى إجادته في غيرها من الفنون الشعرية ، وأنه كان نبيلاً مع خصومه ، كريماً ، فلم يعبأ بنشر أى من قصائده الهجائية في أى من دواوينه ، بل تركها للنسيان مطوية في صفحات الجرائد . ثم نعرف أن الرجل كان ذا وعى إنسانى يدفعه إلى الدفاع عن المظلوم أينما كان وأينما وجد ، وأنه كان شجاعاً غير هباب ، يبدى رأيه دون خوف . ثم نعرف أيضاً أنه كان قوى الذاكرة ، قادراً على ارتجال الشعر في الحفلات عندما يطلب إليه ، وأنه كان يحب الطبيعة حباً جعله يحلها محل الصدارة حتى في مرثيته . ثم إنه كان قارئاً واسع الاطلاع ، مستوعباً لما يقرأ ، مما جعل مستودعه اللغوى كبيراً ، وأن بعض مطربي المهجر لحن بعض قصائده وغناها . هذا بعض ما نستدل عليه من هذه الأشعار المجهولة .

وكنتم أود — لإتمام الفائدة — تذييل الأشعار ببعض الشروح والتعليقات ، وتذييل الكتاب ببعض الفهارس ، ولكننى — رغبة في عدم تضخيم الكتاب — اكتفيت

بإيراد الأشعار مع بيان مصادرها . هذا ، وقد رتبت الأشعار ترتيباً زمنياً ، مفضلاً هذا الترتيب على الترتيب الموضوعي أو الترتيب حسب القافية .

أما نسخ دواوين أبي ماضي التي اعتمدت عليها وكانت مرجعي في تحديد الأشعار المجهولة فهي :

١ - « ديوان تذكّار الماضي » ، الجزء الأول . الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ . ص ٨٥ .

٢ - « ديوان إيليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني . نيويورك ، مطبعة مرآة الغرب اليومية ، ١٩١٩ . ١٩٢٠ ص .

٣ - « الجداول » . نيويورك ، مرآة الغرب ، ١٩٢٧ . ١١٢ ص .

٤ - « الحمائل » . نيويورك ، مطبعة السمر اليومية ، ١٩٤٠ . ١٩١ ص .

٥ - « تبر وتراب » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ . ٢٣٢ ص .

وطبعة هذه النسخ هي الطبعة الأولى الأصلية التي أصدرها أبو ماضي بنفسه ، باستثناء « تبر وتراب » الذي أشرف على إصداره جورج صيدح ، بعد وفاة الشاعر . فأى أشعار لأبي ماضي لم ترد في هذه الدواوين اعتبرتها أشعاراً مجهولة .

بقي أن آمل أن يكون عملي هذا فاتحة اهتمام جديد بأدب المهجر .

إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش

لئن حجبوك عن مقل البرايا
وإن تكُ قد حُبِسْتِ وأنت حر
كبير القوم أكبرهم خطوباً
لقد أعلَيْتِ قدر السجن حتى
ولا عجب إذا أُسْكِنْتَ فيه
تعددت الطيور فلا حبيس
يقول الشامتون : السجن يُزرى
وما في صحبة الأشرار عيب
فصبراً، يا نزيل السجن ، صبراً
وحسبك عطف هذا الشعب فخرًا

فما حجبوا هـواك عن الصدور
فكم في الحبس من أسد هصور
لذاك رُميت بالخطب الكبير
أحب السجن سكانُ القصور
فكم في الليل من قمر منير
سوى الغرد الجميل من الطيور
لئن صدقوا فبالحنان الكفور
على الداعي إلى ترك الشرور
فما عرف الهناء سوى صبور
وحسب عداك توبيخ الضمير

مصر والاحتلال

خَلَّتْني أَسْتَصْرِخُ القومَ النياما
 لا تَلُمُ في نَصْرَةِ الحقِ فتي
 أو فَلَئِمْنِي إن قَلْبِي كَلَّمَا
 سوف أَشكو الهَمَّ إن أَحْرَجْنِي
 وَقِفَةٌ في شَاطِئِ « النيل » مَعِي
 وَأَنْسَاجِيهِ أُمَانِي أُمَّة
 عِلَّةٌ يَبْعَثُ مِنْ أَسْرَارِهِ
 قَسَمًا بِ « النيل » لو أَنَّ بِهِ
 لَسْتُ أَنْسِي لَيْلَةً بَتُّ بِهَا
 أَرْقُبُ الْأَقْمَارَ فِي أَفْلَاكِهَا
 لَمْ يُوَرِّقْنِي اشْتِيَاقُ أَوْ هَوَى
 رَاعَ نَفْسِي أَنَّ « مِصْرًا » رُوِّعَتْ
 حَسَبَ « مِصْرٍ » أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي
 وَبَنِيهَا إِنَّهُمْ نَسْلُ الْأَلَى
 كَرَمَتْ « مِصْرًا » وَأَهْلُوهَا فَمَا
 كَانَ لِلْأَحْرَارِ فِيهَا مِثْلُ
 ثُمَّ هَاضَ الدَّهْرُ مِنْ جَانِبِهَا
 أَرَبِي « مِصْرًا » عَلَى رَغْمِ الْعَدَا
 لَسْتُ مِصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبَةً
 أُمَّةٌ تَرْتَقِبُ اسْتِقْلَالَهَا

أَنَا لَا أَرْضِي لـ « مِصْرٍ » أَنَّ تَضَامَا
 هَاجَهُ الْعَابِثُ بِالْحَقِّ فَلَامَا
 زِدْتُ فِي تَعْنِيفِهِ زَادَ هِيَامَا
 رَبَّمَا خَفَفْتُ الشُّكُورَى السَّقَامَا
 نَقَرْتُ « النيل » التَّحَايَا وَالسَّلَامَا
 مَنَعُوهَا مَاءَهُ إِلَّا لِمَامَا
 قُوَّةٌ تَبْعَثُ فِي الشَّعْبِ اعْتِرَامَا
 مَا بِنَفْسِي مِنْ جَوَى سَالِ ضَرَامَا
 وَالْأَسَى يَدْفَعُ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا
 مِثْلُ مَا يَرْقُبُ رَاعِيهَا السَّوَامَا
 مَا الْهَوَى بَغِيَّةٌ مِنْ بِالْمَجْدِ هَامَا
 بِأَبِي « مِصْرٍ » وَمَنْ فِيهَا أَقَامَا
 أَمِنْ اللَّهِ بِهَا « الْبَيْتِ الْحَرَامَا »
 عَرَكُوا الدَّهْرَ فَتِيًّا وَغَلَامَا
 نَقَضَتْ عَهْدًا وَلَا خَانُوا ذِمَامَا
 يَعْصِمُ الْحَرْفُ لَا يَخْشَى اهْتِضَامَا
 إِنَّمَا يَهْتَضِمُ الدَّهْرُ الْكِرَامَا
 لَسْتُ أَعْنِي بِالْعَدَا إِلَّا الطَّغَامَا
 بَيْنَنَا تَجْمَعُ « مِصْرًا » وَ « الشَّامَا »
 مِثْلَمَا يَرْتَقِبُ الصَّادِي الْغَمَامَا

ما لهم يسعون في إيدائهما ؟
 زعموا إصلاحهما وهي التي
 حبسوا « النيل » على نفعتهم
 فإذا ما صرخت تشكو الصدى
 أنكروا خطوتها نحو العلاء
 ورمىوها بالتواني ، ويحهم
 قد خلت تسعة أعوام على
 وانقضى العمر ولما تنجلوا
 مارمت سهمًا ولا سلّت حساما
 ما شكت غير هموداء عقساما
 وأعضوها من الرى الأواما
 جعلوا القانون في فيها بلحاما
 « رَبِّ ذِي لَبِ عَنْ الْحَقِّ تَعَامَى »
 أحمول إنها تهوى السلاما ؟
 شقوة « النيل » سوى عشرين عاما
 فإلامَ أيها القوم ، إلا ما ؟

* * *

كبتلوا أقلامنا جهدكم
 وإذا عزّ عليكم أننا
 وإذا عزّ عليكم أننا
 ينزع الأرواح من أجسادها
 إنما ينقلب الأمر إلى
 وامنعوا الألسن والصحف الكلاما
 في وثام فانشروا فينا الخصاما
 في حياة فابعثوا فينا الحماما
 أوفكونوا أنتم الموت الزواما
 ضده إن جاوز الأمر التماما

روزفلت ومصر

خطيب الأمس ما أنصفت «مصر»
ولكن كنت للباغي علينا
لعمرك ما حَلَلْتَ بنا صديقاً
أطعت بنا الرشاة ، وما عهدنا
كأنى بـ « العميد » إليك أوحى
تحاول أن تحببهم إلينا
وتأمل أن نبیت على قنوط
أيا ضيف « الكنانة » جُرْتُ فاقصُدْ
أنرجو أن تكون لنا نصيراً
لقد خدعتك ، يا «روزفلت» ، منهم

ولا أنصفت ماضيك القريباً
أقوى ، إن للباغي ضريباً
ولكن كنت طَوَّافاً مُريباً
- وحقك - واشياً إلا كذوباً
بما أوحى ، فقامت بنا خطيباً
متى ألفتنا نهوى الخطوباً ؟
كأن اليأس ما قتل الشعوباً
فما شعب « الكنانة » دون « كُوباً »
وترجولو تكون لهم حبيباً ؟
زخارف تخدع الفطن الأريباً

عيد الحرية العثماني

هذا مجال ، فهل في الحى قَوَّالٌ ؟
 ما أجمل القول والآذان صاغية
 حسبي وحسبك أن الشمل ملتئم
 وحسب شعرك هذا العيد من سبب
 لم يبق في الشرق من قطر ولا بلد
 فانشروا قوافيك في الآفاق ، فهي على الـ
 إني أراك مطاعاً في شواردها
 إن القوافي إذا أحكمت عقدتها
 وإن أجَدَّتْ فلا تعباً بذى سفة
 فقيم صمتك لا واشٍ ولا رَصْدٌ
 إن كنت تبخل بالأقوال تملكها

إني على العجز في المضمار جَوَّال
 والصمت حيث على الأسماع إقفال
 والصفو دان وللأيام إقبال
 إذا نَبَتْ بك أسباب وأوصال
 إلا وفيد احتفالات وحُفَّال
 أكباد ماء وفي الأذواق جِرِّبال
 مانت ممن على الأشعار يحْتال
 فما يعيبك إكثار وإقلال
 فحيثما كان مجد كان عذال
 يُخْشَى ولا ظالم لِلْحُرِّ يغتال ؟
 فكيف جودك بالدنيا ولا مال ؟

* * *

طال السكوت ، ومالي فيه من أَرْب
 عيد إذا عُدَّ في الأعياد زَيْنَهَا
 عيد رآه ذَوُّ الحاجات فابتسموا
 تفاعلوا أن « تَمْوِزاً » يكون لهم
 « تموز » أنت مُنِيلُ الشرق بغيته
 بتنا نود شهور العام أجمعها

وإنما بي لهذا العيد إجلال
 كالشمس في الشهب ، هل للشمس أمثال ؟
 شوقاً وكم لذوى الحاجات آمال
 عيداً كغيرهم ، قد يصدق الفال
 في حين أَسْمَحُ قَوْمٍ فيه بُخَّال
 « تموز » أو أن يوم العيد أجيال

* * *

باد الزمان الذي تُخْشَى غوائله
 وبات طاغية الأملاك مُعْتَقَلَا

فينا ، وبُدِّلَتْ الأحوال أحوال
 له من الهَمِّ أَصْفَادٌ وَأَغْلَال

لم أنسه — وهو في « يلديز » ممتنع
والشعب قد جاش كالبركان من غضب
والجيش مندفع كالسيل من حثق
وللقذائف حول القصر فرقعة
وللبنادق أصوات إذا طرقت
لما رأى الموت أمسى منه مقرباً
أمسك عليك دموعاً غير مجدية
نقضت عهدك لما صرت مؤتمناً
قم فانزع التاج طوعاً قبل تنزعه
ودّع سرير « بنى عثمان » عن كذب
الملك لاق به من « الرشاد » حيجي
به المنازل أضحت وهي عامرة

* * *

خوف المنية ، إن الخوف قتال
أو الغضنفر بانت عنه أشبال
والبيضُ مُشرعةٌ والرمح عَسَّال
يكاد يحدث منها فيه زلزال
أذنيه أيقن أن الشعب فعَّال
بكى بكاء صغير ما له آل
دمع المضيق دمع الشعب إذلال
لو عاهد الذئب أوفى وهو ختال
عنك العوالى فقد ضاقت بنا الحال
ما أنت أهل له ، لملك أقيال
هيهات ما لـ « رشاد » الملك أمثال
وكنت فيها وكانت وهي أطلال

« دار السلام » سقتك السحب هامية
إني أرى فيك « بغدادا » وأبصر في
يعدني القوم من نزال « مصر » ولي
إمّا ثنت بصرى عنك الجبال فما
يادرة الشرق ، دمت الدهر حالية

مادام للسحب في الأكوان تجوال
برُد « الرشيد » « رشاد » الملك يختال
قلب على البعد ممن فيك نزال
كانت لتحجب سمعى عنك أجيال
فالشرق لولاك أمسى وهو معطل

نفثة مبدور

سوى « لبنان » يفتته فؤادى
 بلاد الله واسعة ولكن
 بلاد قد طبعت على هواها
 فما أنفك أطمح للمعالي
 يصوب كل حين كل سهم
 لقد كثرت خطوب الدهر عندى
 لعمر أهلك لو كانت نضاراً
 نحت من الهموم ، فلو ترانى
 ولا أدري وقد طال اغترابى
 فلو لا يشمت الأعداء منى
 أضن به ولى قلب كريم
 شعوب لا تعد ولا كفو
 أحزن إلى لقاءهم وأصبو
 يكاد الشوق ينقلنى إليهم
 ترى ، هل عندهم أنى ودهرى
 فى أرق إذا غفلوا وناموا
 كرام فى زمان ليس فيه
 يزبنون النجاد إذا احتبوه
 شمس يستضاء بهم ، غيوث
 ولكن ساءت الأحكام فيهم

وغير بنيه أمنعهم ودادى
 تضيق لى إن ضاقت بلادى
 كما طبع الزمان على عنادى
 ولا ينفك ييخل بالمسراد
 إلى فلا يصيب سوى فؤادى
 ولم تبرح لى على ازدياد
 أمت عليه من داء الفساد
 لما ميزت طينى من سوادى
 لمن أشكو وقد طال انفرادى
 جرى دمعى فأزرى بالسهاد
 جواد لا يضمن بمستفساد
 تساوى باعتقادهم اعتقادى
 كما حنت إلى الماء الصوادى
 لو ان الشوق ينقل غير بساد
 لأجلهم أبيت على جهاد ؟
 وفى خسوف ولو أمنا العوادى
 كريم الكف فى الكرب الشداد
 ويزدان العوالم بالنجاد
 إذا سئلوا ، ليوث فى الطراد
 فسأوا سمعة فى كل ناد

تمادوا في التساهل مع أناس
فراج الظلم حتى بسات سهلا
وبات العدل مضطهداً لديهم
فيا لهفي على « لبنان » يمسى
عليل يستغيث ولا طبيب
يسوم الساكنيه الحسف غير
وأحزاب كما أدرى وتدرى
رأوا في الشعب راحلة ذلولا
وفي « لبنان » مرتبعا خصيبا
فما تركوا لنا مجداً طريفاً
ستأتيهم شوارد مقلقات
أشد على النفوس من المنايا
يُحَبَّرُها فتى في الشعر فذ
يغرم سكوت الشعب حيناً
ولا يدرون أن الشعب سيل
وبحر ليس يسلم راكبوه
فإن يرقد فإن لكل جفن
لنا دَيْن عليهم غير نذر
فإن دامت حمايتهم وداموا
فأنذرهم بيوم مستطير
تنوب به عن القلم العوالي

تمادوا في النقائص والفساد
وإن الظلم أجدر بالكساد
وهم أولى بذلك الاضطهاد
وأهلوه على وشك الحداد
ومأسور وليس هناك فاد
غوى ضل عن نهج الرشاد
تنادى بالوفاق ولا تنادى
على وهن ، فكانوا كالقُراد
على ضعف فكانوا كالجُراد
ولا أبقوا على مجد تلاد
تقيم الهاجعين عن الوساد
ومن وقع السيوف على الهوادي
« حبيب » دونه و « أبو دؤاد »
ولا يدرون ما تحت الرماد
إذا ما انصب أفعم كل واد
فإن البحر صعب الانقيساد
ولا نكر نصيباً في الرقاد
وإن الدَّيْن أخرى بالسداد
ودام الظلم يجرى في العباد
يطير لهوله قلب الحماد
وأنهار الدماء عن المسداد

نجوى لبنانى

مهما تغالى فيهما المداحُ
دأبى الجهاد وغايتى الإصلاح
أعلىّ فى حب البلاد جنّاح ؟
صرفت فؤادى عن هواك رّداح
غير السلو لمن أحب يتّـاح
قلب إلى نيل العلى طمّاح
وكفّاك أنى البلبـل الصّـداح
تجرى به فوق الطروس الراح
بعض السكوت كأنه إفصاح
عمّداً ، لكى تتخاطب الأرواح

لا الغيد تصببى ولا الأقـداحُ
إنى امرؤ كليل يدرك العلى
أهوى بلادى دانيّاً أو نائيّاً
«لبنان» ، لست أبى ، ولست فتاك ، إن
زعم العواذل أن سلوتك ، ويحهم
ما إن هجرتك عن قلىّ لكنما
«لبنان» ، حسبي أننى لك أنتمى
أشدو بذكرك ما بقيت ، ومرقمى
قالوا : سَكَّتْ . فقلت : ليس بضائرى
فلربما صَمَّتَتْ شفاه ذوى الهوى

* * *

لا الحزن يجمعهم ولا الأفـراح
ويميل أنى مالت الأرياح
شيعاً ، وليس مع الخلاف نجاح
كالفلـك تجرى ما لها مـسـالـح
وبنوك كوكب سعدهم وضّاح
حلل ، ومن نسج الفخار وشاح
واليوم بات حماك وهو مباح
أكدار ، إلا الماء فهو قـراح
فعلام ليس ليلنا إصباح ؟

شيخ الرواسى ما لأهلك أصبحوا
كالغصن يَسْكُنُ كلما سَكَنَ الصَّبَا
عبثت بهم أهواؤهم فتفرقوا
لا يملكون مع الزمان قيادهم
لله أنت إذ الزمان مسالم
أيام كان عليك من صنع العلى
بالأمس يرهبك الزمان وصرفه
لم يبق شيء فيك لم يعلق به
أضحى صباحاً ليل «مصر» بـ «يوسف»

سعدت به وبعهده ، في أرضنا
وتنال كف الظلم كل أخى نهى
فكان «بيت الدين» أصبح «يلدزا»
نرجو الصلاح من الفساد جهالة
يشقى الأمير ويرهق الفلاح
حر، ويخفى الحق وهو صراح
وكانما هو ذلك السفاح
هيهات ، ليس مع الفساد صلاح

* * *

أبناء ذا الجبل الأشم ، تحية
حتام أنتم مغمضون على القذى
أجهلتم أن البقاء تنازع ؟
فمتى أراكم طارحين خمبولكم
بالعلم فاعتصموا فلم أرسبته
فالعلم في الرجل القوى فضيلة
هؤلاء أهل «الغرب» قد بلغوا «السهي»
«فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
تزكو ويزكو نشرها الفيحاح
لا تنهضون كأنكم أشباح ؟
أنسيتم أن الحياة كفاح ؟
ولكم غدو للعلی ورواح ؟
كالجهل ، فهو لأهله فضاح
والعلم في الرجل الضعيف سلاح
مجدأ ، وما غير العلوم جنّاح
إن التشبه بالكرام فلاح »

عتاب إلى إلياس عطا الله

يا روح «إلياس» ، بالأرواح نفديك
لولا تجنّيك لم أحسد أنا ولع
لسم الصدود وما قلبي بمنصرف
«كاتبنا مرة في العمر واحدة»
إن المليكة تُفدّي بالممالك
ما كان أسعدني لولا تجنّيك
إلى سواك ، ولا سرى بمهتوك ؟
ثن ولا تجعلها بيضة الديك

* * *

«نيويورك» ، يا من فتنت الخلق كلهم
أخو سجايا . لو ان الله فرقها
هلال لطف وظرف غير منخسف
يجود للناس بالعقيان مرقمته
فاقت كتابته الكتاب قاطبة
لو كان يكتب لا «إفرنج» كان له
لو كنت ذا نشب أهديته نشبي
شاء الزمان — ومن يعصى مشيئته ؟—
لو لم يترك الدهر قدماً لا كفاء به
يمشي إلينا على تيه يكائرننا
حتى لتحسب «كسرى» من بطانته
وكان يهتز قبل اليوم من طرب
دنياى اقد ضاع فيك كل ذى أدب

* * *

يا نفس ، إن الليالى غير عاقلة
صبراً ، فإن تنقضى أركبتنى خشناً
لعلماً رقعة تحظى العيون بها
فإن شكوت أذاها بت أشكوك
أو تقنطى فلقد أشمت شانيك
من الحبيب فتشفيها وتشفيك

٨

اليهودى النائه

أو كل حامل كشكول

أكل يوم مخرقه من أحق ذى غرر
وكل يوم طارق كذا الذى طهاف عليه
ويشير السدين فيه فما نراى شبح
وما أصاب موصداً وما رأى مائدة
أعجبه سمنكم يمتص أموالكم
يملاً من جيوبكم إن تستحبوا لا يستحي
جارى « اليهودى » نائها فاليوم فى منطقته
يا حامل « الكشكول » فى
وقصة ملفقه ؟ أو جاهل ذى فيقهه
ياخذكم بـ « الهيقة » كم يستدر الصدقه
كم ، وهو رب الزندقه منكم إلا لحقه
فى الحى إلا طهرقه إلا أمال عنقه
فصار مثل العلقه مص الهجير الزنبقه
جيوبه المخرقه كذا الإله خلقه
بل بزّه ، بل سبقه وفى غد فى منطقته
عائق ، أين « المنطقه » ؟

* * *

ما عجبى من رجل بل عجبى من مفترق
صار قفاه مفترقه قد صار خلف العنقه

بل يا لها من مزلقه !
 يفضاء مثل « الشرنقه »
 وفي الهجير مبصقه
 غوث فيه قلقة
 ظنته قبه حلقه
 أنف الكبير « المطرقة »

فيا لها من قرعة
 دائرة مثل السرحى
 في البرد تغدو جمدا
 رأس تظل أرجل البر
 فلو تراه حاسرا
 هذا هو « السندان » والـ

* * *

أضاع شعري رونقه
 في الشبارات المونقه
 رعى الجفون الحبدقه
 أجهل من « هبنقه » ؟
 فحاذروا أن يهـرقه
 ساد منكم « عرقه » ؟
 وقد عرفتم منطقـه
 أحسن منه النـنقه
 ه القرد « طاح الحلقه » !
 هل فيه إلا موبقه ؟
 ضريبة أو نفقه
 كأنه مطلقه
 ملاق أبدى ملقه
 وهو أجـاج « مرقه »
 تساعها ك « البندقه »
 تجهل إلا الشقشقه
 وألسن مفرقه
 كما تراعى موثقـه
 وافق شن طبقـه

عق بناني قلمي
 ولا أطاعتني القـوا
 إن كنت لا أربناكم
 إلام يستجهلكم
 دم القلوب مالكم
 أتجعلون عرق الأجم
 أراقكم منطقـه ؟
 أم صوته ؟ وصوته
 أم وجهه ؟ ولبورا
 قوموا اقرأوا تاريخه
 في كل يوم يبتغى
 كأنكم بعولة
 بل كلما أحس بالـ
 فصور البحر لكم
 وصور الأرض على ا
 وحولـه عصابة
 ضمائر ميتة
 يرعى لها عهدـها
 قد وافقتـه مثلما

لكنها لعلية	قد نزعته منه الثقه
والله ، لو كان قصصاً	صُ « النَّصْبِ » مثل السرقه
لأصبحت أيديهم	مقطوعه مُعلّقه
وأبصرت أعينكم	أتقاهم في المشنقه

وَقِفْ عَلَيْكَ الشُّعْرُ إِلَى كُلِّ حَامِلٍ كَشْكُولٍ

يا صاحب الكشكول ، طال لك البقا
ما أنت أول ذى رياء أخفقا
هيهات أن تعظ الحوادث أحمقا
حتى العصا ، وعييت أن تتخلقا
متبجحاً ، متنطعاً ، متفسيها
متملقاً من يعشق المتملقا
فمتى أراك على الورى متصدقا ؟
وتلفتوا فرأوك منهم أملقا
الله أعلم كيف باد وأنفقنا
أو كان لفظاً كنت أغزر منطقا
لله قلبك ما أرق وأشفقا !
فقد اقتنيت به سعيراً محرقا

أسنى على الكشكول كيف تمزقا
لا يحزنك اليوم أنك مخفق
عقبى الحماقة ما علمت ، وإنما
أعيت كل مهذب ومؤدب
كم ذا تطوف فى المدائن والقرى
متوعداً كل امرئ مستضعف
خلت السنون وأنت تستجدى الورى
جادوك بالموفور حتى أملقوا
أنفقت ما لهم كما أنفقتهم
لو كان شعراً كنت صاحب ليمّة
بددته وعفوت عن أرواحهم
مال الشحاذة لا يدوم ، وإن يدُم

* * *

مهلاً ، فإن البحر أصبح ضيقا
ظنوا العباب لهم حلالا مطلقا
صافيتهم وعقدت معهم موثيقا ؟
بقيت لديك « سفينة » لن تغرقا
تخشى العواصف حولها أن تخفقا
فى الماء فلكاً ، فى الفضاء محلقا

كم ذا تشيد البساخرات وتبني
أقلت حتى « الإنكليز » وطالما
هلا - وقد هيجت كامن حقدهم -
لا ، لا ، فإن هم أغرقوها كلها
أعنى « المدرعة المصفحة » التى
هى طاسة سحرية ، مرها تكن

قد قال قوم : مغنطيس تحتها
كذب الذين تقولوا ، يا سيدى !

* * *

جف القَدَّال ، وبات أجرد عارياً
طار السواد عن المفارق وامحى
لو حاول البرغوث يمشى فوقه
ضيعت عمرك فى المعاصى كله

* * *

وقِفْ عليكَ الشعرُ حتى ترعوى
أننى حللت وجدت ثم شوارداً
ملء الشفاه ، فإن هممت بلفظة
تغرى بقلبك كل هم مقلق
وتكون إما سرت غرباً مغرباً
فإذا رآك إلى لقائك شقيق
لا « مرحباً » إما نزلت ، ولا إذا
يا ساكنى « كندآ » ، السلام عليكم
وفاكم ذاك الغراب مبكراً
لو لم تكونوا الأسد أو أشباهها
ما مرّ ذكركم على ذى مسمع

وعلى الضلال الحق حتى يزهدا
تلهيك إن تلهو وإن تشهدا
نطقت بها الأفواه كى لا تنطقا
وتدود عنك النوم حتى تارقا
وتكون إما سرت شرقاً مشرقاً
أمسى إلى التوديع منه أشوقا
أزمت تسمع من يقول « إلى اللقاء »
إن المناق بينكم لن ينفقا
فمنعتموه بينكم أن ينعقا
ما خاف أن يعوى ولا أن ينهقا
إلا تملكه السرور فصفقا

ماذا ؟

ما الطير ضاقت بها الأوكار فاضطربت
تغالب الريح في الأجواء صاعدة
حتى إذا هبطت في السفح مُزْدَرَعًا
وأودعت زغبها الأعشاش وانطلقت
ساق القضاء إليها كل محتبل
أشقى وأتعس حظًا من مُهاجِرَة
كأنما البؤس خلق من خلائقها
طلب النوائب في حل ومرتحل
إن تركب البحر فالسمسار يرصدها
حاموا عليها كما حام النور على
أو كالذباب على صحن من الضرب
كأنها الشاة ، غال الموت راعيها
هناك يسلبها حكامها ، وهنا
باسم المساكين أحيانًا ، وآونة
موتى الضمائر ، موتى كل عاطفة
إن يرهقوها ، وهم منها ، فلا عجب
في كل يوم لهم في قتلها أرب
تغربت في سبيل المجد ، واغتربوا
ياليت من شاطروها ما لها حملوا

في الأرض باحثة عن مرتع خصب
وتتق الناس عند الحسو والغيب
فيه الفواكه من نخل ومن عنب
تقتات بالبسر أحيانًا وبالرطب
فلم تجز عطبًا إلا إلى عطب
في « الغرب » شرقية الأنساب والحسب
فكلما غالبته فاز بالغلب
في دارة الأرض أو في دارة الشهب
أو تطلب البر فاللدال في الطلب
جرحى الهاذم والهنديّة القضب
أو كـ « اليهود » على عجل من الذهب
فكلُّ ضرع عليه كلُّ محتبل
أهل الكشاكيل والأكياس والحقب
باسم الهياكل والإصلاح والأدب
فليس فيهم - وكم بين اللصوص - أبي
لا يعرف السوس غير الفتك بالخشب
وما لها أرب. في قتل ذى أرب
طماعة بمجانى كل مغترب
شطرًا من الظلم أو شطرًا من التعب

يا أمة هاضت الأيام جانبهم
لا تأخذوا بأمانى مُزَوَّقة
أموالكم ، أنتم أولى الأنام بها
هذا السلاح الذى يشرى السلاح به
هذا المنجى من الآفات صاحبه
لا تحسبوا أننى بالشح آمركم
وانما رَفَدُكُمْ من لا خلاق لهم
جود الكريم على من يستخف به
ماذا ؟ أيعجم أهل اللؤم عبودكم
وتطربون ، وسيف الموت منصلت ؟
إن كان صوتى لم يبلغ مسامعكم

وطمَّعَ الضعف فيهم كل مغتصب
ما دُرُّ أهل الأمانى غير مُخْشَلَب
فراقبوا الله . مستحدث النشب
هذا المسمى بحق كاشف النوب
إن تفقدوه فقدتم أنفع الصحب
إن المواطر عندى أفضل السحب
كَمُلَيْسِ الخزوات الظليف والغيب
مضيع ، كالحيا فى الموضع الحرب
وأنتم النجب نسل السادة النجب ؟
وتلعبون ، وشر الناس ذو اللعب ؟
فذاك من حسن حظ اليوم والحرب

* * *

ثلاثة لا أصابت غير أولها
يقول قائلهم : مهلا إلى « رجب »
إن يعجب الناس من قدم تَوَعَّدنى
إن الغريق إذا ضاقت مذاهبه
تب النحاة ، وتب المؤمنون بهم
كم جَوَّزُوا من كلام لا جواز له
وكم رَوَوْا من أحاديث ملفقة
النحو والصرف والإعراب أجمعها
هذى تعاليم كَسَلَى ما يُدِلُّ بها
فلا حبا الله نحويًا برحمته
لولا أكاذيبهم ما بات منتصباً
« ما كنت آمل أن يمتد بى زمنى »
يا أجهل الخلق — حتى ناقل القرب —
أو تطلعن عليكم كل آكلة

أهل النفاق وداء السل والحرب
كأننى سوف أبقيه إلى « رجب »
فإنه عجب أدعى إلى العجب
لا يحمد البحر ذا التيار والعب
أهل السخافات والتضليل والكذب
وأوجبوا من أمور قط لم تجب
وزوروا من حكايات ومن خطب
سفاسف ، لم تكن من قبل فى « العرب »
إلا فى « أعجمى » الخلق والنسب
أولى برحمته منه « أبولهب »
بين العوالى الغوالى فارغ القصب
حتى يطاولنى قرد بهلا ذنب
اربأ بنفسك أن يهتاجنى غضبى
ترعى الهشيم ولا تبقى على العشب

في إثر كل رجم غير ذي أدب
 ولا تغادر حبلاً غير مضطرب
 وجدتم الموت في الأستار والحجب
 جعلت كل قريب غير مقرب
 لو أن في الموت ما في العيش من كُرب

تنقض مثل نجوم الرجم هاوية
 فما تغادر قلباً غير منخلع
 فإن جنحتم إلى كهف ليحببكم
 حتى إذا ظن أن الساعة اقتربت
 وما أنا بالذي يهوى البقاء لكم

١١

حكاية

ربيتُ كلبًا صغيرا	وكان ذلك نندرا
وقلت : يحرس دارى	إذا أتى اللص سرا
فكنت آتيه صباحا	باللحم ، والشحم عصرا
حتى إذا اجتهاز ستا	من الشهور وأخبرى
وأشبه الوعل سباقا	وأشبهه البغل ظهرا
وصار كالعج عنقا	وصار كالفيل صدرا
وافى إلى صحابى	وأنت بالصحب أدري
فأبصروا الكلب عندى	عيناه تقدح جمرا
فقال منهم ظريف :	قتوت ، والله ، مهرا !
بحرمة السود إلا	سميت ذا الكلب « نمر »

* * *

أطعت أمر صديقى	وقد سررت وسرا
لكنما الصففر صففر	وإن دعوناه تسرا

* * *

ترعرع الكلب « نمر »	فصار أعظم شرا
يعوى إذا الناس ناموا	فيسمع الناس نكرا
وينبح البدر ليلا	وينبح الشمس ظهرا
وكلما مر سار	أوهبت الريح هرا
ويتبع الضيف حتى	إذا استقر استقرا

ويترك العظم ملقى
 فروّع النشء حتى
 ونفّر الطير حتى
 فأقبل الحى يشكـو
 لو كنت أكسب أجراً
 خنقت بالحبل « نمرا »
 ويسرق الخبز جهرا
 ما تطلب الدار ذعرا
 ما تألف الطير وكـرا
 فقلت : يا قوم ، صبرا
 أو كنت أحرز فخرا
 لكن للكلب عمرا

* * *

« مدينة العلم » كانت
 فخانها الدهر حتى
 لأهلـه مستقرا
 بنى بها الجهل حجرا

* * *

يا منشىء الفلك ، مهلا
 ويا كثير الأماني ،
 أضاعت الأرض حتى
 أتأكل المال سحتا
 أتحسب الناس حمقى ؟
 لا تلبس الدين ثوبا
 ولا تقاتل بمكر
 لا تمخر الفلك بـرا
 شيدت في الجـوقصرا
 ولئت وجهك بحـرا ؟
 وتقتضى الشعب أجرا ؟
 يا أحمق الناس طرا
 عصر الجهالة منـرا
 فالله أعظم مـكـرا

* * *

وأنت يا واو « عمرو »
 ولست تجلب نفعا
 إن البلية غـر
 لا تعذل الشعر إـما
 قد كنت قبل القوافي
 حتام تتبع « عمرا » ؟
 ولست تدفع ضـرا
 أمسى ينـاصر غـرا
 جنى عليك الأمـرا
 أقل عقلا وقـدرا

* * *

ما في ضلوعي حقد
 لكنـما الحـريـأبي
 وأهل « لبنان » أهلى
 ولست أطلب ثـارا
 أن يخدع النذل حـرا
 وكنت بالأهل بـرا

أيا عجل اليهود

كما تتوعد الأنثى الرجال
ولكن ينبح الكلب الهللا
لظن الموت باغته خيالا
فمن هذا الذى خلق المحالا ؟
فإن الناس لا تلد البغالا
ومقلوب اسمه يبغى النضالا ؟
وإلا لاتقى السداء العضالا
على ظمإ ، أراها الماء آلا
بطرف لهاته أمسى سعالا
نظرت اليوم الأهمم خصالا
سمعت اليوم أسخفهم مقالا
وصفراً يلزم الجنب الشمالا
يمارس حرفة الأدب الكسالى ؟
ولهف الشعر كيف غدا مذالا
حمار طالما لبس الجلالا
وكيف قطعت ، يا هذا ، الحبالا ؟
وتحسبه وما عاف القتالا ؟
وما برحت مخالبه طوالا
عليك يدای فى السفّر الرحالا
أرُدّ عليك جُلُك والسّحالا

توعدنى مقلد « نفطويه »
ويعلم أنه دونى مقاماً
ولو أغنى ولاح له خيالى
معاذ الله يخلق غير شىء
ويكذب « آدم » إما ادعاه
أبعد، اليوم أعجب من عجيب
أظن حياته هانت عليه
وإما الله شاء هلاك نفس
شحا فاه فلما مر ذكرى
وكنت نسيت أهل اللؤم حتى
وإما فكرت بالغوغاء حتى
إذا عدّ الأفاضل كان صفراً
فواعجبا ، أمات الخلق حتى
وياهف البلاغة كيف ذلت
وياهف الصحافة يدعيها
متى فارقت ، يا هذا ، المراعى ؟
أتنهق ، والغضنفر قيد باع
فما زالت مواضعه حداداً
بلى ، أنت الذى بالأمس شدّت
فلست بنابغ الشعراء إن لم

أما ، والله ، لو طلت « الثريا »
 لما أمسيت إلا دون شسعي
 فإما تستر الفودين عنبه
 ودعوى الفضل لا تجدك شيئاً
 أيا عجل « اليهود » ، ولست تبرأ
 إذا هز العصب « موسى » وأهوى
 أتهرب من أمام الليث ذعراً
 وتجن ثم تدعوه جباناً ؟
 ومن تكن حماقة فيه طبعاً
 يدافعي « اللثيم » بكل غر
 زعانف لست أرضاها مطايا
 لقد فرست نفوسهم القوافي
 إذا حرم الهجاء على حرام
 ومن يدرى ويغضى عن فساد
 لتذروهم عواصفها رمالاً
 وترميهم أوائلها سهاماً
 وتمشي في حناجرهم جراحاً
 فإن سلموا فقد سلموا ليوم

وجاوزت المناكب والقلالاً
 ينالك كيف ملت وكيف مالا
 فليست بساقر عنه القذالاً
 فقد كنت الحقير ولن تزال
 وإلا كنت أحسن منك حالاً
 فليس بقيكها قبرنان طلالاً
 وتزعم أنه لزم الدحالا ؟
 لقد أضحكت ، يا هذا ، الثكالي
 يكن هذا المال له مالا
 فلم أرحم ، ولا رحم السخبالا
 ولا أرضى رؤوسهم نعالا
 وإن الحق يفترس الضلالا
 فليس يكون في شيء حالاً
 فقد خان الفضيلة والكمالا
 وتنسفهم ولبو صاروا جبالا
 وتقرعهم أوائلها نصبالا
 وتمشي في دمائهم سلالا
 توقاه الأجنة والحبالا

يا نوح

أين دلائل الطوفان ؟

أهل الفساد وزمرة الشيطان
 خلوا النواح على الربوع وأهلها
 أنى يضيع ، وأهله أسد الشرى
 وإذا الضراغم لم تصن أجماتها
 أما « البقاع » فلا يُردُّ بالسن
 ردوا على الشعب المهاجر ماله
 فالقوم حاجتهم إلى أموالهم
 تعس الذى رضى الأمانى ثروة

كم تدعون محبة الأوطان
 ما ثم من خطر على « لبنان »
 وله من الدولات خير ضمان
 أيصونها فسّل من الجعلان ؟
 ثرارة ، بل بالنجيع القانى
 لا تبدلوه حقائقها بأمانى
 مثل احتياجهم إلى العرفان
 إن الأمانى ثروة الكسلان

* * *

قلتم : ندود الضيم عن إخواننا
 يحميهم علم النجوم ولم يزل
 هم بين أهليه وفي أكنافهم
 وزعتم بالنسازحين غرامكم
 لو صح زعمكم وكنتم قسوة
 جاروا عليهم ، لم يبالوا زاجراً
 لهنى عليهم ، كيف روع سربهم
 ولقد أتنكم صرخة استنجاههم
 باتوا يسامون العذاب ، وبتم

إخوانكم فى غبطة وأمان
 علم الكواكب مكرم الضيفان
 وكأنهم فى الأهل والإخوان
 وغرامكم بالأصفى الرنسان
 لو قيتموهم سطوة « العبدان »
 جور القوى على الضعيف العانى
 وتبدلوا من عزهم بهـران
 فكأنها مرت على حيطان
 تدعون بالإعزاز للسلطان

نتم فخلتم كل طرف نائماً
رفع الستار ، وبان كل مكم
لا غرو إما سني سفهاؤكم
ذم الحفافيش الضياء لأنه
ومن العجائب أنها تقي السني
خلق الوري ، ولكل نفس غاية
أني نجاتك ، يا عصافير اللوي

ما أجهل الوسنان باليقظنان
أتقاتلون الحق بالبهتان ؟
إن الجريح يسب كل سنن
يعتاق أقواها عن الطيران
وتظل حائمة على النيران
وخلقتم للهدر والهديان ؟
ولقد أتاك كاسر العقبان ؟

* * *

قل للذي ملأ اليباب سفهائناً :
من ذا يسير بها إلى غاياتها ؟
الآن أيقنت البرية أنها
لا تعذل الصبيان في سخف ، فقد
يضع المسلم كفه في كفه
والله ، لولا أنه في مثله
أو ما تراه حاملاً كشكوله
خبيلته شاردة القوافي فـانثى
متخبط والشمس في كبد السما
أمسى يسمى النائبات قصائد
فاذا تطيف به اقشعر فؤاده
ويظنها في أكله وشرابه
يا قوم ، أخشى أن يضيع رسولكم
إن كان في أكبادكم من رحمة

يا نوح ، أين دلائل الطوفان ؟
بل كيف تحميها من القرصان ؟
— وإن ارتقت — فرع من السعدان
تحوى الكهول سخافة الصبيان
وتظل عيناه على الهميان
ما كان إلا سائق الأظعان
منتقلا من موضع لمكان ؟
للذعر يمشي مشية السهرطان
فكأنه في حالك الأدجان
وفى القصائد طارق الحدثان
خوف الصغير طوائف الغيبان
وتخالها الأجفان في الأجفان
من « عترة » قد ضاع قبل اثنان
فتداركوه بالرسول الثاني

* * *

ما بال مصفوع المفارق والقفا
لا تحسدا ، يا أخدعيه ، قداله
بل ما لمقلوب اسمه يخفى اسمه

يهدي ، كمن قد بات في سجران
عندي لكل منكما نعلان
والحسن لا يخشى من الإعلان

إن التحجب لو يكون فضيلة
 وإذا هتكت السر عن متكم
 زعم المؤدب أن غيراً ساءه
 فمضى فقصرت القواطع ذيله
 حتى إذا جاء المروض واعتلى
 لكنه مازال غير مصدق
 فاستل صارمه فطاح برأسه
 مادام يصحب كل حي صوته
 إن تستر هيهات تستر مفرقاً
 يا أيها الغر الذي من أجله
 ما أنت بالغ ما وطأت بأخمصي

لم يبدُ من خديهما القميران
 لم تلق إلا خائفاً أو جبانى
 ألا يسار به إلى الميدان
 وسطت مواضيها على الآذان
 متنيه ، راب الفارس الكشحان
 حتى علا صوت كصوت الجان
 ورمى بجثته إلى الغربان
 فالعير لا يخفيه جلد حصان
 آثار شسى فيه كالعنوان
 لعن القريض مؤنف الأوزان
 حتى تنال الفرقدين يدان

توديع رستم بك

زلت عنا ، فلم نبلى ، مثلما زل
 ما كرهت المقام فينا ، ولكن
 كنت ضيفاً فلم يزل بك سوء الـ
 خلق السوء فى الفتى ليس يـ
 وإذا المرء كان غير كريم
 لقنتك « الإسلام » عصبه شر
 جئت تنى الإجرام عنهم ، فأجره
 كيف أنكرت ذبحهم أمة « الأر
 ودم الأبرياء ما جف ، ولا جف
 سلبوا الطفل أمه وأباه
 أحرقوا الدور ، روعوا ساكنيها
 جرّعوهم كأس الحمام دهاقاً
 ما أثاروا حرباً ، ولا ارتكبوا إداً
 ولئن صح أنهم أحدثوا إذ
 زلة لو وقيتها ، لم تحقر
 فتحمل ، لا شيعتك الغواضى
 هكذا يقذف النسوة فم الآ
 وإذا ما بلغت أرض « فروق »
 حيث يقضى الحياة فيها « ضياء »
 حيث يشقى الحر الأبى ، ولا ينعم

ل مع الليل طارق الأحلام
 يأنف الذئب غير سكنى الموامى
 طلع حتى خسرت عطف الكرام
 فيه جمال الرداء والهندام
 فضحته مظاهر الإكرام
 ليتها لقنتك علم الكلام
 ت إلى الصديق أيما إجرام
 من « ، ذبح الجزار بعض السوام
 ت عليهم مدامع الأيتام ؟
 ورموه فى النار ذات الضرام
 وأتوا كل منكر وحرام
 واستساغوا دماءهم كاللدام
 ولم ييسطوا يداً لحسام
 ما أتنى الآثام بالآثام ؟
 من كبار النفوس والأحلام
 لا ، ولا عدت نحونا بسلام
 كل ، والجيفة الخضم الطامى
 مرتع الظلم ، مربع الظلام
 بين عود وقينة وغلّام
 إلا زعانف الأقوام

إننا ساهرون غير نيام
 نمقت المستبد بالأحكام
 أيها العابثون بـ «الإسلام»
 تسلبون العيون طيف المنام
 تم لصوص في صورة الحكام

قُلْ لِمَن أَرْقُوا العبادَ وَناموا :
 نحن لا نمقت الحكومة ، لكن
 إن دين «الإسلام» يبرأ منكم
 قد سلبتم مال الرعايا وكدتم
 كشف الخبر عنكم ، فإذا أذ

إلى شاعر « السائح »

بالقد الأهيف ، بالنهد
بالمفرق ، بالشعر الجعد
بالثغر الأشنب ، بالحد
بعيون الحور السحّاره

ما شدو القينة في السحر
في الفجر ، ورنات الوتر
وهتاف الطير على الشجر
أحلى من صوت النقاره

ذو البلوى يعشق ذا البلوى
لو يعطى الشاعر ما يهوى
فانشد فغناؤك لى سلوى
لتمنى تنشد أشعاره

أفديك بروحى ، يا صاح ،
فلأنت حياة الأرواح
وبكل هزار صداح
فاشدد للمزهر أوتاره

ضع كفك ، يا ذا ، فى كفى
حلوا الأخلاق ، أخى لطف
فكلانا يبحث عن إلف
ما بدّل شىء أطواره

كم تشكو همك للناس
كن قاسى القلب على القاسى
وبلاؤك منهم ، يا ناس
فالحازم يخفى أسراره

صن دمعك عنهم فى الطرف
ما ترجو ، يارب الدف ،
لا تُغزى القوة بالضعف
من شعب يكره أحراره ؟

قد شئت وشئت به اليسرا وأراد الله به العسرا
فعليه أن يجنى الوزرا وعلينا أن نجنى عاره

يا ملكا بين شياطين صرّح بالحق المكنون
لا ترهب لومة مافون ثرثار يخدم ثرثاره

قد آن بأن يبدو النور ويبين الحق المستور
فليخرس ذاك المأجور من قبل نمزق أستاره

ما شاء الله فقد كانا لا تبغى الملة شيطاننا
الملة تطلب مطراننا لا يؤذى الجار ولا الجاره

مطراناً تعرفه الأمة مطراناً يخلص في الخدمة
مطراناً لم يحصر همه في جمع الدرهم والباره

مطراناً تغمض عيناه إلا عن خدمة مولاه
يعصى الضليل وديناه ويحب العلم وأنصاره

يا شعباً بات بلا أمل إن ضاق عليك الأمر سئل
كم ذئب في ثوب الحمل قد سنّ لقتلك أظفاره

فارغب بالصبر عن الياس واحذر نزعات الخناس
ووساوس أهل الوسواس فوراء الطعم الصناره

انقر يا دف على الطارة

بالحق ، بأحرار البلد ما دام يراعى طوع يدي
وفؤادي يخفق في جسدي لا أنصر إلا أنصاره

يا قومي ، قد طفح الكيل وتعالى للقمم السيل
وتنكر للصبح الليل واستأسد جعلان الحار

فدعوا « أيار » وأطيابه والحمر ورب الخماره
ولينفخ كل مزماره لنشن على الجهل الغاره

ونقاتل بالصبح الغسقا ونسد على الشر الطرقا
ونضايقه كي يختنقا وتفك يسداه أزراره

ما أثقل ذبيآك الضيفا أرايتم « كانونا » صيفا ؟
لا حل على طرفي طيفا أخشى أن يسلب أشفاره

إن مرَّ على حسن شانه أو طود زعزع أركانه
أو قصر روع سكانه أو روض أذبل أزهاره

لو تدرى الأرض به انقلبت أو تدرى الشمس به احتجبت
ومياه « الهندسن » لاضطربت والليل لساقط أقماره

تمساح يخطر في حُلَّةٍ شرّ القلب من العنه
ظيل الطاعون ولا ظله لا جاور إلا سمساره

يا هذا ، أولى بك السفر في ليل ليس به قمر
أو فاسكت يحمذك البشر وتصلح جارتها الجاره

صمتًا ، أو ينطق من سكتا فوَحَقَّ الشعر إذا رمنا
كفاه ومرقمه انصلتا هيهات يفيلك ثناره

يا حامل مكروب الفتن قد طال وقوفك في الدمن
لا تُلَقِ الأمة في المِحَن يكفيك الشاعر إنذاره

وقائلة

أيا « عبد المسيح » عليك منى
حيبتك لالأنك ربُّ وفري
ولا أنا من يسير به هواه
ولكن شاقى الأدب المصطفى
ولنك والوفاء على اتصال
ومن عجب ، ولم أصحبك عمرى
لك القلم الذى ما اهتز إلا
لن أمسيت من قوم بغيضاً
وإن الشمس ، وهى أحب شىء
وهذا الملح يدخل كل جوف
وكم فى الناس من مثر كبير
وقائلة : أعاد غراب نوح ؟
غراب ريشه سرق وخز
ينوح على الصروح وساكنيها
ولكن فى الغراب النوح طبع
قبيح أن يذم الحسن فينا
وأقبح أن يظل اليوم حياً
دخيل لو حواه الخلد أمسى
أتى ، لم يدعه أحد إلينا
قد اشتاق الذين نزلت عنهم

سلام كلما ذكّر المسيح
تجود به ، ولا أنا مستمبح
ويخفق كلما هزته ريح
وتيمّنى بك الصديق الصريح
وبينك والرياء مدى فسيح
أحسُّ كأننا جسد وروح
تهيب سطوه القصب الصفيح
فمكروه من الجربى الصحيح
يذم ضياءها الجفن القريح
ويخشى مسه العضو الجريح
ولكن ليس كالسمح الشحيح
نعم ، عاد الغراب ، فأين نوح ؟
وصوت الناعقات به فحيح
وما ماتوا ، ولا خلت الصروح
وأى غراب سوء لا ينوح ؟
قبيح كل ما فيه قبيح
ويحوى البلبل الغرد الصريح
جحيماً ليس فيه مستريح
أيا هذا الثقيل ، متى تروح ؟
ومل مقامك القوم النزوح

أَهْمُ^١ بَأْنِ أَحَدَثَ عَنْهُ قَوْمِي
فَأَقْنَعُ بِالْأَشَائِرِ ، وَهِيَ نَزْرُ
وَإِنْ وَرَاءَهَا وَوَرَاءَ صِمْتِي
وَصَبِيحَاتِ تَزْعَزَعُ كُلُّ طُودٍ

وَيَمْسِكُنِي الْإِبَاءُ فَلَا أَبُوحُ
لَأَنَّ الْقَوْمَ أَكْثَرَهُمْ فَصِيحُ
سَهَامًا لَا تُسْمِتُ وَلَا تُرِيحُ
وَتَنْكَرُ بَعْدَهَا الضَّيْفُ الْمَسُوحُ

يا قومي !

إن المعتز بأمواله	مثل المعتز بأخواله
فخر الإنسان بأعماله	لا بالدينار ولا بالبره
ما هلى القصة ، يا عمّد ؟	أرجال يرأسهم وكّد ؟
لم ينظر قبلكم أحد	أسداً تتصيدا فاره
وجبالا تسحبها نمله	وبجاراً تُخزن فى سلكه
مثلا أصبحتم فى الحيلة	يتناقله أهل الحاره
أيهاجم كاهنكم نذل ؟	ويسب أديبكم فسل ؟
أجمود فيكم أم جهل ؟	أم تلك النفس الأماره ؟
يا قومي ، دعوة لا واهى	يوم الهيجاء ولا لاه
بالخالق ، بل بابن الله	لا تؤذوا الله وأنصاره
تب الشيطان وتبّاعه	والشر ونفس تبّاعه
شجر ملعون زُرّاعه	من منكم يعشق أثماره
بل غرس يأكل غارسه	ولباس يجرح لابسّه
ولهيب يحرق قابسه	ومزار يهتك زواره
إن تغسل بالوحل الثوبا	يزدد إثمًا ، تزدد عيبا
إن تخضب بالليل الشيبا	لا تخفى الليل أقماره

من يطلب من غر نصرا	كالملطق بالزيت الحمراء
من يحضن ، يا قومي ، الهرا	لا يجنى إلا أقداره
يا قومي ، خلوا الأغراضا	يا قومي ، صونوا الأعراضا
وتوقّوا ذاك العضاضا	من قبل يحملكم عاره
أو ما فيكم ذو إحساس	ينهي عن شتم الناس ؟
أنسيتم عام الإفلاس ؟	فنقص عليكم أخباره
ونقيم الميت من لحده	ونسل الصارم من غمده
إن عاد البحر إلى مده	لا يمسك شيء تياره
ونسيرها صحفًا صحفا	تحكي المدرار إذا وكفا
إن نرّم الطود بها رجفا	أو حصنا دكت أسواره
فتزور المنزل والقصرا	وترود الأهل والقفرا
ويطالعها سطرًا لسطرا	من ليس يطالع أسطاره
ويرددها أهل الأدب	ويغنيها أهل الطرب
وتدار بها بنت العنب	ويجي الجار بها جاره
عندي أسرار لم تنشر	لتمشي صاحبكم يقبر
كحديث الفسطان الأحمر !!	فليحذر ذاك اللوارة
ما دامت دارك من خشب	لا تقذف غيرك باللهب
إن هجت الليث بلا سبب	لم يأمن جسمك أظفاره

يا هذا !

خذها أبياتًا مشهورة كصراخ النفس المقهورة
ودموع " البكر المدعورة قد حملها الجاني عاره

يا هذا الضارب في الأرض في غير مفيد أو فرض
كم يغضى الشعب ولا تغضى إلا لتحارب أحراره

أيفترق مال الإحسان ما بين فلان وفلان ؟
من قدم ميت الوجدان أو غير مجهل مقداره

أو أحق من ذى الخُفَّين شرير الميقول والعين
لا يعرف إلا شخصين دلائل الشر وسمساره

إن تُقبِل هز شواربه أو تُدبِر هز حواجهه
وأدار عليك عقاربه وأهان الله ومختاره

أدماء قلوب العمال ما بين نساء ورجال
تُعطى لِغَيْبِيُّ بطل ما فارق باب الحماره ؟

عجب ، بل أعجب من عجب أن يحمل شيخ عقل صبي
وجهل يفخر بالذهب فخر الأعمى بالنظاره

ما هذا شأن الزُّهَّاد	ما هذا شأن العُبَّاد
أضحكتَ الرائح والغادي	والجار وأبناء الجاره
لله ، فؤادك ما أقسى	ننساك وتأبى أن ننسى
أردد للأرملة الفلسا	واترك للعامل ديناره
فالشعب أحق بأمواله	من ذاك القفر ومن آله
ومن السلطان وعُملَّه	وذئاب « الترك » الغداره
أولى بالمال المجموع	عندى من ذاك « المشروع »
شعب في الشرق ، من الجوع	قد أوشك يأكل أطماره
يا قوى ، أرواح البشر	أولى بالعطف من الحجر
فسلوا الطواف ، أنا السفر	أن يرفع عنكم أوزاره
يكفيكم بذل الآلاف	يكفيكم حمل الأضياف
من كل بغيض أو جاف	لا يعرف محتاج داره
ذاك المعدم إذا وجدا	لا يحبي الشعب إذا فقدا
أنبيع الوالد والولدا	كى نحى القفر وأشجاره ؟

ماذا تقول ؟

« كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحِلٍ
تخاله في فجاج الأرض مضطرباً
كأنه الزئبق الرجراج منفلت
فما يمر بشخص لا يسأله
ولا يحرك غير المال مقوِّله
لا يسأل الناس عذراً عن حاجته
ليس البلاء بما يخفى أضالعه
لو يقنص البدر أمسى في حبالته
إني لأعبط شخصاً ليس يعرفه
مُسَكَّلٌ بفضاء الله يَزْرَعُهُ »
في قبضة الريح تلويه وتدفعه
أو مَهَيِّعُ الزئبق الرجراج مهيعه
ولا يمر بباب ليس يقصره
ولا يحرك إلا الشرَّ إصبعه
كأن أَرْبُوعَ هذا الخلق أربعه
لكنه في الذي تخفيه أضالعه
لكن حماه من العافى ترفُّعه
ولا أُهَنِّيُّ إلا من يُودِّعُهُ

* * *

يا جامع المال آلفاً مُؤَلَّفَةً
هل أنت طابخه يوماً فأكله ؟
أردد على العامل المسكين فضته
لا ينفع المرء ما جادت به يده
أليس في الأرض غير القفر تعشقه ؟
أما ترى الشيخ كاد الحزن يقتله ؟
حتام تمسك شيئاً لست صاحبه
أولى بما بذل الجالون أهلهم
ما البر أن تبتنى داراً بداحية
ولنما هو إطعام لذي سغب
لمن—ولا وارث للمال— تجمعه ؟
أم أنت جاعله في الماء تجرعه ؟
فقد أقضَّ على المسكين مضجعه
حتى يكون محتاج تبرعه
وغير صوت القطا في القفر تسمعه ؟
أما ترى الطفل كاد الجوع يصرعه ؟
وصاحب الشيء ما ينفك يتبعه ؟
فكم ترضى بما جادوا وتمنعه
لا يبصر المرء فيها من يشيعه
الماء حلو على العطشان موقعه

فَحُجِدْ عَلَيْهِ بِمَا جَدْنَا عَلَيْكَ بِهِ
 لَا تَجْعَلِ الْمَالَ فَوْقَ الدِّينِ مَرْتَبَةً
 أَوْ دَعِ عَتَا مَا أَوْدَعَ الْمَمْلُوكُ فِي يَدِهِ
 دَعِ التَّصْنِيعَ فِيمَا أَنْتَ قَائِلُهُ
 إِنْ كَانَ غَرُّكَ ثَوْبٌ أَنْتَ لَا بَسَهِ
 لَا تَنْصُرِ الْبَغْيَ إِنْ اللَّهُ يَكْرَهُهُ
 مَاذَا تَقُولُ إِذَا جِئْتَ الْإِلَهَ غَدًا
 يَمْزِيكَ خَيْرًا أَوْ يَرْضَى عَنْكَ مُبْدِعُهُ
 لِلْمَالِ مَوْضِعَهُ وَالْدِّينِ مَوْضِعَهُ
 فَكُنْ أَمِينًا عَلَى مَا أَنْتَ مُودَعُهُ
 فَرُبَّمَا فَضَحَ الْجَانِي تَصْنِعَهُ
 فَانْظُرْ إِلَيْكَ مَلِيًّا حِينَ تَخْلَعُهُ
 جَهَنَّمَ مَرْتَعًا الْبَاغِي وَمُضْجَعَهُ
 وَخَبِيرَ النَّاسِ عَمَّا كُنْتَ تَصْنَعُهُ ؟

إلى شكري أبي صالح

وردت نميقتك الجميلة والصور
وعليك منى ألف ألف تحية
إن تحملوا من شوقكم وحنينكم
« ما لاح برق أو ترنم طائر »
فسلو الدجى عنى إذا رق الدجى
وسلوا السماء وما بها من أنجم
وسلوا الحمام حين تشدو فى الضحى
أشتاقكم ، وأحب من يشتاقكم
تالله لم يشغل فؤادى شاغل
لولا الحوادث ما قعدت عن اللقاء
شكرى ! وقد عبث بنا أيدى النوى
يغنيك صوت العود عن جس الوتر

* * *

كم تستثير بى الصباية والهوى
مالى وللحسنة أغرى مهجتي
فى الشيب متعظ وفيه مزدجر
كم بـ « الجزيرة » لو يتاح لى الهوى
مثل الغزال إذا رنا مثل القضي
وبـ « سنسناى » من مسارح للمهى
ولكم بها من جدول وحديقة

عنى إليك فإن قلبى من حجر
بوصالها والشيب قد وخط الشعر
وبما مضى عظة وفى الآتى عبر
من عادة تحكى بطلعتها القمر
ب إذا انشئ مثل الصباح إذا سفر
من صنعة الرحمن لا صنع البشر
تنسيك هاتيك الحمائل والنهر

فيها اللواتي إن رمت ألحاظها
قد كان لي في كل نحو مطمع
أيام شعري كالمدجى محلولك
شلت يدي الرامي ، وقطعت الوتر
ولكل رائحة المحاسن بي وطر
أيام عيشي لا يخالطه كدر

* * *

ذرتي وأشجاني وجسمي والضمي
أبيت ألهو والهموم تحيط بي ؟
صوت المصفق موعده ما يبتا
أقسمت بالله العظيم ثلاثة
من كل أحرق يبتا متجول
لا أنثى ، لا أنثى ، لا أنثى ،
ويدي وأقلامي وطرفي والسهر
وأنام عن قومي وقومي في خطر ؟
ماذا أقول لهم إذا الديك استحبر ؟
لتتمزقن يدي كشاكيل النور
إن غاب غاب الهم أو يحضر حضر
حتى يفوز العاملون على البقر

...و

وزاهد همه في المدح يسمعه
يُعَلِّمُ النَّاسَ ألا يعبدوا أحداً
وأن يجودوا بما تحوى خزائنها
ضيف يتيه على المُشْرِى وصاحبه
ذنب المقل لديه غير مغتفر
كأنه دائن طال المطال به
يا ذا المزمل إن لدين والنشبا
إن كنت من يبتغى الدنيا ويطلبها
احفظ لنفسك بين الناس حرمتها
لا تنفخ النار ، لا تدفع سواك لها

من كل من همه أن يخلق الكذبا
إلا الإله ويمسى يعبد الذهبا
ولا يجود بدينار لمن نكبا
كما يتيه على المغلوب من غلبا
ومكثر البذل يقضى بعض ما وجبا !
كأنه يهب الإنسان ما وهبا
ضدَّ أن ما اتفقا يوماً ولا اصطحبا
فارغب عن الدين واطرح ذلك اللقبا
من يكسب الدم في مال فما كسبا
إني لأشفق أن تغدو لها خطبا

* * *

ما إن رأيت كقوى في سماحتهم
لو كان للذنب أن يغشى منازلهم
ضعف يسميه من يُمْنى به «كرماء»
هذا الذي أوجد الكسلان بينهم

كالغيث يسقون حتى الموضع الحربا
ما عاد إن وفي فكَيْتِه ما طلبا
كما يسمى الخُمَارا المحتسى «طربا»
وأوجد اللهو للكسلان واللعبا

* * *

وجاهل يدعى علماً ومعرفة
إذا يساق إليه «العُرف» نكثرة
من «الأعارب» إلا أن منطقته
أمسى يشبه من يحكى بسيرته

شر البليات غرَّ يدعى الأدبـا
وإن رأى «الخَفَضُ» في أحواله نصيبا
مما يُبَغِّضُ فيه «العجم» و «العرب»
«يهودا» بالذى من أجلنا صلبا

لو كان يعرف رأى العارفين به لراح ينكر ما أُملى وما كتب

* * *

وسافل في حضيض الأرض ملتصق بحوك من أعظم الموتى له نسا
في كل يوم له دين يُدِلُّ به ساء المتاجر بالأديان مُنْقَلَبًا

* * *

وأبله سائر مع كل ذى أرب سير الذلول ولا تدري له أربا
لم يضحك الناس لو أمسى له ذنب لذلك لم يخلق المولى له ذنبا

* * *

قد أكثر الدهر في عيني عجائبه حتى غدا عجبًا ألا أرى عجبا
من عاشر الناس لم يأمن دسائسهم فاختر لنفسك من غير الورى صحبا

ما كان أحوجني

ما كان أحوجني يوماً إلى لقب
 وطيلسان به نقش وزركشة
 إذن لصدقني من لا يصلقني
 وودّ من كنت قبل اليوم خادمه
 فإن مشيت رأيت الغيد شاخصة
 وإن تكلمت قالوا : ليس ذا بشراً
 فهان عندهم بذل النفائس لي
 وأبدوا كل مشروع يؤيّلني
 وبات لثم يدي في عرف بعضهم
 يحنو فيملؤها تمراً ، وظاهرها
 وقد يكون كلامي بالياً خلقاً
 لو كان ذلك لي ، أو كنت صاحبه
 يقاتل الشك غني في ذوى الحلس
 وصوبلجان كرمح الفارس الشكس
 ولو جعلت الضحى جزءاً من الغلس
 لو أنه خادمي ، أو أنه فرسي
 ومن هنا وهناك الناس كالحرس
 وإنما هو وحي الروح ذى القدس
 إن كان في بنها إدراك ملتصق
 فيهم ، وإن كان مشروعاً بلا أسس
 أشقى له من دواء العالم النطس
 لثماً ، كتقبيل ذى وجد لذي لعس
 لا روح فيه ، وكفّي كف مختلس
 ما احتجت يوماً إلى سيف ولا ترس

تنصير نور عبد المجيد حداد

طرباً ، فأنت اليوم أشرف موضع
 « هبطت إليك من المحل الأرفع »
 فإذا نأى عنها إليه تنزع
 حتى نظرت إليه غير مُقَنَّع
 عرفت مكانته ولم تتبرقع
 لولاك لم أكُ بالأديب المبدع
 أن بات حظ الطرف حظ المسمع
 ونسيت أنك ساكن في أضلعي
 أشكو إليه الحب غير تصنع
 الله يعلم ما لقيت ومخدعي
 وأنا لما بي ساهر لم أهجع
 عندي وأحبس في جفوني أدمعي
 قالت لأكياد العداة : تقطعي
 تغني الأنوف عن الشذى المتضوع
 شدوي وتغريدي بكم سيجعت معي
 حتى أجاب توسلي وتضرعي
 وشهدت آساد « الشرى » في مجمع
 فسمعتهم وكأنني لم أسمع
 خسير الحيين الذي لا يدعي

« نيويورك » ، تيهي عزة وتهللي
 إن الفضيلة والسباحة والتقوى
 قمر منازل شغاف قلوبنا
 لم أدر أن الشمس تشرق في الدجى
 عجباً من الشهب الثواقب إنها
 يا سيدى والناس تعلم أننى
 ما زال يحسد ناظري سمعى إلى
 ولكم شكوت من الفراق وجوره
 ولكم جلست إلى خيالك مرة
 في مخدعي وحدى بغير مؤانس
 هجعت عيون لم تذوق طعم الهوى
 فالיום أغفر للزمان ذنوبه
 ذى ليلة لو تستطيع تكلمنا
 فخرأ بنى « الحداد » ، إن صفاتكم
 تالله لو سمعت حمامات « اللوى »
 ما زلت أرجو الدهر يجمع بيننا
 فرأيت أقمار العلا فوق الثرى
 كم لفتق الحساد عندي عنكم
 لا أدعى كالغير أنى مخلص

النكبة في سوريا

لله ما أحلى ، وما أجملا	أن تنصر المسكين ذات الحلى
إن التي تقتل أجفانها	أبت على البائس أن يُقتل
فأقبلت تبذل أموالها	وتسأل المثرى أن يبذل
في الله مسعاه وإحسانها	فهكذا الغيد وإلا فلا

انقر يادف على الطارة

قد عاد النقر على الطاره	والشاعر حرك أوتاره
ليعين الحق وأنصاره	ما أحلى الحق وأنصاره !
يا سيدنا رب التاج	الآخذ مال المحتاج
لا تلعب بين الأمواج	وتوق البحر ونيساره
أو ليست نفس المسكين	أولى بالمال من العين ؟
أو ليست قاعدة السدين	أن يعطى ذو النعمى جاره ؟
إن كنت حقيقاً تركياً	فبربك صرح رسمياً
أذع المكنوم المخفياً	وأزح عن وجهك أستاره
لو يلقى صخر ما تلقى	من وخز يراع لانشقا
لا تغضب إن قلنا الحقاً	وذمنا الجهل وأضراره
إن كانت وخزات الداعي	لم تدمر جسد الطماع
فتنكب ، يا هذا الراعى ،	نار الحداد ومسماره

توديع أمين الريحاني

كم ذا، يلوم على الهوى المتشلق
ولم متى يُلحَى الحب على الهوى
يا صاحبي ! هو ذا الغرام ، مريضه
لى مهجة تأبى الرضوخ لآمر
ضحك الألىّ جهلوا الغرام وبطشه
ماذا على اللاحين ؟ لا أجفانهم
ما شارك العشاق فى آلامهم
يهوى أخو البلوى أخا البلوى ، كما
إن عَنَّفَ الخالى الشَّجىّ فربما
فُطِرَ الأنام على الأذى ، فقويهم
أخذت نحائزهم عليهم موثِقًا
ألفوا الرياء ، فلا يسوء نفوسهم
كم لفقوا أكذوبة ، واسترسلوا
لو أنهم نظروا لغير معاشهم
والدهر أهلوه ، لذلك دهرنا
لكن على رغم الغوىّ وخبطه
والحق منتصر على أعدائه

غير الغرام يجوز فيه المنطقُ
وأحق بالوم الذى لا يعشق ؟
لا يُرتَجى ، وأسيره لا يُعْتَقُ
رضخت له ، وهو المليك المطلق
لما رأنى فى دموعى أغرق
شكّرى ، ولا أحشاؤهم تتدزق
إلا عليم بالهوى أو شَيْئَق
يهوى الوريق من الغصون المورق
لام الذكىّ على الذكاء الأحمق
متصلّف ، وضعيفهم متملّق
ألا يدوم لهم ليوم موثّق
مثل امرئ حُرّ يقول فيصدق
فى الغنى حتى يصدقوا ما لفقوا
وجدوا أضر الخلق من يتخلّق
غير الأديب الحرفيه مُوَفّق
سيدوم فى هذى الحياة الأليق
ولو أنهم خَلَفَ الكواكب خندقوا

* * *

لا أرمق الدنيا بمقلة ناقد
دنيا يحار المرء فى أطوارها
إلا ودَدْتُ بأننى لا أرمق
ويضيع فى أسرارها المتعمق

في الصدر همٌ لا أحاول بثه
لا تحسبوا هذا المشعشع خمرة
لم تكتسب لَوْنَ العقيق كؤوسها
فإذا انصرفتُ عن الرحيق فإنني
وإذا بكيت من الفراق ووقعه

* * *

ما بال نفسي عندما أزيّ النوى
بل ما قلبي خافقاً في أضلعي
إني أرى حول «الأمين» صحابة
فأكاد من فرحي بأنصار الحجى
فإذا ذكرتُ غداً وقرب مجيئه
في ذمة الله الكريم وحفظه
هذا الذي إن قيل ذا رجل النهى
دل العيون عليه صدق مقالته
ما زال يستندي الأكف لذي الطوى
هو زهرة يحيي النفوس أريجها
شتم المقصر عنه كل مبسرر
لم يدّر أن البدر يعرف في الدجى
يا صاحبي ، وأخوالهلاء مُحسّد
ما من يكرس للبلاد يراعه
سامح عداتك واغتفر زلاتهم
ما أنت أول عبقرى نابغ

* * *

يا قاصد البلد البعيد ، ترفقاً
إن كان بعض الود يخلقه النوى
فإذا رأيت البحر يعلم موجه

هذا مجال مثل صدرى ضيق
هذي نفوس ذوى الهوى تفرق
لو لم تكن من مهجتي تسدق
أخشى تذكرني الحبيب فأشرق
لا تعجبوا ، هذا عدوى الأزرق

فرقتُ وكنت أظنها لا تفرق
أمن السرور أم الكآبة يخفق ؟
كالنيرات وجوههم تتألق
وذوى المروءة والوفاء أصفق
ضغط الأسي نفسي فكادت تزهق
رجل يباهى الغرب فيه المشرق
لا يزدهى عجباً ولا يتفهب
ولكم يدل على النفوس المنطق
حتى لكاد بنفسه يتصدق
هو كوكب أنواره لا تمحق
لما رآه غباره لا يلحق
والعودُ يظهر طيبه إذ يحرق
ولأنت أعرف بالأمور وأصدق
مثل الذي بـيراعه يسترزق
فالصفح أجدر بالكريم وأخلق
كاد الطغام له ففاز وأخفقوا

* * *

ما دام هذا الدهر لا يترفق
ويبتّه فودادنا لا يخلق
فاعلم بأن دموعنا تسدق

وإذا رأيت النجم ينظر ساهياً	فاعلم بأننا في النجوم نحلق
وإذا سمعت الطير تهتف في الضحى	فاعلم بأن قلوبنا تتشوق
إننا سنحفظ لا « أمين » ولاءه	مهما أثار المفسدون وأقلقوا
وإذا الجسوم عن الجسوم تفرقت	فنفوس أهل الود لا تتفرق

٢٨

إكليل توفيق خوري

قد قال «ندرا» واصفًا «مياسكم» فأثار بي شوقًا إلى «المياس»
ما كنت حمصيًا ، ولكنني فتى في سر «حمص» الآن أشرب كاسي

٢٩

أيا ابن مدينة «العاصي» الحميلة
وألفاظ ثم على وفاء
جعلت إلى محبتكم دليلى
ملكتم مهجتي لا بالعوالى
متى أروى من «العاصي» غليلي؟
فلاني مثلكم أهوى ربأها
فلا يفخر على «حمص» قبيل
نفوس رجالكم فيها شهاب
لنا ولك المسرة والتهاني
«وأعطِ القوس باريها» يوم
بقيت مع «النبهة» في صفاء

تهاني شاعر يهوى الفضيلة
وإخلاص وإن كانت قليلة
فؤادى والهوى الصافي دليله
ولسكن بالسجيات النيسله
ويروى كل حمصى غليله؟
كما أهوى نسائمها العليلة
بمحتده ، فواحدكم قبيله
وفي شبانكم حزم الكهولة
فقد عاشت أمانينا القتيله
قطفت أحب أزهار الحميله
ترف عليكمما النعم الجزيله

حاملات الطيب

«حاملات الطيب» تشدو طرباً بلقياكم ، يا كرام
وتُحيي حبرنا المنتخباً من له أسمى مقام
فانشري عطرك ، يا ريح الصبا وتغني ، يا حمام
فلقد نلنا المنى والأربا وظفرنا بالمسرام

* * *

نحمد الله الجزيل المنن من نفي عنا الكرب
وجانا بعد طول الزمن بالرئيس المنتخب
ذی المعالی ، صاحب القدر السني خير راع ، خير أب
عز فيه الدين بعد الوهن وعلا صرح الأدب

* * *

ولنحي بعد ذاك العلمنا علم العدل الجميل
علماً في ظله الحق سما فهو للحق كفيل
رافقت فيه الخطوط الأنجما وله ظل ظليل
فلتعش «أميركا» خير حمى ألف جيل بعد جيل

ولقد ذكرتكَ

ذهب الشباب ، ومرت الأعوام
 خرباً ، عليها وحشة وظلام
 جثثاً تلوح كأنها أصنام
 وينال منها اللثب والضرغام
 واليوم هم للكاسرات طعام
 مفتوحة ، لكنهم نـوام
 باباوات « رومة » قبل ، والأروام
 يا ليت شعري ، هل بكى « اللمام » ؟
 يشدو ويرقص حوله الأقزام
 فعلى الجماد تحية وسلام

ولقد ذكرتكَ ، يا بلادي ، بعدما
 فتمشَّلتَ ، تلك الربوع لناظري
 ورأيت قومي ساقطين على الثرى
 يمشى عليها الظالمون بخیلهم
 بالأمس كانوا والطيور طعامهم
 وهنا ، نرى إخوانهم أجفانهم
 لاهين عنهم بالجدال كما لها
 فبكيت ، ثم بكيت ، من فرط الأسى
 لم يَبْكْ ، بل أرخى العنان لصوته
 غنَّى ، وفي تلك البلاد مناحة

تنصير ابن حنا نحاس

تكاثر الكواكب والأهلـه
كواكب لا يـلم بهـا خسوف
أراني بين إخوان وصحب
أتينا اليوم نفرح من صديق
يُرجى في الحياة ككل حر
وحبّر هام فيه عارفـوه
به وبمثلـه في كل نادٍ
فما ضر الذي عملت يداه
أيا مولى القلوب ، بلا منازع
لقد خافت عليك سماء «أزلن»
و «حنا» عمدة «الفادي» قديماً

لذلك غابت الشمس المطـله
ولا تخفى أشعتها الأكلـه
بهم ينسى غريب الأهل أهله
جعلنا في جوانحنـا محله
لنصر فضيلة ولدفع علـه
ولم ينكر عليه الضد فضله
نفاخر كل طائفة ومـله
على تفريقنا لو كان مثله
وأكرم نازل في ذى المحله
فحاكت من غمائمها مظه
وأنت اليوم قد عمدت نجمـه

جمعية الصليب الأحمر السورية

إنّ الصليب وكان آلهة نقمة
 لا تعجبوا مما به من حمرة
 لا يدع أن ظهرت عجائبه لنا
 هذا لواء ضامن كشف الأذى
 لما شهدت كما شهدت صنعه
 إني أحيى الناهضات إلى العلا
 من الكواكب في الشروق ، وإنما
 لو كان فاضلة اتخاطب قومها
 «أبناء سوريا» ، احملوا صلبانكم

أمسى شعار الخير والتهذيب
 هذا - وحققكم - دم المصلوب
 فلكم أتى بعجيبة وعجيب
 عن قلب كل معذب منكوب
 طرب الفؤاد وكان غير طروب
 باسم الجنود ، وباسم كل أديب
 هيهات يؤذن نورها بمغيب
 قالت لكل ليبة وليب :
 للخير ، إني قد حملت صليبي

توديع نعمة تادرس

فجلست بعد ذهابه أبكيه
فكان ما في القلب لا يكفيه
معنى يلوح له فيستهويه
يجد الفتى كل اللذات فيه
عفواً ، ولا يؤذى الذي يؤذيه
فكأنما هو لائذ بأخيه
عنها ، وتصحبه لكي تحميه
يا صاحبي أنت الذي أعنيه
فبراك كي تعلو وكى تعليه
جادت يداك بكل ما تحويه
كانت لغيرك هز عطف التيه
بنفيسه وبنفسه يفديه
ويحبك البر الذي تطويه
إن كنت أو ما كنت من أهليه
والناس منه كلهم كدويه
باليؤمن والإقبال والتنويه
ليست بأمر ، لا ، ولا تنبيه
ونُجِّلْهُ ونصونه ونقيه
ليرى بك الوطن القديم بنييه

زمن الربيع مضى وكنت أحبه
واليوم يهجرني حبيب آخر
اثنان ما للشعر بعد نواهما
فصل الربيع لأنه الفصل الذي
وأخ يسوق العرف نحو صديقه
وإذا يلوذ به امرؤ في نكبه
هذا الذي تأسى القلوب لبعده
ما للكناية والإشارة موضع
شاء الذي خلق السباح وأهله
فإذا يجود ذوو النصار ببعضه
لك في القلوب مكانة لو أنها
كل يودع فيك صاحبه الذي
سيحبك - البحر الذي تجتازه
ويحبك البلد الذي تختاره
كل المواطن للكريم بلاده
مافر ترافقك السلامة ولتعسده
لكن بربك لي إليك وصية
هي إن تزر وطناً نقس ذكره
فانظر بأعيننا البلاد وأهلها

٣٥

دار رشيد أيوب

كيف تركت الدار ، يا صاحبي	مفتوحة الباب لمن يطرق ؟
أليس في هذا الحمى سارق ؟	أليس في بيتك ما يسرق ؟
أم علم القوم على جهلهم	أنك ذاك الشاعر المفلق ؟
جميلة دارك ، يا سيدي	ودربها والشجر المورق
لكنها عمياء صماء لا	عين ولا سمع ولا منطق
جئت إليها آملاً شيقاً	وعدت منها وأنا أشوق

رثاء المطران أثناسيوس عطاالله

زُرْتُ الحديقة في الضحى لأرى الغصونَ المورقة
فإذا الطيور صوامت ، وإذا الأزاهر مطرقة

وإذا النسيم له أنين كالجريح أو الطعين
ويلاه من ذاك السكوت ، وآه من هذا الأنين

ماذا أصاب الأقحوان ؟ فإنه لا ييسم !
ماذا دها طير الأراكمة ؟ فهو لا يترنم !

أى المصائب بالرياض ؟ فليل لي : نضب الغدير !
فالطير والأزهار حائرة تفكر في المصير

فعرفت أنى في الحديقة حاضر في مأم
وشعرت أن الحزن يسرب في عروقي مع دمي

الجنة الغناء ، يا أبناء « حمص » ، أنتم
أما الغدير فإنه هذا الفقيد الأعظم

« أثناسيوس » ، علمتنا ووعظتنا حياً وميتاً
أشرقت إشراق الصباح ، ومثلما يمضي مضيتنا

الله بارك « حمص » حين سكنت في أرجائها
وديانة قد كنت في دنياك من رؤسائها

كم مَهْمَةٌ لليأس كنت به دليل التائهيـنا
كم حومة للبؤس كنت بها مُقِيل العاثريـنا

قد كنت مصباحاً إلهياً يضيء لكل سار
وقد انطفأت فكلنا للحزن يعثر في النهار

علمتنا أن التنسك ليس في سكنى السباب
بل في مقارعة الخطوب وفي مصارعة التجارب

ليس الفضيلة والتقى ألا يضر المرء غيره
ويصون منه نفسه ، بل أن يسوق إليه خيره

خالفت كل الناسكين من الأوائـل والأواخر
خضت المعائر عندما خافوا التعرض للمعائر

قد كان نسكك جرأة عظمى ونسكهم فرارا
يا ويحهم لم ينفعوا في نسكهم حتى القفارا

قد كنت تزهد بالجواهر وهي أكوام لديكا
وتسر إذ تسعى إلى المسكين أو يسعى إليكـا

ما أحقر التيجان عندى إن ذكرتـك والأرائـك
إن الملوك من الأنعام ، وأنت من جنس الملائك

شادوا على الجثث العروش وشدت عرشك في النفوس
فمضت عروشهم ، وعرشك خالد مثل الشمس

لله كيف حواك لحد ، أيها البحر الكبير
لله كيف خبا سناؤك ، أيها القبس المنير

قد كنت كلك أيها الزاعي الأمين لكننا
« أثناسيوس » ، نم هانثا فلكم سهرت لأجلنا

جمعية الاتحاد السورى

ما طائر كان فى قفر على ظمإ
فاعتاض من لفحات القيط وارفه
وبات تنشده فيها بلابلها
منى بأسعد نفساً مذ نزلت بكم
فإن روحى لتمشى من عواطفكم
ومقلتى تتمشى ، من وجوهكم ،
أرنو فيشرق فى نفسى جمالكم
إن المروءة لو شادت أريكتها
ترقُّ أخلاقكم كالخمر آونة
ومن يجربكم فى الحالتين يجد
بكم أصول على الأيام ثائرة
لأنتم الماء لى والنفس ظامئة
أحببتكم حب إنسان لإخوته
إن كان فيكم ضعيف لا يحاذرنى
ولا أداجى لأمر منكم أحداً
نحلتمونى فضلاً لست صاحبه
لكن رأيتم خيالاً من فضائلكم
والشمس إن نظرت فى الماء صورتها

فساقه قدر نحو البساتين
ممدودة الظل خضراء الأفانين
حيناً وينشدها بعض الأحايين
يا معشر السادة الغر الميامين
مغمورة بالأقاحى والرياحين
فى أنجم تتجلى لى فتهدى
كالوحي فى خاطر بالوحي مفتون
كانت قوائمه شمع العرانيين
وتارة تمزجون البأس باللين
لطف الملائك أو حزم الأساطين
خطوبها وأباهى من يساهينى
وحبكم قمرى فى ليل « كانون »
إذ ليس بينكم فوق ولا دونى
أو كان فيكم قوى لا يقاوينى
ولا أرى أحداً منكم يداجينى
ولم يكن قط فى ظنى وتخمينى
فخلتم أنه خلقى وتكوينى
رأت هنالك شمساً ذات تلوين

قل لا مرى مثل « قارون » بثروته :
من يصطنع صاحباً تبقى مودته

إنى امرؤ بصحبا فوق « قارون »
فهو الغنى به لا ذو المسلايين

فاختر صحابك وانظر في اختيارهم إلى الغرائز قبل اللون والدين

* * *

المرء في هذه الدنيا عواطفه
وإن عاطفة هذى مظاهرها
لوفاتني كل ما في الأرض من ذهب
لم تفتني فإني غير مغبون

* * *

لو القوافي تواتيني شكرتكم
فاستنطقوا القلب أوجسوه يخبركم
وفي زواياه شعر لا أوزان له
إني سأحمد يا صبحي صنيعكم

كما أريد ولكن لا تواتيني
فالحب والقلب مكنون بمكنون
ورب شعر جميل غير موزون
حمداً إلى الدهر لا حمداً إلى حين

نشيد يوسف بك كرم

يا من هزمت العدى فى كل معترك
لفؤك بالعلم القانى ، وما علموا
وغيبوا البطل الصنديد فى جدث
لا « يوسف » آخر يحمى مراتنا
ولا فوارس حول الأرز رابضة
« لبنان » بعدك فى ليل بلا قمر
لله عهدك من عهد نقده
لم يبق غير خيالات تطوف بنا
يا راقداً فى ضريح كله شرف
يا صاحب السيف ، كاد السيف يهلكنا
أشرف بروحك من أوج السناء على
يدعوك للجود « لبنان » وأرزة

فى مهجتي جيش حزن غير منهزم
أن التقي والنهى والمجد فى العلم
وأودعوا فى الثرى طوداً من الشمم
مضى الردى بالشجاع الطاهر الشمم
كالأسد فى الغاب كالعقبان فى القمم
وأرز « لبنان » فى جو من الألم
وتستلذ به الأرواح فى الحلم
فيا نفوس إذا مرت بك ابتسمي
قام الأسود إلى أسيافهم ، فقم
يا ليث « لبنان » ، عاث الذئب بالغنم
سهول « لبنان » والغابات والأكم
يا ابن الأكرام ، هذى ساعة الكرم

إلى ندره حداد

إن العيون وطالما أودعت شعرك سحرها
 حملت عليك فأدركتك وأدركت بهما ثأرها
 قد كنت تخشى أسرها ، فغدوت تحمد أسرها
 وإذا الفتى عرف الهوى ، عرف الحياة وسرها
 فأحبها تسقيه حازر خلها أو خمـرها
 وإذا رأى أشواكها أغضى ليلمح زهرها
 ويظل يرجو فجرها ، والليل يطامس فجرها

* * *

قدر الفتى في حبه ، فارفع لنفسك قدرها
 « ندره » ، صبرت على زمانك طائعا لا مكرها
 الغيد حولك كالنجوم ، وأنت تؤثر هجرها
 ولك الشباب وكل ما خدع النفوس وغرها
 لا النفس زاهدة ، ولست كمن تكلف قهرها
 لكن شغلت بغادة تخذت قريضك خدرها
 ما زلت تنعتها وتجهل مثل غيرك أمرها
 حتى جفت قصر الخيال ، وصار قلبك قصرها
 فاشكر الدهرك جوده واحمد لنفسك صبرها
 ونعمتها وأمنها مد الحياة وجزرها

في عرس ندره حداد

شاعر كان حائراً	أَذْهَبَ الحبُّ حيرتَه
طائر كان تائهراً	وجد الآن جنتَه
صولة الحسن والهوى	تساب المرء صولتَه
إن « ندره » الذى بغى	أن يعاصى مشيئتَه
أسلم اليوم قلبَه	بيديه ومهجَتَه
لم يكن زاهداً ولا	جاهلاً قط قوتَه
فلكم هد قاعَه	قبلاً هد قلعتَه
بل لأمر مقدر	أنخر الدهر قرعتَه
يا أسيراً كأنه	أسيرٌ نال بغيتَه
ليس بالعاشق امروء	خاف فى الحب محنتَه
إنما الحب ضلَه	لو عرفنا حقيقَتَه
أنت يا صاح بلبـل	يعشق الكل نفحتَه
جددت دولة الهوى	بك للشعر دولتَه
دمت فى العيش صاحٍ لا	يخلق الدهر جدتَه

* * *

نصب الحب فخرَه	وهو يدرى قنيصتَه
وكما صاد « ندره »	سوف يصطاد إخوتَه
ف « جوادا » و « ثريسه »	و « خليلا » وزمرتَه
وغدا ، وهو مقبـل ،	يعلق الكل علقَتَه

كذا الإله خلقه

إلى متى تضلّكم
إلام يسبّـحـتـجـهـلـكم
أراقـكم منطـقه ؟
أم صوته ؟ وصوته
أم وجهه ؟ ولو رأ
هو الذى طاف عليـ
فما تراءى شـبـح
وما أصاب مؤصـدا
وما رأى مـائدة
أعجبه سـمـنكم
يمتص أموالكم
يملا من جيوبكم
فى كل يوم يتنفى
كانكم بعولـة
بل كلما أحس بالـ
فصـور البحر لكم
وصـور الأرض على
إن تستحوا لا يستحى

يا قوم تلك الورقه ؟
أجهل من « هبنقه » ؟
وقد عرفتم منطقـه
أحسن منه النقنقه
ه القرد « طاح الحلقة »
كم يستدر الصدقه
منكم إلا لحقه
فى الحى إلا طرقه
إلا أمال عنقه
فصار مثل العلقـه
مص الهجير الزنبقه
جيوبه المخرقـه
ضريبة أو نفقه
كانه مطلقـه
إملاق أبدى ملقه
وهو أجاج « مرقسه »
اتساعها كالبنده
كذا الإله خلقه !

٤٢

النار أشده آكل

ويارُبَّ عاوي ظن أن عواءه	يقيه - ولكن ما وقاه - غوائل
يصيح وفرط الخوف يرجف روحه	صياح صغار الطير خوف الأجادل
ويبكى ولم تضغط على عنقه بيدي	فكيف إذا فارت عليه مراجلي؟
جهول، وبعض الجهل يهلك أهله	غبي رأينا فيه صورة « باقل »
نصحتك ألا تجعل النصل مركباً	فإن المنايا في ركوب المناصل
وإني نار ليس يخبو سعيها	فلا تصطلي فالنار أشده آكل

إلى النابح العاوى

يأيها النابح العاوى بلا سبب
 إن كان غرك أن الحلم شيمتنا
 نحن النجوم التى تهذى أشعتها
 لكننا نغتندى إن ثار ثائرننا
 ما حدّثتنا بغير المجد أنفسنا
 هل يزعم الشهب نَبَّاح بلا ذنب؟
 إذا سكتنا فإن الليث يأنف من
 إذا نظرنا إلى الجرحيلان سارحة
 وفى الحدايق ذات الزهر مشغلة
 فيا غبيهاً على جهل يطاولنا
 من أنت؟ هل أنت ذو قدر فنخفضه
 ما أنت إلا الهباء المستطار، فهل
 أما لنفسك ذود فينهاها؟
 فربما خالفت نفس سجاياها
 من ضل بل نحن أسماها وأسناها
 نيازكا تتقى الدنيا شظاياها
 ولم نشأ غاية إلا بلغناها
 وهل يعوق فى الأفلاك مسراها؟
 قتل البعوضة مهما طال قرناها
 ولم نطأها فإننا قد حقناها
 عن رؤية الجُعَل يمشى فى زواياها
 ورطّمتَ نفسك فانظر كيف عقباها
 أوحمة تتأذى إن هتكناها؟
 نفرى الهباء بأسياف حملناها؟

* * *

يا كلب سوق ويا خنزير مزبلة
 على الدروب كلاب ما لها عدد
 وإنما الناس فى أمر قد اختلفوا
 إن السفالة لوتاوى إلى سمكن
 أعياك أن ترتقى حتى ترى بشراً
 خببى قرونك، واحذر أن تتيه بها
 فى «الأخطبوط» الذى صاحبه عظة
 يا جيفة ما تحامى الناس إلاها
 لا شك أنك أعداها وأعواها
 هل أنت «أسعدها» أم أنت أشقاها؟
 كالخلق، لم ياك إلا أنت مأواها
 فصرت كالتيس نطاحاً وتيساًها
 فكم قرون كهذى قد حطمناها
 لو كنت تفهم معناها ومغزاها

كم مرة قربت منّا كتابه
فارتدّ يعول من يأس ومن ألم
ألم تكن كقرون الوعل شائكة
اليوم ليس لها عين ولا أثر
إن يستعن بك فالغرقان لو نظرت
وإن تكن نفسه في الجسم باقية
فما نجت بومة يوماً بقسوتها
نفس لو انتشرت يوماً نقائصها
نفس يشك الوري في الله إن زعموا
فإن « عزريل » يخشى أن تدنسه
ما ضر من وصمت بالعار جبهته
أتيته بعدما شالت زعامته
فكان مثل الذي ماتت كرامته

* * *

فلم تكن لحظة حتى هزمنهاها
عويل جارية قد مات مولاهها
قرونة السود كبراهها وصغراهها ؟
نحن الذين بأيدينا كسرناها
عيناه في البر سحلا لناداهها
فإنما خبثها في الجسم أبقاهها
وإنما قبحها المشهور نجّاهها
لعمّت الأرض أدناها وأقصاهها
أن الذي خلق الأرواح سواها
والأرض إن أصبحت في الأرض مثواها
لو أنه بسوى الأوحال غطاها
وغيب البر يُمناها ويُسراها
وكنتم مثل الذي قد جاء ينعاها

يا نذل ! والنذل إنسان بلا شمم
زعمت خطف الأطباء الغيد عادتنا
بالله يا نجمل « . . . » معذرة
كنا نسينا ، ولكن ما برحت بنا
فاغفر خطيئتنا ، نغفر خطيئتها

* * *

جشمتها خبطة شعاء تأباها
بل كدت تحسبها يا وغد إياها
فراح يرتع في خديك نعلها !

ورب طاهرة في البيت آمنة
حسبتها كالتى ساءت خلائقها
دنوت للورد في الخدين تقطفه

* * *

كم ليلة بيت ملقى في زواياها
كأنما هو ناديا وملهاها

سَلِ السجون التى جاورتها زمناً
وفى قفاك نعال الجند راقصة

شِدُّوا عليكم ، وقد خالوا نعالهم
فانظر قدَّ اللتَّ في « المرأة » إن به
إن كان هاج بك الشوق القديم لها
تدمى قفالك فأذاها وأدماها !
آثارها وكثيراً من بقاياها !
فعندنا ألف نعل قد حفظناها

* * *

ما ثم في الأرض من عيب نزيده
وما هجوناك يا « لا شيء » نعرفه
أنت المعائب أولوها وأخرها
بذي القوافي ولكننا هجوناهـا

٤٤

دعه ينبج

حين كان السكوت أولى وأصلح	قد سكتنا عن اللثيم طويلا
عفو حرّ والحُرّ يعفو ويصفح	وصفحنا عن ذنبه وعفوننا
وظننا أنه ينتهي فتنطح	وحسبناه يرعوى فتمادى
يتلاوى ، وتارة يتـرجـج	فصفعناه صفعة بات منها
شبّ بل شاب وهو في اللثم يسبح	قل لمن سبّه لثيم كهذا :
ودعه من بعد ذلك ينبج !	عرّف الكلب أنه الكلب للناس

خطبة ميشيل حداد

إن الحياة خميلة والعاشقين زهورها —
 الحب في أكبادنا خفقانها وشعورها —
 والحب في زهر الربى ألوانها وعبيرها —
 هو في الجداول شدوها ، هو في الكواكب نورها
 من حب كان له الحياة سرها وسرورها —
 ونفوس أبناء الغرام إلى الخلود مصيرها —
 فاشرب على ذكرى الهوى كأساً هواك مديرها
 « ميشال » ، مملكة الشباب اليوم أنت أميرها
 زارتك مثل الشمس في زمن الربيع سفورها —
 حسناء كالظبي الغرير دلالها ونفورها —
 قد طاب خلقك واستوى وصفها ، ورقّ ضميرها
 ولها الجمال وعرشه ، ولك المني وقصورها —
 فرحت لحبكما السما ونجومها وبدورها —

٤٦

الجدول الطروب

مَنْ عَلَّمَ الإنشاد هذا الراقص المتبختر ؟
 إني اهتديت به إليه وكان سرّاً مضمراً
 يجرى طروباً وهو لا يدري لماذا قد جرى
 الدوح حانية عليه تخاف أن يتكدرا
 ويلد للأزهار أن ترنو إليه وتنظــــرا
 ولقد سمعت الطير تدعوه الحبيب الأكبر
 فوقفت أرمقه وأسأل حائراً مستفســــرا
 ما حبيب الأطيّار والأشجار فيه يا ترى ؟
 أحصاه ؟ إن البحر يحوى في حشاه جوهرا
 أم ماؤه ؟ إني رأيت السيل منه أغزرا
 أو طهره ؟ إني وجدت الطل منه أطهــــرا
 ما السر في هذى ولا في كونه يسقى الثرا
 بل كونه يسدى الجميل ويستحي أن يظهر

صوت بلادی

ما الروض وشاه الربيع بزهره
 عندي بأجمل منكم في ناظري
 أبصرتكم فرأيت صورة أمتي
 « لبنان » زود بالطموح نفوسكم
 وحببتكم « سورية » يجمها
 فأنا أحيي في كهولكم النهي
 والحسن في فتياتكم ، والعزم في
 الناس عندي كالشهور وإنكم
 فإذا سكت فكي أناجيكم وإن
 وكسا ثراه مفوف الأبرار
 وأحب من أرواحكم لفؤادي
 وسمعتكم فسمعت صوت بلادي
 لما رحلت في طلاب الزاد
 وجمها فوق الجمال العادي
 والطهر والأحلام في الأولاد
 فتيا نكم ، ومروءة الأجداد
 في الناس كالأحاديث والأعياد
 أنشد فليس لغيركم إنشادي

۴۸

یا لیتنی ...

فإنما يطلع كى تنظريه	إذا أطل البدر من خـدره
فإنما يشدو كى تسمعيه	وإن شدا البلبل فى وكـره
فإنما يعبق كى تنشقيـه	وإن يفح عطر زهـور الربى
یا لیتنى البدر الذى تنظرىسن !	
یا لیتنى الطير الذى تسمعىسن !	
یا لیتنى العطر الذى تنشقىسن !	
أواه لو تصدق « یا لیتنى » !	

الزمهرير في نيسان

<p>ورجعنا نشكو من الزمهرير — الأرض، حيران كاليتيم الفقير فهو في حيرة وفي تفكير مات في وجهها ضياء السرور بمُحْيَا إفك وحالة زور الآقاحي سوى غناء الطيور تُخرج لنا الزهر من وراء الستور؟ لد وأن الشهور غير الشهور</p>	<p>رجع الزمهرير أمس إلينا — جاء «نيسان» كالح الأفق ، عارى أو كملك داس الغزاة حماه أو فتاة مفجوعة بحبيب إيه «نيسان» قد أتيت ، ولكن لا دليل على وجودك يا شهر ليت شعري ماذا دهاك فلم نحن لولا الحساب خلناك لم تو</p>
---	---

النجمة الهاوية

هذا هو المنزل الأخير
وينطوي الخوف والترجي
ما كان أحلى الحياة لو لم
كم من عصور مضت وغابت
إلى هنا ينتهي المسير
وينقضي الحزن والسرور
يكن إلى الحفرة المصير
فيها ولم تشبع القبور

مررت بالزهر قابلات
فقلت : ماذا عراك حتي
فلم تجاوبني الأقا حسي
فقال : «سلمى» مضت ، وكانت
فغاض نهر وجف روض
يا وحشة الدار بعد «سلمى»
«سلمى» التي صمتها وقار
فليس في مشيها اختيال
كم بائس لاذ في حماها
أليس جوراً من الليالى
كأنما مسحها السـعير
فأرقلك الزهو ، يا زهور ؟
وإنما جأوب الغـبـدير
زنبقة ما لها نظـير
وغاب نجم واندك سـور
فقد خبا بدرها المنـير
وفي أحاديثها عبـير
وليس في نطقها غرور
وكم رجا رفدها فقـير
أن تحتوى اللؤلؤ القبور ؟

يا قبر «سلمى» ، ما أنت قبر
ففيك مثل الرياض عطر
حويت دنيا نبـل وفضل
لم أر من قبلها ثريسا
بل عالم نـير طهور
وفيك مثل السماء نور
يأيها الحيز الصغير
شعاعة في الثرى تخور

وقبل إخوانها نسبوراً تبكى ، أجتلّ قد بكى النسور

* * *

« عزيز » ، يا ضيغماً جريحاً وطائراً جنحه كسير
الدمع في مقلتيه يطفى والحزن في صدره يغور
الخطب يا صاحبي كبير وأنت يا صاحب كبير
فكن صبوراً على الرزايا فإنما يؤجر الصبور

رثاء رشيد أيوب

نام لما تعبت أجفانـه
خرج الشاعر من دنيا الأسى
ومضى عنا إلى موطنـه
لا تقل : هذا الذي كان انطوى
سائلو الجداول عن ألقانه
وسلوا الأزهار عن أحلامه
وسلوا «صنين» عن شاعرـه
هو في قمته عزتهـا
لم يزل ما بيننا أسطورة

وإذا ما تعب الإنسان نـام
مثلما ينسل نور من قـتام
وطن الشاعر أمن وسلام
ما انطوى ، يا صاحبي ، إلا الرغام
فهى في الجداول وجد وهيام
فهى في الزهر أريج وابتسام
إنه فيه جلال واحتـرام
وهو في الوادى اتضاع واحتشام
يتلقاها كرام عن كـرام

* * *

أيها الشاعر لا تخش الأذى
جهلوا قيمة أرواحهم
لا هناء لنفوس صـورت
أعتقت روحك من أغلالها
أنت بعد اليوم لا يشكو الطوى
أنت في الدنيا التي أحببتها
ليس فيها قيم زائفـة
ليس فيها كالتى فارقتها ،
رويت نفسك من كوثرها
نم هنيئاً . إن أحلى غبطة

لست بعد اليوم جاراً لأنام
فغداً الجوهر عبداً للحطام
من سناء مع نفوس من ظلام
وأناشيدك من أسر الكلام
جسمك العانى ولا تخش السقام
وهى دنيا الحر فيها لا يضام
تخدع العقل وآمال جهام
أعين يقظى وأرواح نيام
وبقينا لعنـاء وأوام
— مثلما تعرف — رؤيا في منام

إنه الشاعر

عندما أنشأ الوجود الله
وبدت في النبات والماء والأحياء
فاطلت من السماء الدار
وترامى النسيم في صفحة النهر
وسرى الفجر يوقظ الروضة الوسي
ومشى الليل بعده يطمس الأشياء
والورود الحسناء إلا شذاها
نظر الله في السماء وفي الأر
« إنني قد خلقت كوناً بديعاً
غير أني نسيت أخلق شيئاً
وهو « عين » ترى الوجود كعيني
وإذا الله شاء أمراً قضاه
فإذا كائن له هيكल الطين
ذو فؤاد تظل فيه الأماني
كل من يعشق الجمال أخوه
هو للحق غيظه ورضاه
من تراه هذا الذي صاغه الله
إنه الشاعر الذي كل دنيا
كم سقانا خمراً بغير كؤوس
وأرانا الصباح والليل يغشانا

في زمان في الدهر ما أقصاه
والصخر يقظة وانتباه
وتجارت على الصعيد المياه
بأسرار وجده وهواه
ويذرى على المروج نداءه
إلا أحلامه ورؤاه
والغدير الطروب إلا صداه
ض طويلاً فتمتت شفتاه :
كل شيء فيه كما أهواه
لأزماً لا يتمه إلاه
ولسان يقول : ما أحلاه
أو تمنى وجود شيء بهراه
وفي هيكل التراب إليه
في صباها ، وإن تقضى صباه
كل أرض فيها الهوى مغناه
وهو للحب ضحكه وبسكاه
كما يشتهي لما اشتهاه ؟
تنطوى قبل تنطوى دنياه
فسكرنا ولم تذقها الشفاه
بأكفانه كما يغشاه

يعشق الروض في حلاه ، ويهواه
يرتوى الناس بالمياه ويرويهـ
أيها السائلون عنه : لماذا
ما الغنى عندكم ؟ فإنني أخشى
أهو المال ؟ ما وجدت غنيًا
أفمن كان كوكبًا يهجر الأفق
والذي الكون داره ، كيف يرضيه
وجد المال عاتيًا مستبدًا
لا تقولوا : ماذا اقتنى وحواه ؟
إنه الشاعر الذي ازدادت الدنيا
فاشربوا ، يا رفاق ، سرفتي

مُعَرِّي مُجَرَّدًا من حلاه
هـ خريير تصغي له أذنياه
ليس يسعى للغنى كسواه ؟
أن تكونوا جهلتم معناه
قط إلا وماله مولاه
لتمسى زجاجة مثواه ؟
انزواء في حفنة من ثراه ؟
فأبى أن يكون من أسـراه
أى شيء خياله ما حواه ؟
بهاء لما غدت مأواه
« العاصي » ، وحيوه ، إنه إياه !

تكريم الأب منصور إسطفان

لم أنس حين مشيت إلى تلومني
 قالت : أتطرب ، والمنايا حووم
 انظر ، فقد خلت البيوت من الشبا
 فسألتها : أو ليس من أجل العلا
 يا هذه ، إذا بكيت لبعدهم
 كنى الملام إذن ، فما أنا جاهل
 لكن بعثت الفكر في آثارهم ،
 فرأيت نور المجد فوق بنودهم
 سدوا على الباغي المسالك كلها
 فإذا شممت اليوم رائحة الدماء
 فاستبشري ، فغداً إذا النقع انجلى
 بالطامحين إلى الكمال ، العاملين
 ك « الإسطفاني » الذي لا يأتلى
 مستهدياً بـ « الناصري » ، مُبَشَّراً
 حلو المودة ، لا يشوب ولاءه
 ما إن دعا داع لنصرة بائس
 إن لم يُشيد هيكلاً من مرمر
 خلُق كماء المزن عذب طاهر
 يا ابن الألى ما دار يوماً ذكرهم
 كانوا ربيعاً زاهراً في جيلهم

لما رأني باسمًا مُتهللاً
 في الأرض كيف رمت أصابت مقتلاً؟
 ب ولا جمال لمنزل منهم خلا
 وهنأنا خاضوا الوغى ؟ قالت : بلى
 يتبسمون ؟ أجابت الحسناء : لا
 ما تعلمين ، وكيف لي أن أجهلاً ؟
 في البحر في الأجواء في عرض الفلا
 ورأيتهم يمشون من نصر إلى ..
 فالموت إن وكى وإن هو أقبلاً
 وطالعت عينك آثار البلى
 مستعود دنيانا أحب وأجمل
 على الإخاء ، الناهضين إلى العلا
 حرباً على الباغي وعون المبتلى
 بالحب والغفران ما بين المـلا
 كلف ، ولا يسلو الصديق وإن سلا
 إلا وكان هو المغيث الأول
 فلقد بنى في كل قلب هيكلاً
 وسجية تحكى الرحيق السلسلا
 في محفل إلا أضاء المحفلا
 ومضوا ، وما زالوا ربيعاً مقبلاً

وغنيت بالخلق الرفيع عن الحللى
لا يبلغ النجم الغبار وإن علا
لتدكه ، أرأيتموه تزلزلا ؟
لم يخلق الله الورود لتؤكلا !
شبعوا ، وما أكلوا الكتاب المنزلا !
أما إذا كشفت طبيعتها فلا . . .
يعفو عن الجاني الأثيم تفضلا

لبس الحللى قوم فما شرفوا بهما
عبثًا يحاول طمس فضلك مرجف
كم هاجمت « لبنان » ريح صرصر
زعم القصائد ليس تشبع جائعًا
الأنبياء - والوحى شعر رائع -
الشعر ريحان النفوس إذا صفت
فاغفر مساءته ، فإن الحر من

* * *

لولم يكن فى مدح شخصك ما حلا
وافوا كما ترد الطيور المنهلا
مرت ، بل الأدب الصحيح الأنبلا
للعالم ركنًا ، للفضيلة مؤنلا

سُقْتُ الثناء إليك حلوا سائغًا
هؤلاء قومك ، يا حبيب قلوبهم ،
لم يكرموا العشرين والخمس التى
عش ، يا صديقى ، مثلها فى مثلها

رثاء إيلياس عطا الله

دنيا من الآمال والأحلام
عصف الردى بورودها فتناثرت
لم يبق فيها دوحة تحنو على
أرسلت صوتي في جوانبها فلم
« إيلياس » إنك أنت دنيائى التى
زالت وغابت مثل طيف منام
ومضى بشاديهها وبالأنغام
تعب ، ولا ماء يفيض لظامى
يرجع إلى أذنى غير كلامى
ضيعتها ، ورجعت بالآلام

* * *

يا صاحباً قد كنت أستهدى به
لا تسألنى عن فؤادى إنسى
أرفيق روحى ، قد أتيت مسلماً
عجباً ، كأنك فى زمان غابر
أنا مع رفاقك تائقون لقولة
يا عظم خيبتنا ، فإننا نبتغى
إن الذى قد كان معنا قد سما
ومن استوى فى عالم الأرواح لا
إن ضاع مصباحى ، وجن ظلامى
سكمت للأحزان قلبى الدامى
« إيلياس » ما لك لا ترد سلامى ؟
أو موضع قاص وأنت أمامى
أو لفظة ، فانطق ولو بملام
خمرأ ، ولا من خمرة فى الجسام
عنا ، وصار مع الإله السامى
يدنو إليه عالم الأجسام

دار « السمير » الجديدة

يا مرحبًا بالأصدقاء ، مرحبًا
 ضحكتم لما قيل لي الصيف انقضى
 عيرتموها فلكنّا مؤلّقة—
 وصارت الدنيا بعيني جنّة
 لو جثتكم من « عبقر » بسحرها
 لما وفيت بعض بعض دينكم
 من يستفد مثلي صحابيًا مثلكم
 ما كانت « السمير » إلا ورقًا
 إن كان من حسن فمّنكم قد أتى
 لو كانت « السمير » من أهل الغنى
 أوروضة — أهدت إليكم زهرها
 أو فلكنّا — رفّت عليكم وحنّت
 أو جدولا — غنّت لكم ميساهه
 لكنها جريدة قد أنشئت
 تريد للناس الحياة حرة
 تنفق مما عندها وإنهـا—
 لا تطلبوا منها سوى ما ملكتم

ملأتم الدار وروحي طربًا
 وأنتم حولي كأزهار الربـي
 لما طلعت في ذراها شهبًا
 وصارمائي كثرًا ، بل أعذبًا
 وسقّت في شعري الدراري موكبا
 ولا قضيت اليوم شكرًا وجبًا
 قد استفاد أدبًا ونسبًا
 لولاكم ، والدار إلا خشبًا
 ما قيمة المصباح لولا الكهربا
 ساقط تحاياها إليكم ذهبًا
 أو عطرها مع القبول والصّبـا
 وعالقت في كل بيت كوكبا
 ما دمت تصغون حتى تنضبا
 لتخدم العلم وتعلّي الأدبـا
 للناس طرًا— «عجمًا» و«عربا»
 لتنفق العمر اللذيذ الطيبـا
 لا تملك الصهباء إلا الطربـا

٥٦

إلى عازر داود

أيها الجالس بين النجمتين غنّنا ، يا صاحبي ، أنشودتين
قد شربنا خمرة الكرم ، وإن أنت أنشدت شربنا خمرتين

٥٧

إلى المونسينيور منصور إسطفان

هذي تحيتنا إلى « المنصور » مشفوعة بتحية الجمهـور
مع أنفس الشعراء نرسل شوقنا فاسمع بأذن الروح لحن شعور
وانشق أريج قلوبنا ، فقلوبنا من وجدها كمجامر البخور
يا نسر « لبنان » المخلق في الفضاء المجد تحت جناحك المنشور
فاسلم لأمتك التي تبنى لها لتزيدها من سعيك المبرور

رثاء نجلاء صباغ

رجع الربيع إلى المدائن والقري
 لمست يده العود أجرد يابساً
 لله منه ساحراً ومصوراً
 عرض الجمال وقال للناس : انظروا
 لكنما العين التي كانت ترى
 الموت أغمضها على غير الرؤى
 لكنما القلب الذي يهوى الشدى
 إن لم نرحب بالربيع ولم نهيم
 فلقد أضعنا حين جاء إلى الحمى
 سكتت لكي تتحدث الدنيا بها
 « نجلاء » إنك روضة معطارة
 رحلت عن القصر البشاشة وانطوى
 فالـيوم لا الأرواح تبسم للمنى
 أفنيت نفسك كالشموع توقداً
 فازددت مجداً في الزمان وشهرة
 زانتك في الدنيا شمائل حرة
 فعليك ، يا فخر النساء وفخرنا ،
 و« قيصر » منا العزاء ، ف« قيصر »
 بل صار بعدك ، يا رفيقة عمره ،
 إنا نودع نجمة وضاءة

نوراً وعطراً في السفوح وفي الذرى
 فإذا به قد صار رطباً أخضرا
 بهرت عجائبه القول وحيـرا
 فالله قد خلق العيون لتنظـرا
 ألـق الربيع وحسنه ليست ترى
 ما في الردى شيء كأحلام الكرى
 والنور ، قد أمسى دفيناً في الثرى
 بالحسن فيه ، فحقنا أن نعدرا
 في بنت « مطران » ربيعاً أنورا
 وغفت لكي تبكى العيون وتسهر
 عصف الحمام بها ، فعاث وبعثا
 عهد الصفا والأنس في « أم القري »
 فيه ، ولا اللذات تجري كوثر
 وقطعت عمرك كالكوكب في السرى
 وازداد قومك رفعة بين الورى
 هي كالجواهر إنما لا تشتري
 منا السلام ممسكاً ومعطرا
 كالنسر هيض جناحه وتكسرا
 وتراً ، يغص بلحنه متعـثرا
 زالت ، وندفن كنز فضل في الثرى

في حفلة تكريمه ببירות

المرء ليس يقـاس في	الدنيا بعلم أو يجهل
بل بالذي في طبعه	الفطري من كرم ونبيل
فلربّ ذي علم أساء	لأهله ولغير أهل
ولرب ذي جهل أفاد	الناس في خصب ومحل
لولا ارتفاع نفوسكم	لم يرتفع أبدا محلي
لولا عيونكم المحبسة	ما تراه قط فضلي
دامت مكارمكم لكي	يشدو بها الشعراء مثلي

٦٠

في حفلة تكريمه بدمشق

أنا إن شكرتك يا «أبا حسان» أعليت من قدرى وقدر بياني
أشرقت في نفسي سناً فأريتني وجه الربيع ولست في «نيسان»
سأتيه أني في زمانك عائش ومعى يتتيه - كما أتيه - زمانى

٦١

في صالة منصور

شربت عيناك روى فهى في عينيك سحر
وأذاب الحب قلبي فهو في كأسى خمر
هذه الليلة دنيا كل ما فيها يسر
لا تقل ليل ويمضى ليس للذة عمر

٦٢

في بيت فخرى البارودي

يا صبحي ! قد كمل المجلس ونحن نحن الملائ الأقدس
لتنعس الأنجم في فلكها سنسهر الليل ولا ننعس !!

٦٣

إلى توفيق فخر

رافلك الهناء ، يا رفيق وعدت بالتوفيق ، يا « توفيق »
يا شاعراً أخلاقه كشره متانة ، كقلبه رقيق
أنت صديق لا يحول وده في زمن قلَّ به الصديق

إلى رشيد أيوب

رأيتك تحت الليل كالليل ساكتاً
 تن من الدنيا التي طال جورها
 بكيت فأبكيت الجلامد في الثرى
 فأصبح هذى السموات حائراً
 أراه بعيني مصغياً كل ليلة
 أرى فيك من «شيخ المعرة» نفحة
 وهبتك من شعري وعندك مثله
 وإن لم يكن هذا ولا ذاك شافعاً

وعند ضفاف البحر تهدر كالبحر
 وتشكو من الدهر الخؤون إلى الدهر
 ونحنت فحرمت الرقاد على البدر
 كصاحب إيمان يميل إلى الكفر
 لأنك قد عودته رنة الشعر
 وفي نفحات «الشيخ» شيء من السحر
 ولو كنت ذا تبر وهبتك من تبري
 فإني قد ألقيت حملي على «شكري»

٦٥

« زحلة الفتاة »

لى فتاة ملأت صدرى جووى	ذاب فيها القلب شوقاً واحترق
كل يوم لى منها موعد	فى صباح ، فى مساء ، فى غسق
لا تظننى أثيماً فى الهوى	و « فتاتى » من مداد وورق

٦٦

شعار « السمير »

أنا لا أهدي إليكم ورقاً	غيركم يرضى بحبر وورق
إنما أهدي إلى أرواحكم	فِكْراً تبقى متى الطرس احترق

فهرس القوافى

رتبت القوافى ترتيباً ألفبائياً ، وضمن كل حرف جاءت القافية المقيدة الساكنة أولاً ، ثم المطلق المفتوحة ، فالمضمومة ، فالمكسورة ، يتبع كل منها ما ختم بالهاء التى تعد وصلاً : الساكنة ، فالمفتوحة ، فالمضمومة ، فالمكسورة . أما الرقمان المتقدمان على المطلع ، فالأول هو رقم القصيدة أو القطعة فى الكتاب ، والثانى هو عدد أبياتها .

٢

٤٢/٤٢ ماتت « فنى » أم البنين فل « ولَيْمَ » طول البقاء

بـ

٢٥/٢٣ وزاهد همه فى المـدح يسمعه من كل من همه أن يخلق الكذب
١٧/٦٤ يا مرحباً بالأصدقاء ، مرحباً ملائم الدار وروحى طرباً
١٠/٣ خطيب الأمس ، ما أنصفت « مصرأ » ولا أنصفت ماضيك القريباً

بـ

٤٩/١٠ ما الطير ضاقت بها الأوكار فاضطربت فى الأرض باحثة عن مرتع يخصب
٩/٣٥ إن الصليب وكان آلة نقمة أمسى شعار الخير والتهذيب
٥٧/٣٢ يا سيداتى « حاملات الطيب » ويا رجال الفضل والتهذيب

تـ

١٨/٤٦ شاعر كان حائراً أذهب الحب حيرته

تـ

٣١/٣٦ رأيتـه مرتبكاً كفارق فى لجة
٧/٤٠ مضت التى كانت كزنبقة الربى فى طهرها وأريجها وصفاتها

ح

٧٥/٥٩ أمي ، انظري طيارتي كالنسر قد بسط الجناح
٦/٥٠ قد سكتنا عن اللثيم طويلا حين كان السكوت أولى وأصلح

ح

٣١/٦ لا الغيد تصبيني ولا الأقداح مهما تغنى فيهما المداح
٢٤/١٧ أيا « عبدالمسيح » ، عليك مني سلام كلما ذكر المسيح

د

٤١/٥ سوى « لبنان » يملكه فؤادي وغير بنيه أمنعهم ودادي
٩/٥٤ ما الروض وشاه الربيع بزهره وكسا ثراه مفوف الأبراد
٣٠/١٥ بالقد الأهيف ، بالنهد بالشعر الأشنب ، بالحد
٢٢/١٦ بالحق ، بأحرار البلد ما دام يراعى طوع يدي

ر

٢٨/٢٢ وردت نميقتك الجميلة والصور فللك الشفاء من البصيرة والبصر

ر

١٣/٥٣ مَنْ عَلَّمَ الإنشاد ه ذا الراقص المتبخرا ؟
٤٠/١١ رَبَّيت كلبا صغيرا وكان ذلك نذرا
٢٠/٦٧ رجع الربيع إلى المدائن والقرى نوراً وعطراً في السفوح وفي الذرى
١٢/٢٧ قد عاد النقر على الطاره والشاعر حرك أوتاره
٢٨/١٩ خذها أبياتاً مشهوره كصراخ النفس المقهوره
١٧/٤٥ إن العيون وطالما أودعت شِعْرَكَ سحرها

ر

٤/٧٠ شربت عيناكِ روى فهي في عينيك سحر
١٩/٥١ سلام عليك ، فتي المكرمات كماء الغمامة بل أظهر
٢٣/٥٨ هذا هو المنزل الأخير إلى هنا ينتهى المصير
١٣/٥٢ إن الحياة خميلة والعاشقون زهورها

رـ

٨/٧٣	رأيتك تحت الليل كالليل ساكتاً	وعند ضفاف البحر تهدر كالبحر
١٠/١	لئن حجبوك عن مقل البرايا	فما حجبوا هواك عن الصدور
٥/٦٦	هذى تحيتنا إلى « المنصور »	مشفوعة بتحيةة الجمهور
٨/٥٧	رجع الزمهرير أمس إلينا	ورجعنا نشكو من الزمهرير

سـ

٢/٧١	يا صبحي ، قد كمل المجلس	ونحن نحن الملاء الأقدس
------	-------------------------	------------------------

سـ

٢/٢٩	قد قال « ندرا » واصفا « ميماسكم »	فأثار بي شوقاً إلى « الميماس »
١٢/٢٤	ما كان أحوجني يوماً إلى لقب	يقاتل الشك عني في ذوى الحدس

عـ

٢٦/٢١	كأنما هو في حل ومرتحل	موكل بفضاء الله يزرعه
-------	-----------------------	-----------------------

عـ

١٩/٢٥	« نيويورك »، تيهي عزة وتهللي	طربا ، فأنت اليوم أشرف موضع
-------	------------------------------	-----------------------------

قـ

٣/٧٤	لى فتاة ملأت صدرى جوى	ذاب فيها القلب شوقاً واحترق
٢/٧٥	أنا لا أهدي إليكم ورقا	غيركم يرضى بحبر وورق

قـ

٣٥/٩	أسنى على الكشكول كيف تمزقا	يا صاحب الكشكول ، طال لك البقا
١٨/٤٧	إلى مستى تضلكم	يا قوم ، تلك الورقة ؟
٣٨/٤١	زرت الحديقة في الضحى	لأرى الغصون المورقه
٤٦/٨	أكل يوم مخرقه	وقصة ملفقه ؟

ق'

٦/٣٩ كيف تركت الدار ، يا صاحبي مفتوحة الباب لمن يطرق ؟
 ٤٧/٢٨ كم ذا يلوم على الهوى المتشدد غير الغرام يجوز فيه المنطق
 ٣/٧٢ رافقتك النساء ، يا رفيق وعدت بالتوفيق ، يا « توفيق »

ق-

١٦/٣٧ يا صاحبي « ندره » الحبيب وأنت لي أوفى صديق

ك-

٢٠/٧ يا روح « إلياس » بالأرواح نفديك إن المليكة تفدى بالممالك

ل-

٣٨/١٢ توعدنى مقلد « نفطويه » كما تتوعد الأثني الرجالا
 ٤/٢٦ لله ما أحلى ، وما أجمل أن تنصر المسكين ذات الحل
 ٣١/٦٢ لم أنس حين مشيت إلى تلومتي لما رأيتني باسمًا متهللا
 ١١/٣٤ تكاثرت الكواكب والأهله لذلك غابت الشمس المطله
 ١١/٣٠ أيا ابن مدينة « العاصي » الجميله نهاني شاعر يهوى الفضيله

ل'

٣٦/٤ هذا مجال ، فهل في الحى قوال ؟ إني على العجز في المضمار جوال

ل-

٦/٤٨ ويا ربّ عاوي ظن أن عواءه يقيه - ولكن ما وقاه - غوائل
 ٧/٦٨ المرء ليس يقاس في الدنيا بعلم أو بجهل
 ٣٤/١٨ إن المعتز بأمواله مثل المعتز بأخواله

م

١٢/٣١ « حاملات الطيب » تشدو طربا بلقاكم يا كرام
 ١٩/٦٠ نام لما تعبت أجفانه وإذا تعب الإنسان نام

م-

٣٣/٢ خلني أستصرخ القوم النيام أنا لا أرضى لـ « مصر » أن تضامنا

م

١١/٣٣ ولقد ذكرتكَ ، يا بلادي ، بعدما ذهب الشباب ، ومرت الأعوام

م

٢٥/١٤ زلت عنا ، فلم نبِل ، مثلما زال
 ١٣/٦٣ دنيا من الآمال والأحلام
 ١٢/٤٤ يا من هزمت العدى فى كل معترك
 ٤٢/٢٠ أوحى لى الشيطان قبل النوم
 مع الليل طارق الأحلام
 زالت وغابت مثل طيف منام
 فى مهجتي جيش حزن غير منهزم
 كىما أحدثكم حديث اليوم

ن

٥٢/١٣ أهل الفساد وزمرة الشيطان
 ٣/٦٩ أنا إن شكرتك يا « أبا حسان »
 ٢٨/٤٣ ما طائر كان فى قفر على ظمإ
 ٢/٦٥ أيها الجالس بين النجمتين
 كم تدعون محبة الأوطان
 أعليت من قدرى وقدر بيانى
 فساقه قدر نحو البساتين
 غتنا ، يا صاحبي ، أنشودتين

هـ

٧/٥٦ إذا أطل البدر من خدره
 فإنما يطلع كى تنظيره

هـ

١٤/٥٥ زهرة ولت ، وما ولى شذاها
 ٤٧/٤٩ يأبىها النابح العاوى بلا سبب
 خفيت عنا وما زلنا نراها
 أما لنفسك ذود فينهاها ؟

هـ

٣١/٦١ عندما أنشأ الوجود الله
 فى زمان فى الدهر ما أقصاه

هـ

١٩/٣٨ زمن الربيع مضى وكنت أحبه
 فجلست بعد ذهابه أبكيه

مصادر الأشعار

فيما يلي بيانان :

- (أ) بيان بالمصادر التي استخرجت منها الأشعار .
(ب) بيان بإمكانة الأشعار في هذه المصادر ، مع بعض الإيضاحات .

(أ)

« الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الأدب العربي المعاصر :
عبد العزيز جاويش ، ١٨٧٢ - ١٩٢٩ » تأليف سالم عبد النبي قنير . بنغازي ،
دار مكتبة الأندلس ، ١٩٦٨ .

« أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية » تأليف جورج صيدح . ط ٣ منقحة
ومزودة . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ .
« الأديب » (بيروت ، ألبير أديب) .
« ألن باء » (دمشق ، يوسف العيسى) .
« الجمهور » (بيروت ، ميشال أبو شهلا) .
« الرسالة » (القاهرة ، أحمد حسن الزيات) .
« السائح » (نيويورك ، عبد المسيح حداد) .
« الشعب » (القاهرة ، محمود أبو عثمان) .
« الصحافة في لبنان » تأليف جورج عارج سعادة . ط ١ . بيروت ،
دار وكالة النشر العربية ، ١٩٦٥ .

« العلم » (القاهرة ، إسماعيل حافظ) .
« الفنون » (نيويورك ، نسيم عريضة) .
« مرآة الغرب » (نيويورك ، نجيب موسى دياب) .
« النسر » (نيويورك ، نجيب جرجي بدران) .
« الهدى » (نيويورك ، نعوم مكرزل) .

(ب)

ملحوظة : الرقم المسلسل هو رقم القصيدة أو القطعة في الكتاب .

ص = صفحة ، ب = بيت

- ١ - « الاتجاهات » ، ص ٢٠٥ ، ١٠ ب ، نقلا عن « اللواء » القاهرية ١٩٠٩/٩/٤ . خاطب بها الشيخ عبد العزيز جاويش ، رئيس تحرير « اللواء » ، بعدما سجن لتقريضه ديوان « وطنيتي » نظم الشيخ على الغاياني .
- ٢ - « الشعب » ١٩١٠/٣/٢٧ ، ص ٤ ، ٣٣ ب .
- ٣ - « الشعب » ١٩١٠/٤/٤ ، ص ٦ ، ١٠ ب .
- نظمها بعدما زار الرئيس الأمريكى ثيودور روزفلت مصر ، وألقى خطبة في الجامعة المصرية في القاهرة ، يوم ١٩١٠/٣/٢٨ ، استاء منها المصريون .
- ٤ - « العلم » ١٩١٠/٧/٢٤ ، ص ٥ ، ٣٦ ب .
- نظمها بمناسبة مرور عام على إعلان الدستور العثماني .
- ٥ - « مرآة » ١٩١١/١/٣٠ ، ص ٥ ، ٤١ ب .
- نظمها ونشرتها له الجريدة وكان لا يزال في الإسكندرية .
- ٦ - « مرآة » ١٩١٢/١/٣١ ، ص ٥ ، ٣١ ب .
- أول قصيدة له في هذه الجريدة بعد نزوله سنسناني أوهايو .
- ٧ - « مرآة » ١٩١٣/١١/١١ ، ص ٥ ، ٢٠ ب .
- نظمها حينما قصّر صديقه إلياس عطا الله في الرد على رسالة بعثها له .
- ٨ - « مرآة » ١٩١٤/٦/١٧ ، ص ٤ ، ٤٦ ب .
- ٩ - « مرآة » ١٩١٤/٦/٢٣ ، ص ٤ ، ٣٥ ب .
- ١٠ - « مرآة » ١٩١٤/٧/ ٦ ، ص ٤ ، ٤٩ ب .
- اقتطف منها أربعة أبيات ونشرها في « مرآة » ١٩٢٦/١/١١ ، ص ٤ ، بعنوان « الغريق والبحر » ، فعارضها أسعد رستم بقصيدة نشرتها « الهدى » ١٩٢٦/١/١٩ ، ص ٦ ، ١٩ ب ، بعنوان « فإنه مثله في الذنب والذنب » .

- ١١ - « مرآة » ١٥/٧/١٩١٤ ، ص ٤ ، ٤٠ ب .
 ١٢ - « مرآة » ٢٠/٧/١٩١٤ ، ص ٤ ، ٣٨ ب .
 ١٣ - « مرآة » ٢٧/٧/١٩١٤ ، ص ٤ ، ٥٢ ب .
 ١٤ - « مرآة » ٦/١٠/١٩١٤ ، ص ٤ ، ٢٥ ب .
 ودّع بها السفير العثماني في واشنطن .
 ١٥ - « السائح » ١/٤/١٩١٥ ، ص ٤ - ٥ ، ٣٠ ب .
 أول قصيدة له في هذه الجريدة .
 ١٦ - « السائح » ٣/٥/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٢ ب .
 ١٧ - « السائح » ٢٧/٥/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٤ ب .
 ١٨ - « السائح » ٢٤/٦/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٣٤ ب .
 ١٩ - « السائح » ٢٨/٦/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٨ ب .
 ٢٠ - « السائح » ٩/٨/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٤٢ ب .
 ٢١ - « السائح » ٢٢/٧/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٦ ب .
 ٢٢ - « مرآة » ٣/٨/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٨ ب .

منها ١٠ ب بعنوان « إليك عني » ، في « تبر وتراب » ، ص ١١٠ :
 نظمها ردّاً على الأبيات الآتية التي أرسلها شكرى أبي صالح إليه ، من
 أولد أورتشارد بولاية ماين ، في ١٨/٧/١٩١٥ ، كل بيت في بطاقة
 بريد مصورة .

تشتاق رؤيتك التي تجلو الكدر	في « أولد أرتشارد » لو علمت أحبة
وأسرع ولا تحفل بـ « زيد » أو « عمر »	زرنا فقد كدنا نذوب صباة
بخريرها ، تشقى القلوب من الضجر	فرياضنا بعيرها ، ومياهنا
فيها ذوات الغنج ربات الحفر	فيها الأزاهر والمزاهر والطلا
وذوى النهى لعب الصوالج بالأكر	فيها الهوى ، فيها اللواعب بالنهى
ويثن كالغزلان في ضوء القمر	يخطر كالأغصان في رآد الضحى
في الرمل آونة ، وطوراً في النهر	نقضى ويقضين الأصائل والبكر
درر بلا صدف تغوص على الدرر	شهب ، عليها يحسد الأفق الثرى

ما أبصرت عيني ، ولا غيرى رأى من قبلهن الماء بالماء استتر
 إن كنت في شك ولست مصدقاً فانظر وحدق حين تنظر في الصور
 نخل اليراع ، عساك تكسب أجرة واغتم أويقات المسرة والسممر
 واحضر إلينا إن أردت صباية واكتب إلينا إن عزمت على السفر

٢٣ - « السائح » ١١/١٠/١٩١٥ ، ص ٤ ، ٢٥ ب .

٢٤ - « السائح » ١/١١/١٩١٥ ، ص ٤ ، ١٢ ب .

٢٥ - « السائح » ٧/٩/١٩١٦ ، ص ٢ ، ١٩ ب .

أنشدتها مساء الخميس ٣١/٨/١٩١٦ ، في حفلة تنصير « نور » ابنة
 عبد المجيد حداد ، نزيل تاكوما واشنطن ، يتأهل بها بضيف نيويورك
 الأرشمندريت أفثيميوس عفيش ، راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا .

٢٦ - « الفنون » ، تشرين أول (أكتوبر) ١٩١٦ ، ص ٤٦٨ ، ٤ ب .

قالها مثنياً على السيدات السوريات اللاتي خرجن إلى شوارع نيويورك ،
 في ٢١ و ٢٢/١٠/١٩١٦ ، لجمع الإعانات لإغاثة المنكوبين الذين
 اجتاحتهم الجوع والوباء في سوريا .

٢٧ - « السائح » ١٣/١١/١٩١٦ ، ص ٤ ، ١٢ ب .

٢٨ - « السائح » ٣٠/١١/١٩١٦ ، ص ٤ ، ٤٧ ب .

أنشدتها الجمعة ٢٤/١١/١٩١٦ ، في حفلة وداع أمين الريحاني الإكرامية
 التي عقدت بمناسبة سفره إلى فرنسا ، في هوتيل بوسرت ، في بروكلن
 نيويورك .

٢٩ - « السائح » ١٠/٥/١٩١٧ ، ص ٥ ، ٢ ب .

ارتجل البيتين مساء الأحد ٦/٥/١٩١٧ ، في منزل آل خوري ، جنوبي
 بروكلن نيويورك ، في حفلة زواج توفيق خوري بالآنسة نبيهة داود
 مهاني ، معقباً على قصيدة نذرة حداد .

٣٠ - « السائح » ١٠/٥/١٩١٧ ، ص ٥ ، ١١ ب .

تلاها في الحفلة المذكورة أعلاه .

- ٣٢ - « مرآة » ١٥/٦/١٩١٧ ، ص ٣ ، ١٢ ب .
 نشيد أنشدته أعضاء « جمعية حاملات الطيب » في الحفلة التي أقامتها
 الجمعية ، ١٤/٦/١٩١٧ ، في نادي القديس نيقولاوس ، تكريماً
 للأسقف عفيش ، أسقف بروكلن .
- ٣٣ - « السائح » ٢/٧/١٩١٧ ، ص ٤ ، ١١ ب .
- ٣٤ - « السائح » ٦/٩/١٩١٧ ، ص ٢ ، ١١ ب .
 أنشدها الأحد ٥/٩/١٩١٧ ، في أزلن نيو جيرزي . في حفلة دُعي
 إليها المطران عفيش لتنصير الطفل الأصغر لحنا نحاس .
- ٣٥ - « مرآة » ٨/١٢/١٩١٧ ، ص ٣ ، ٩ ب .
 أقامت « جمعية الصليب الأحمر السورية » ، في ٧/١٢/١٩١٧ ، حفلة
 في مسرح بروسبيكت في نيويورك ، حبست ريعها على إعانة الجنود
 الأمريكية والسورية . واقترح بعضهم على الشاعر - وكان حاضراً -
 أن يقول شيئاً في الجمعية ، فكتب على الفور هذه الأبيات وألقاها .
- ٣٦ - « مرآة » ٢/٢/١٩١٨ ، ص ٥ ، ٣١ ب .
- ٣٧ - « السائح » ٢٢/٤/١٩١٨ ، ص ٥ ، ١٦ ب .
 نظمها ردّاً على قصيدة نذرة حداد التالية التي تلاها وديع باحوط في حفلة
 أقامها نجيب موسى دياب . الأحد ١٤/٤/١٩١٨ ، بمناسبة تنصير نجله
 جورج وخطبة كريمته دوروثي إلى إيليا .

قالوا علقت ، فقلت : وا	لهني على ذاك الصديق
من كان يؤنس وحشتي	في وده الصافي الحقيقي
ولكي وخلف مهجتي	بين التمزق والحريق
من لي بمُرجعه إليّ	ولو برى المنجنيق
أنسيت ، « إيليا » ، ليا	لينا وأوقات الرحيق ؟
ومجالسا كانت تضيء	بشعرك الزاهي الرقيق ؟

نسلو بها أَلَم الحيا ة ، وما بها من شر ضيق
نشكو العزوبة إنمّا شكوى الغريق إلى الغريق
أسنى عليها إنها لمعت ومرت كالبروق
ماذا دعاك إلى النوى وإلى مغادرة الرفيق؟
إني عهدتك خاليا والقلب ليس بمستفيق
لا يعرف الحب المذنب ولا ممارسة الحفوق
عُدْ ، يا صديقي ، عن الجفا بجرمة الود العتيق
وارجع ولا تطع الهوى ما زلت في نصف الطريق
ليس الهزار وإن شدا في سجنه مثل الطليق

٣٨ - « السائح » ١٩٢٠/٩/٢٠ ، ص ٤ ، ١٩ ب .

قالها مساء السبت ١٩٢٠/٩/١٨ ، في نزل بوسرت ، في بروكلن
نيويورك ، في حفلة توديع نعمة تادرس بمناسبة سفره إلى الوطن .

٣٩ - « السائح » ١٩٢١/٨/٤ ، ص ٤ ، ٦ ب . و « أدبنا » ، ص ١٦٢ .

زار مرة أبو ماضي صديقه رشيد أيوب في ميلفورد بنسلفانيا ، حيث عائلتا
الاثنين مُصَيَّفَتَان ، فلم يجد أحداً هناك ، ولكنه وجد الأبواب مفتوحة ،
فطاف بالدار وبالحديقة ، وانفتحت قريحته فترك لرشيد هذه الأبيات .

٤٠ - « مرآة » ١٩٢١/٨/١١ ، ص ١ ، ٧ ب .

رثى بها حماته التي توفيت بمرض السرطان ، ولها من العمر ٤٣ سنة .

٤١ - « السائح » ١٩٢٤/١/١٠ ، ص ٢ ، ٣٨ ب .

ألقاها الأحد ١٩٢٤/١/٦ في قاعة كاتدرائية القديس نيقولاوس
الأرثوذكسية في نيويورك ، بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين يوماً على
وفاة أناسيوس إلياس عطا الله اللبناني ، مطران حمص .

٤٢ - « الهدى » ١٩٣٣/٤/٢٢ ، ص ٥ ، ٤٢ ب .

موشح رثا به كلبة صديقه ولیم كاتسغليس . راجع « السائح » ١٩٢٤/٧/٢٧ ،

ص ٤ .

- ٤٣ - « مرآة » ١٩٢٥/١/٢٦ ، ص ٤ ، ٢٨ ب .
 منها ١٣ ب في قصيدة « ميامي فلوريدا » ، في « تبر وتراب » ، ص ٢١٧ .
 ألقاها مساء الخميس ١٩٢٥/١/٢٢ في قاعة « جمعية الاتحاد السوري » ،
 في حفلة أقامتها الجمعية لإكرامه كرئيسها السابق ، وأهدته فيها ساعة
 ذهبية .
- ٤٤ - « مرآة » ١٩٢٥/٢/٢٨ ، ص ٤ ، ٨ ب ، و ١٩٢٣/٢/٢٧ ،
 ص ٤ ، ٤ ب .
 وقد ابتاع الموسيقى اسكندر المعلوف القصيدة من أبي ماضي ، ودفعها إلى
 المنشد مدحت سريجى الذى لحّنها وسجلّها على أسطوانة ظهرت في
 السوق .
- ٤٥ - « السائح » ١٩٢٥/٨/٢٠ ، ص ٥ ، ١٧ ب .
 كان أبو ماضي في أحد المصايف لما احتفل ندرة حداد بخطبته . فلما
 عاد وبلغه الخبر سر لصديقه ، ودفع إليه بهذه القصيدة .
- ٤٦ - « السائح » ١٩٢٥/١١/٣٠ ، ص ٧ ، ١٨ ب .
 تلاها مساء الأربعاء ١٩٢٥/١١/٢٥ ، في منزل آل حداد ، في لايروكلن
 نيويورك ، في حفلة زواج ندرة حداد بالآنسة هدبا طرابلسي .
- ٤٧ - « مرآة » ١٩٢٦/١/٩ ، ص ٢ ، ١٨ ب .
 نظمها ردّاً على مقالات ظهرت في « الهدى » : (١) ١٩٢٥/١٢/٣١ ، ص ٤ ؛
 (ب) ١٩٢٦/١/٥ ، ص ٥ (ح) ١/٧ ، ص ٤ (د) ١/٨ ، ص ٤ ؛
 وقد عارضها أسعد رستم بقصيدة نشرتها « الهدى » ١٩٢٦/١/١٥ ،
 ص ٤ ، ٤٠ ب ، بعنوان « هل يستحق المشنقة ؟ » .
- ٤٨ - « مرآة » ١٩٢٦/١/١٢ ، ص ٤ ، ٦ ب .
 نظمها ردّاً على مقالة ظهرت في « الهدى » ١٩٢٦/١/١١ ، ص ٤ ،
 بعنوان « النسناس القوأل » .
- ٤٩ - « مرآة » ١٩٢٦/٢/١٣ ، ص ٤ ، ٤٧ ب .
 نظمها ردّاً على قصائد نظمها أسعد رستم ونشرتها « الهدى » : (١) ١/٢٠ ،

ص ٦ ، ١٥ ب (ب) ١/٣٠ ، ص ٣ ، ١٨ ب (ح) ٢/٢ ،
 ص ٨ ، ٢٦ ب (د) ٢/٤ ، ص ٤ ، ٢٦ ب (هـ) ٢/٨ ، ص ٣ ،
 ٢٣ ب (و) ٢/١١ ، ص ٣ ، ٣٢ ب . وقد عارضها أسعد رستم
 بقصيدة نشرتها « الهدى » ١٩٢٦/٢/١٥ ، ص ٢ ، ٢٨ ب ، عنوانها
 « هاها ، الدور لى » .

٥٠ - « مرآة » ١٩٢٦/٢/١٦ ، ص ٢ ، ٦ ب .

نظمها ردّاً على قصيدة رستم السابقة .

٥١ - « السائح » ١٩٢٦/١١/١٥ ، ص ٧ ، ١٩ ب .

بمناسبة حفلة تكريم الشيخ إبراهيم المنذر ، النائب في مجلس لبنان ،
 أرسلت شبيبة المحيثة في الولايات المتحدة إلى الشيخ ساعة ذهبية هدية
 اعترافاً بفضله ، تصحبها هذه القصيدة لتتلى في الحفلة .

٥٢ - « السائح » ١٩٢٧/١/١٠ ، ص ٢ ، ١٣ ب .

ألقاها مساء الجمعة ١٩٢٧/١/٧ في خطبة ميشيل حداد على الأنسة هيلانة
 قيصر عبد النور ، وقد عُقدت في بروكلن نيويورك ، في منزل آل
 عبد النور .

٥٣ - « النسر » ١٩٢٧/٦/٢٩ ، ص ٤ ، ١٣ ب .

٥٤ - « مرآة » ١٩٢٧/١٢/٣٠ ، ص ٤ ، ٩ ب .

استهل بها خطبته التي ألقاها في الحفلة الإكرامية التي أقامتها له الجالية
 في توليدو أوهايو ، الأحد ١٩٢٧/١٢/٢٥ .

٥٥ - « مرآة » ١٩٣٢/٣/٣١ ، ص ١ ، ١٤ ب .

ألقاها ١٩٣٢/٣/٣٠ ، في مقبرة جرينوود ، مودعاً بها أوجها ، شقيقة
 زوجته ، التي توفيت إثر عملية الزائدة المعوية ، وهي في عقدها الثالث .

٥٦ - « الرسالة » ١٩٣٣/٨/١٥ ، ص ٢١ ، ٧ ب .

٥٧ - « الجمهور » ١٩٤٠/٦/٧ ، ص ٧ ، ٨ ب .

- ٥٨ - « السائح » ١٩٤٠/٧/٨ ، ص ٨ - ٩ ، ٢٣ ب .
 تلاها الأربعاء ١٩٤٠/٧/٣ ، في المدفن في نيويورك ، راثياً بها سلمى
 مَلَّوك ، قرينة عزيز عطية .
- ٥٩ - « الجمهور » ١٩٤٠/٨/٣١ ، ص ٥ ، ٧٥ ب .
 ترجمة بتصرف لقصيدة بالإنجليزية نظمها الطبيب النيويوركي فؤاد
 ميخائيل العقل ، عند عبور الطيار الأمريكي لندبرج المحيط الأطلسي ،
 عام ١٩٢٧ .
- ٦٠ - « السائح » ١٩٤٢/١/٥ ، ص ٩ ، ١٩ ب .
 رثا بها رشيد أيوب في الحفلة التأبينية التي أقيمت الثلاثاء ١٩٤١/١٢/٣٠ ،
 في قاعة الكاتدرائية الأرثوذكسية ، في بروكلن نيويورك .
- ٦١ - « السائح » ١٩٤٢/٦/٨ ، ص ٧ - ٨ ، ٣١ ب .
 قالها في حفلة تكريم نذرة حداد التي أقيمت مساء الأربعاء ١٩٤٢/٦/٣ ،
 في نزل فاندربلت في نيويورك ، بمناسبة نشر ديوانه « أوراق الخريف » .
- ٦٢ - « السائح » ١٩٤٣/٦/١٠ ، ص ٤ ، ٣١ ب .
 نشرت أبياتها الأحد عشر الأولى في ديوانه « تبر وتراب » ، ص ٦٣ - ٦٥ ،
 بعنوان « ستعود دنيانا أحب وأجملا » . ألقاها الأحد ١٩٤٣/٥/٣٠ ،
 في نزل سانت جورج في نيويورك ، في حفلة اليوبييل الفضي التي أقيمت
 لتكريم الأب منصور إسطفان ، راعي الطائفة المارونية في بروكلن .
- ٦٣ - « السائح » ١٩٤٣/٩/٣٠ ، ص ٩ ، ١٣ ب .
 تلاها الأربعاء ١٩٤٣/٩/٢٢ ، في حفلة تأبين إلياس عطا الله التي
 أقيمت في حي باي ريدج ، في بروكلن نيويورك .
- ٦٤ - « السائح » ١٩٤٣/١١/١٥ ، ص ٨ ، ١٧ ب .
 ألقاها الأحد ١٩٤٣/١٠/٣١ في حفلة تدشين دار « السمير » الجديدة .
- ٦٥ - « مرآة » ١٩٤٤/٨/٧ ، ص ٤ ، ٢ ب .
 داعب أبو ماضي بهذين البيتين عازر داود ، في حفلة أقامتها السيدة
 نايفة توفيق عنبر ، في بلدة سانت تيريز بمونتريال كندا .

- ٦٦ - « السائح » ١٩٤٤/١٢/٤ ، ص ٣ ، ٥ ب .
 في المأدبة التي أقيمت احتفالاً بتدشين كنيسة لبنان ، ناب أبو ماضي
 عن إخوانه الجالسين معه (نسيب عريضة ، عبد المسيح حداد ، وأخوه
 ندره) بإظهار شعورهم نحو المونسينيور منصور إسطفان ، فكتب هذه
 الأبيات التي ألقاها سعيد عقل ، عريف الحفلة .
- ٦٧ - « السائح » ١٩٤٧/٦/٥ ، ص ٩ ، ٢٠ ب .
 ألقاها السبت ١٩٤٧/٥/٢٤ ، في ميلفورد بنسلفانيا ، في حفلة دفن
 السيدة نجلاء ، زوجة قيصر صباغ .
- ٦٨ - « الصحافة » ، ص ٢٨٨ ، ٧ ب .
 الأبيات الختامية لقصيدة ألقاها ١٩٤٩/١/٤ ، في فندق الريجن
 في بيروت ، في الحفلة التي علّق فيها فؤاد عمون ، مدير الخارجية
 العام ، على صدره وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط .
- ٦٩ - « ألف باء » ١٩٤٩/١/٧ ، ص ٤ ، ٢ ب . البيت الثالث في ١/٢١ ،
 ص ٤ .
- أبيات خطرت له ، وهو جالس إلى جانب الرئيس شكري القوتلي في حفلة
 تكريمية أقيمت له الخميس ١٩٤٩/١/٦ ، في مدرج الجامعة السورية
 بدمشق .
- ٧٠ - « ألف باء » ١٩٤٩/١/٨ ، ص ٢ ، ٤ ب .
 أوحى هذه الأبيات سهرة في « صالة منصور » ببيروت ، توافرت فيها
 متعة العين والأذن والروح .
- ٧١ - « ألف باء » ١٩٤٩/١/٢١ ، ص ٤ ، ٢ ب .
 طال الأنس في سهرة موسيقية في بيت النائب فخرى البارودي ، وباغت
 الفجر الندامي وهم شبه أعياء ، فغضب الشاعر ، وقال البيتين .

٧٢ — «الأديب» ، فبراير ١٩٦٠ ، ص ٢٩ ، ٣ ب .
أبيات كتبها لتوفيق فخر ، مساعده في تحرير «السمير» ، عندما قصد
هذا القيام برحلة إلى الجمهورية الدومينيكية .

٧٣ — «أدبنا» ، ص ١٦٣ ، ٨ ب .
أنشدها من حاضر الخاطر للرشيد أيوب ، بعد صدور ديوانه «الأيوبيات»
(١٩١٦) .

٧٤ — «أدبنا» ، ص ١٦٣ ، ٣ ب .

٧٥ — «أدبنا» ، ص ٢٨٩ ، ٢ ب .

فهرس الموضوعات

الباب الأول

دراسات عنه

صفحة

٩	مقدمة الباب الأول
١١	١ - حتى نفهم أبا ماضى
٢٣	٢ - تبرئة أبى ماضى
٣٢	٣ - نساء ثلاث فى حياة أبى ماضى
٥٩	٤ - الحزب الوطنى المصرى وأبو ماضى
٩٥	٥ - الصحافة فى أدب أبى ماضى
١٠٥	٦ - رسالة من أبى ماضى إلى طه حسين
١١٥	٧ - الشيخ إبراهيم المنذر وأبو ماضى
١١٩	٨ - كلمة فى كتاب عن أبى ماضى
١٢٨	٩ - كلمة أخيرة فى تاريخ ميلاد أبى ماضى وفى شعر 'صباه
١٣٠	١٠ - إلى جورج صيدح
١٣٣	١١ - تشارلس أغسطس لندبرج
١٤٤	١٢ - المهجاء فى أدب المهجر
١٥١	١٣ - الكلاب فى أدب المهجر
١٦٠	١٤ - تاريخ ديوانين لأبى ماضى
١٧٦	١٥ - موجز عن حياة أبى ماضى

٢٣٥	و	٢٢ -
٢٣٧	ما كان أحوجني	٢٣ -
٢٣٨	تنصير نور عبد المجيد حداد	٢٤ -
٢٣٩	النكبة في سوريا	٢٥ -
٢٤٠	انقر يا دف على الطارة	٢٦ -
٢٤١	توديع أمين الريحاني	٢٧ -
٢٤٤	اكيل توفيق خوري	٢٨ -
٢٤٤	» » »	٢٩ -
٢٤٥	حاملات الطيب	٣٠ -
٢٤٦	ولقد ذكرتك	٣١ -
٢٤٧	تنصير ابن حنا نحاس	٣٢ -
٢٤٨	جمعية الصليب الأحمر السورية	٣٣ -
٢٤٩	توديع نعمة تادرس	٣٤ -
٢٥٠	دار رشيد أيوب	٣٥ -
٢٥١	رثاء المطران أنثاسيوس عطا الله	٣٦ -
٢٥٤	جمعية الاتحاد السوري	٣٧ -
٢٥٦	نشيد يوسف بك كرم	٣٨ -
٢٥٧	إلى ندره حداد ، لخطبته	٣٩ -
٢٥٨	في عرس ندره حداد	٤٠ -
٢٥٩	كذا الإله خلقه	٤١ -
٢٦٠	النار أشبه آكل	٤٢ -
٢٦١	إلى النابح العاوي	٤٣ -
٢٦٤	دعه ينبج	٤٤ -
٢٦٥	خطبة ميشيل حداد	٤٥ -
٢٦٦	الجدول الطروب	٤٦ -
٢٦٧	صوت بلادى	٤٧ -

صفحة	
٢٦٨	٤٨ — يا ليتنى
٢٦٩	٤٩ — الزمهرير في نيسان (أبريل)
٢٧٠	٥٠ — النجمة الهاوية ، رثاء سلمى ملوك عطية
٢٧٢	٥١ — رثاء رشيد أيوب
٢٧٣	٥٢ — إنه الشاعر ، في تكريم ندرة حداد
٢٧٥	٥٣ — تكريم الأب منصور إسطفان
٢٧٧	٥٤ — رثاء إلياس عطا الله
٢٧٨	٥٥ — دار « السمير » الجديدة
٢٧٩	٥٦ — إلى عازر داود
٢٧٩	٥٧ — إلى المونسينيور منصور إسطفان
٢٨٠	٥٨ — رثاء نجلاء صباغ
٢٨١	٥٩ — في حفلة تكريمه ببيروت
٢٨٢	٦٠ — في حفلة تكريمه بدمشق
٢٨٢	٦١ — في صالة منصور
٢٨٣	٦٢ — في بيت فخرى البارودي
٢٨٣	٦٣ — إلى توفيق فخر
٢٨٤	٦٤ — إلى رشيد أيوب
٢٨٥	٦٥ — « زحلة الفتاة »
٢٨٥	٦٦ — شعار « السمير »
٢٨٦	فهرس القوافي
٢٩١	مصادر الأشعار
٣٠٣	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع	١٩٧٧/١٧٧٤
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٦ - ٦١٢ - ٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

إيليا أبو ماضي

عن هذا الشاعر الكبير يحدثنا هذا الكتاب ، الذي يحتوي الباب الأول منه على دراسات عن الشاعر ، نشرها المؤلف الدكتور جورج ديمترى سليم فى كبرى المجلات الأدبية العربية وقد تناول فيها لمحات من حياة الشاعر وأهم ملامح شعره ، وموقفه من أدب المهجر والأدب العربى عموماً ، وكذلك بعض الرسائل وأحاديث عن علاقاته المختلفة بما يعطى خلفية هامة للقارئ تساعد على تذوق وفهم شعره .

أما الباب الثانى فيحتوى على ست وستين قصيدة مجهولة لم تنشر من قبل للشاعر المهجرى ، ويشتمل الكتاب على فهرس للقوافى ، وثبت للمراجع ومصادر للأشعار ، وموجز تاريخى لحياة الشاعر مما يسهل الاستفادة من هذا الكتاب للقراء والدارسين .

٧٤٠٧/٠١

٧٥

Bibliotheca Alexandrina



0272629